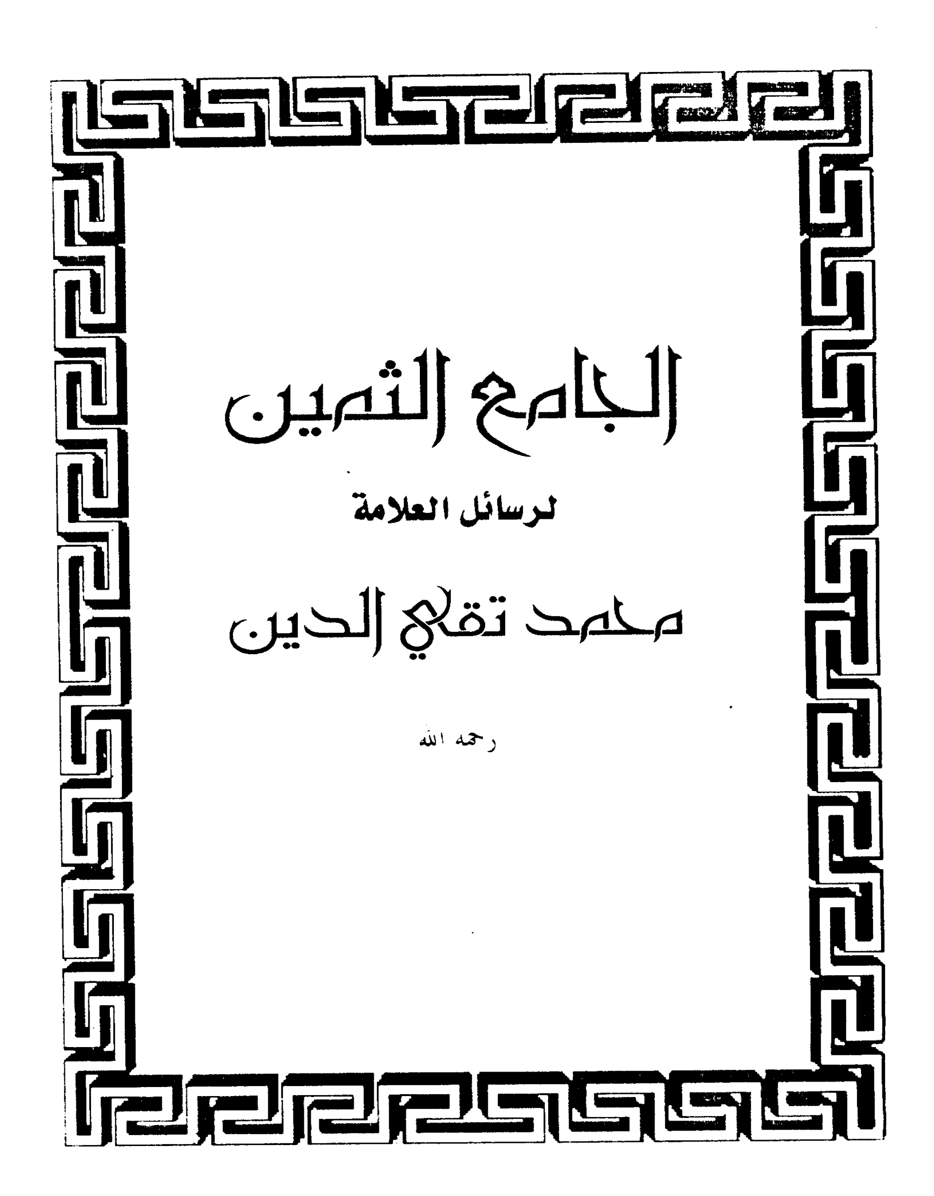
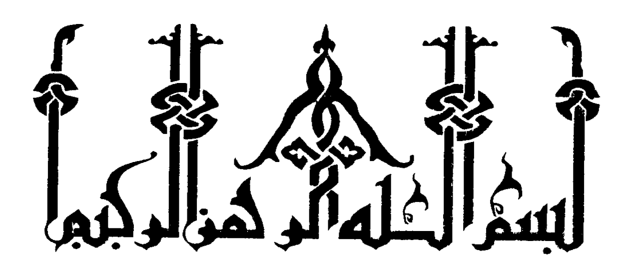


الجامع الثمين

لرسائل العلامة

محمد تقي الدين

رحمه الله

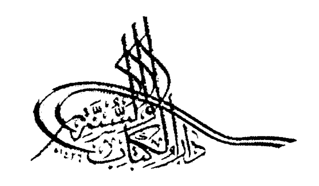

بسم الله الرحمن الرحيم



الجامع الثمين

من رسائل العلامة

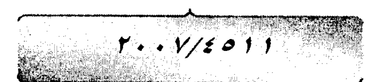
محمد تقى الدين



الطبعة الأولي ٢٠٠٧/٢/١٩

لـ دار الكتاب والسنة

رقم الايداع بهيئة الكتب والوثائق القومية





المقر الرئيسي والإدارة ٩ شارع احمد اسماعيل متفرع من منشية التحرير من شارع جسر السويس عين شمس الشرقية – القاهرة جمهورية مصر العربية .

جوال : ٠٠٢٠١٠١٠٢١١٨٧ ٠٠٢٠١٠٤٦٧١٤٣٩

فاكس : ٠٠٢٠١٠١٠٢١٠٥٢

موقعنا علي الإنترنت

www.dar-ketab-sunah.com

البريد الإلكتروني

Dar_alktabwalsunnah@hotmail.com

Dar_alketabwalsunnah@yahoo.com

info@dar-ketab-sunah.com

ترجمة العلامة الشيخ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي

نسبه:

هو العلامة المحدث واللغوي الشهير والأديب البارع والشاعر الفحل والرحالة المغربي الرائد الشيخ السلفي الدكتور/ محمد التقي المعروف بـ محمد تقي الدين، كنيته أبو شكيب « حيث سمى أول ولد له على اسم صديقه الأمير شكيب أرسلان »، بن عبد القادر، ابن الطيب، بن أحمد، بن عبد القادر، بن محمد، بن عبد النور، بن عبد القادر، بن هلال، ابن محمد، بن هلال، بن إدريس، بن غالب، بن محمد المكي، بن إسماعيل، بن أحمد، ابن محمد، بن أبي القاسم، بن علي، بن عبد القوي، بن عبد الرحمن، بن إدريس، ابن إسماعيل، بن سليمان، بن موسى الكاظم، بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر، ابن علي زين العابدين، بن الحسين، بن علي وفاطمة بنت النبي محمد ﷺ.

وقد أقر هذا النسب السلطان الحسن الأول حين قدم سجلماسة سنة ١٣١١ هـ .

نشأتـــه:

ولد الشيخ سنة ١٣١١ هـ بقرية «الفرخ»، وتسمى أيضا بـ «الفيضة القديمة» على بضعة أميال من الريصاني، وهي من بوادي مدينة سجلماسة المعروفة اليوم بتافيلالت الواقعة جنوبا بالمملكة المغربية. وقد ترعرع في أسرة علم وفقه، فقد كان والده وجده من فقهاء تلك البلاد.

رحلاته لطلب العلم وخدمته للدعوة:

قرأ القرآن على والده وحفظه وهو ابن اثني عشرة سنة ثم جوده على الشيخ المقرئ أحمد بن صالح ثم لازم الشيخ محمد سيدي بن حبيب الله التندغي الشنقيطي فبدأ بحفظ مختصر خليل وقرأ عليه علوم اللغة العربية والفقه المالكي إلى أن أصبح الشيخ ينيبه عنه في غيابه، وبعد وفاة شيخه توجه لطلب العلم على علماء وجدة وفاس آنذاك إلى أن حصل على شهادة من جامع القرويين. ثم سافر إلى القاهرة ليبحث عن سنة المصطفى ﷺ، فالتقى ببعض المشايخ أمثال الشيخ عبد الظاهر أبو السمح، والشيخ رشيد رضا، والشيخ محمد الرمالي وغيرهم، كما حضر دروس القسم العالي بالأزهر ومكث بمصر نحو سنة واحدة

يدعو إلى عقيدة السلف ويحارب الشرك والإلحاد. وبعد أن حج توجه إلى الهند لينال بغيته من علم الحديث فالتقى علماء أجلاء هناك فأفاد واستفاد؛ ومن أجل العلماء الذين التقى بهم هناك المحدث العلامة الشيخ عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري صاحب «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي» وأخذ عنه من علم الحديث وأجازه وقد قرَّظه بقصيدة يُهيب فيها بطلاب العلم إلى التمسك بالحديث والاستفادة من الشرح المذكور، وقد طبعت تلك القصيدة في الجزء الرابع من الطبعة الهندية؛ كما أقام عند الشيخ محمد بن حسين بن محسن الحديدي الأنصاري اليماني نزيل الهند آنذاك، وقرأ عليه أطرافا من الكتب الستة وأجازه أيضا. ومن الهند توجه إلى الزبير «البصرة» في العراق، حيث التقى العالم الموريتاني السلفي المحقق الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، مؤسس مدرسة النجاة الأهلية بالزبير، وهو غير العلامة المفسر صاحب «أضواء البيان» واستفاد من علمه، ومكث بالعراق نحو ثلاث سنين ثم سافر إلى السعودية مرورًا بمصر حيث أعطاه السيد محمد رشيد رضا توصية وتعريفًا إلى الملك عبد العزيز آل سعود قال فيها: «إن محمدا تقي الدين الهلالي المغربي أفضل من جاءكم من علماء الآفاق، فأرجو أن تستفيدوا من علمه»، فبقي في ضيافة الملك عبد العزيز بضعة أشهر إلى أن عين مراقبا للتدريس في المسجد النبوي وبقي بالمدينة سنتين ثم نقل إلى المسجد الحرام والمعهد العلمي السعودي بمكة وأقام بها سنة واحدة. وبعدها جاءته رسائل من إندونيسيا ومن الهند تطلبه للتدريس بمدارسها، فرجح قبول دعوة الشيخ سليمان الندوي رجاء أن يحصل على دراسة جامعية في الهند، وصار رئيس أساتذة الأدب العربي في كلية ندوة العلماء في مدينة لكنهو بالهند حيث بقي ثلاث سنوات تعلم فيها اللغة الإنجليزية ولم تتيسر له الدراسة الجامعية بها. وأصدر باقتراح من الشيخ سليمان الندوي وبمساعدة تلميذه الطالب مسعود عالم الندوي مجلة «الضياء». ثم عاد إلى الزبير «البصرة» وأقام بها ثلاث سنين معلما بمدرسة «النجاة الأهلية» المذكورة آنفا. وبعد ذلك سافر إلى جنيف بسويسرا وأقام عند صديقه أمير البيان، شكيب أرسلان، وكان يريد الدراسة في إحدى جامعات بريطانيا فلم يتيسر له ذلك، فكتب الأمير شكيب رسالة إلى أحد أصدقائه بوزارة الخارجية الألمانية يقول فيها : «عندي شاب مغربي أديب ما دخل ألمانيا مثله، وهو يريد أن يدرس في إحدى الجامعات، فعسى أن تجدوا له مكانا لتدريس الأدب

العربي براتب يستعين به على الدراسة»، وسرعان ما جاء الجواب بالقبول، حيث سافر الشيخ الهلالي إلى ألمانيا وعين محاضرًا في جامعة «بون» وشرع يتعلم اللغة الألمانية، حيث حصل على دبلومها بعد عام، ثم صار طالبًا بالجامعة مع كونه محاضرًا فيها، وفي تلك الفترة ترجم الكثير من الألمانية وإليها، وبعد ثلاث سنوات في بون انتقل إلى جامعة برلين طالبًا ومحاضرًا ومشرفًا على الإذاعة العربية، وفي سنة ١٩٤٠م قدم رسالة الدكتوراه، حيث فند فيها مزاعم المستشرقين أمثال: مارتن هارثمن، وكارل بروكلمان، وكان موضوع رسالة الدكتوراه: «ترجمة مقدمة كتاب الجماهر من الجواهر مع تعليقات عليها»، وكان مجلس الامتحان والمناقشة من عشرة من العلماء، وقد وافقوا بالإجماع على منحه شهادة الدكتوراه في الأدب العربي. وأثناء الحرب العالمية الثانية سافر الشيخ إلى المغرب، وفي سنة ١٩٤٧م سافر إلى العراق وقام بالتدريس في كلية «الملكة عالية» ببغداد إلى أن قام الانقلاب العسكري في العراق فغادرها إلى المغرب سنة ١٩٥٩م. وشرع أثناء إقامته بالمغرب، موطنه الأصلي، في الدعوة إلى توحيد الله ونبذ الشرك واتباع نهج خير القرون. وفي هذه السنة «سنة ١٩٥٩م» عين مدرسا بجامعة محمد الخامس بالرباط ثم بفرعها بفاس.

وفي سنة ١٩٦٨م تلقى دعوة من سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة آنذاك للعمل أستاذًا بالجامعة منتدبًا من المغرب فقبل الشيخ الهلالي وبقي يعمل بها إلى سنة ١٩٧٤م حيث ترك الجامعة وعاد إلى مدينة مكناس بالمغرب للتفرغ للدعوة إلى الله، فصار يلقي الدروس بالمساجد ويجول أنحاء المغرب ينشر دعوة السلف الصالح. وكان من المواظبين على الكتابة في مجلة «الفتح» لمحب الدين الخطيب، ومجلة «المنار» لمحمد رشيد رضا رحم الله الجميع.

شيوخه:

من شيوخه رحمه الله :

- الشيخ محمد سيدي بن حبيب الله الشنقيطي
- الشيخ عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري
- الشيخ محمد العربي العلوي
- الشيخ الفاطمي الشراوي

- الشيخ أحمد سوكيرج
- الشيخ محمد بن حسين بن محسن الحديدي الأنصاري اليماني
- الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، غير صاحب «أضواء البيان»
- الشيخ رشيد رضا
- الشيخ محمد بن إبراهيم
- بعض علماء القرويين
- بعض علماء الأزهر

مؤلفاتــه:

مؤلفات الشيخ تقي الدين الهلالي رحمه الله كثيرة جدا وجمعها ليس بالأمر الهين لأنها ألفت في أزمنة مختلفة وبقاع شتى، **ومنها** :

- الزند الواري والبدر الساري في شرح صحيح البخاري [المجلد الأول فقط]
- الإلهام والإنعام في تفسير الأنعام
- مختصر هدي الخليل في العقائد وعبادة الجليل
- الهدية الهادية للطائفة التجانية
- القاضي العدل في حكم البناء على القبور
- العلم المأثور والعلم المشهور واللواء المنشور في بدع القبور
- آل البيت ما لهم وما عليهم
- حاشية على كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب
- حاشية على كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهاب
- الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق
- دواء الشاكين وقامع المشككين في الرد على الملحدين
- البراهين الإنجيلية على أن عيسى داخل في العبودية وبريء من الألوهية
- فكاك الأسير العاني المكبول بالكبل التيجاني
- فضل الكبير المتعالي «ديوان شعر»
- أسماء الله الحسنى «قصيدة»

- الصبح السافر في حكم صلاة المسافر
- العقود الدرية في منع تحديد الذرية
- الثقافة التي نحتاج إليها «مقال»
- تعليم الإناث وتربيتهن «مقال»
- ما وقع في القرآن بغير لغة العرب «مقال»
- أخلاق الشباب المسلم «مقال»
- من وحي الأندلس «قصيدة»

وفاته:

في يوم الاثنين ٢٥ شوال ١٤٠٧هـ الموافق لـ ٢٢ يونيو١٩٨٧م أصيبت الأمة الإسلامية بفاجعة ومصيبة يصعب على القلم وصفها، وهي مصيبة موت الشيخ تقي الدين الهلالي - رحمه الله - وذلك بمنزله في مدينة الدار البيضاء بالمغرب. وقد شيع جنازته جمع غفير من الناس يتقدمهم علماء ومثقفون وسياسيون.

وقد قال رسول الله ﷺ: **«انَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا، يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى اِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالاً فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»** رواه البخاري

فنسأل الله الكريم أن يرحم الشيخ رحمة واسعة ويدخله فسيح جناته



أسماء الله الحسنى



بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحد من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر »، أخرجاه في الصحيحين ورواه البخاري وأخرجه الترمذي عن شعيب فذكر بسنده مثله وزاد بعد قوله: يحب الوتر، هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الأحد الفرد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور، ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث ورواه ابن حبان في صحيحه من طريق صفوان به.

ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى غير منحصرة في تسعة وتسعين بدليل ما رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال، ما أصاب أحدًا قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدل مكانه فرحًا، فقيل: يا رسول الله أفلا نتعلمها ؟ فقال بلى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها.

فصل في شرح هذه الأسماء المباركة

قال المحقق أحد أئمة المحدثين في هذا العصر الأخير محمد صديق حسن القنوجي في أول تفسيره المسمى فتح البيان في شرح اسم الجلالة وبيان معناه.

١ - «**الله**»: علم عربي مرتجل جامد عند الأكثر خاص لذات الواجب الوجود تفرد به الباري سبحانه لم يطلق على غيره ولا يشركه فيه أحد.

قال محمد تقي الدين: وهذا هو الصحيح خلافًا لمن قال أنه مشتق لأنه اسم الله سبحانه مع اختلاف قليل في اللفظ في جميع أخوات اللغة العربية كالعبرانية والسريانية والأشورية وغيرهن.

٢-٣- **الرحمن**: من الصفات لم يستعمل لغير الله عز وجل قال أبو علي الفارسي الرحمن اسم عام في جميع أنواع الرحمة يختص به الله تعالى **والرحيم**: إنما هو في جهة المؤمنين قال تعالى: ﴿ **وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا** ﴾ وعن ابن عباس قال هما اسمان أحدهما أرق من الآخر وقيل معناهما ذو الرحمة جمع بينهما للتأكيد وقيل غير ذلك والأول أولى وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم.

قال ابن الأثير في النهاية: في أسماء الله تعالى « الرحمن الرحيم » وهما اسمان مشتقان من الرحمة، مثل ندمان ونديم، وهما من أبنية المبالغة، ورحمان أبلغ من رحيم، والرحمن خاص لله لا يسمى به غيره ولا يوصف، والرحيم يوصف به غير الله تعالى فيقال رجل رحيم، ولا يقال رحمن.

٤- **مالك**: ثم قال القنوجي: قد اختلف العلماء أيهما ملك أو مالك والقراءتان مرويتان عن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وذكرهما الترمذي فذهب إلى الأول أبو عبيد والمبرد ورجحه الزمخشري وإلى الثاني أبو حاتم والقاضي أبو بكر ابن العربي والحق أن لكل واحد من الوصفين نوع أخصية لا يوجد في الآخر فالمالك يقدر على ما لا يقدر عليه الملك من التصرفات بما هو مالك له بالبيع والهبة والعتق ونحوها والملك يقدر على ما لا يقدر عليه المالك من التصرفات العائدة إلى تدبير الملك وحياطته ورعاية مصالح الرعية فأحدهما أقوى من الآخر في بعض الأمور والفرق بين الوصفين بالنسبة إلى الرب سبحانه أن الملك صفة

لذاته والمالك صفة لفعله.

٥- **القدوس**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « القدوس » هو الطاهر المنزه عن العيوب، ونقول: من أبنية المبالغة وقد تفتح القاف، وليس بالكثير، ولم يجئ منه إلا قدوس، وسبوح وزروح.

٦- **السلام**: قال: في أسماء الله تعالى « السلام » قيل معناه سلامته مما يلحق الخلق من العيب والفناء والسلام في الأصل السلامة، يقال سلم يسلم سلامة وسلامًا ومنه قيل للجنة (دار السلام) لأنها دار السلامة من الآفات.

٧- قال في أسماء الله تعالى « **المؤمن** » هو الذي يصدق عباده وعده، فهو من الإيمان بمعنى التصديق، أو يؤمنهم في القيامة من عذابه، فهو من الأمان، والأمن ضد الخوف.

قال محمد تقي الدين: الثاني هو الصحيح لقوله تعالى: ﴿ **وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ** ﴾ ولقول النبي ﷺ: « اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا ».

٨- **المهيمن**: قال ابن كثير في آخر سورة الحشر، (المهيمن) كقوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ أي هو الشاهد على خلقه بمعنى رقيب عليهم اهـ.

٩- **العزيز**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « العزيز » هو الغالب القوي الذي لا يغلب، والعزة في الأصل، القوة والشدة والغلبة، تقول عز يعز بالكسر إذا صار عزيزًا وعز يعز بالفتح إذا اشتد.

١٠- **الجبار**: قال في أسماء الله تعالى « الجبار » ومعناه الذي يقهر العباد على ما أراد من أمر ونهي، يقال: جبر الخلق وأجبرهم، وأجبر أكثر، وقيل هو العالي فوق خلقه، وفعال من أبنية المبالغة، ومنه قولهم: نخلة جبارة، وهي العظيمة التي تفوت يد المتناول ومنه حديث أبي هريرة « يا أمة الجبار ».

١١- **المتكبر**: قال ابن كثير في آخر سورة الحشر: ﴿ **الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ** ﴾ أي الذي لا يليق الجبروت إلا لجلاله، ولا التكبر إلا لعظمته، كما تقدم في الصحيح « العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدًا منهما عذبته، الجبار المصلح أمور خلقه المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم والمتكبر يعني عن كل سوء.

١٢-١٣-١٤- قال ابن كثير، (**هو الخالق البارئ المصور**) الخلق، التقدير. البرء هو تنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى عالم الوجود، والمصور الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها ويختارها، كقوله تعالى: ﴿ **فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ** ﴾.

١٥- **الغفار**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « الغفار والغفور » وهما من أبنية المبالغة، ومعناهما الساتر لذنوب عباده وعيوبهم، المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم وأصل الغفر: التغطية. يقال، غفر الله لك غفرًا وغفرانًا ومغفرة. والمغفرة، الباس الله العفو للمذنبين.

١٦- **القهار**: قال: في أسماء الله تعالى « القاهر » هو الغالب جميع الخلائق. يقال قهره يقهره قهرًا فهو قاهر، وقهار للمبالغة. وقهرت الرجل إذا وجدته مقهورًا أو صار أمره إلى القهر، وقد تكرر في الحديث.

١٧- **الوهاب**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « الوهاب » الهبة: العطية الخالية عن الإعراض والأغراض، فإذا كثرت سمي صاحبها وهابًا، وهو من أبنية المبالغة.

قال محمد تقي الدين: الوهاب الكثير العطاء لخلقه وهو غني عنهم لا يحتاج إلى عوض ولا مكافأة وغيره لا يعطي عطاء إلا وهو يريد مكافأة إما من الله أو من الناس، وعلى هذا لا يستحق أن يسمى في الحقيقة بهذا الاسم إلا الله تعالى.

١٨- **الرزاق**: قال ابن الأثير، في أسماء الله تعالى « الرزاق » وهو الذي خلق الأرزاق وأعطى الخلائق أرزاقها وأوصلها إليهم. وفعال من أبنية المبالغة. والأرزاق نوعان: ظاهرة للأبدان كالأقوات، وباطنة للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم.

قال محمد تقي الدين: وأهم هذا النوع الهدى والتوفيق إلى العمل الصالح المقبول فإن الإنسان أحوج إلى هداية الله في كل لحظة من لحظات حياته منه إلى الطعام والشراب.

١٩- **الفتاح**: في أسماء الله تعالى « الفتاح » هو الذي يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده وقيل معناه الحاكم بينهم، يقال: فتح الحاكم بين الخصمين إذا فصل بينهما والفاتح الحاكم، والفتاح من أبنية المبالغة.

قال محمد تقي الدين: والدليل على ذلك في معنى الرحمة قوله تعالى في أول سورة فاطر: ﴿ **مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ**

الْحَكِيمُ ﴾ وفي معنى الحكم قوله تعالى في سورة الأعراف ٨٩: **﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾**.

٢٠- **العليم:** قال ابن الأثير في أسماء الله تعالى « العليم » هو العالم المحيط علمه بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها، دقيقها وجليلها، وفعيل من أبنية المبالغة. قال تعالى في سورة الطلاق: **﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾**.

٢١- **القابض:** قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « القابض » هو الذي يمسك الرزق وغيره من الأشياء عن العباد بلطفه وحكمته ويقبض الأرواح عند الممات ومنه الحديث « يقبض الله الأرض ويقبض السماء » أي يجمعها، وقبض المريض إذا توفي، وإذا أشرف على الموت.

٢٢- **الباسط:** قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « الباسط » هو الذي يبسط الرزق لعباده ويوسعه عليهم بجوده ورحمته ويبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة، قال تعالى في سورة البقرة ٢٤٥: **﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾**.

٢٣- **الخافض:** قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « الخافض » هو الذي يخفض الجبارين والفراعنة، أي يضعهم ويهينهم، ويخفض كل شيء يريد خفضه، والخفض ضد الرفع ومنه الحديث « أن الله يخفض القسط ويرفعه » القسط: العدل ينزله إلى الأرض مرة ويرفعه أخرى.

٢٤- **الرافع:** قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « الرافع » هو الذي يرفع المؤمنين بالأسعاد، وأولياءه بالتقريب وهو مند الخفض.

قال محمد تقي الدين: قال تعالى في سورة البقرة ٢٥٣ في شأن الرسل: **﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾** وقال تعالى في سورة يوسف ٧٦: **﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾**.

٢٥- **المعز:** قال ابن الأثير: من أسماء الله تعالى « المعز » وهو الذي يهب العز لمن يشاء من عباده.

قال محمد تقي الدين: وقال تعالى في سورة فاطر ١٠: ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ** ﴾. قال تعالى في سورة آل عمران ٢٦: ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾.

٢٦- **المذل:** قال ابن الأثير في أسماء الله تعالى « المذل » هو الذي يلحق الذل بمن يشاء من عباده، وينفي عنه أنواع العز جميعها.

قال محمد تقي الدين: قال الله تعالى في سورة المنافقين: ﴿ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ وقد صدق الله وعده وأعز المؤمنين في كل زمان ومكان وأذل المعرضين عن الإسلام الذين أعز الله أسلافهم به وأذلهم بالإعراض عنه وذلك مشاهد في هذا الزمان لا يخفى على أحد.

٢٧- **السميع:** قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « السميع » وهو الذي لا يعزب عن إدراكه مسموع وإن خفي فهو يسمع وفعيل من أبنية المبالغة.

وفي دعاء الصلاة « سمع الله لمن حمده » أي أجاب من حمده وتقبله يقال اسمع دعائي » أي أجب، لأن غرض السائل الإجابة والقبول.

٢٨- **البصير:** قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « البصير » هو الذي يشاهد الأشياء كلها ظاهرها وخافيها والبصر في حقه عبارة عن الصفة التي ينكشف بها نعوت المبصرات.

٢٩- **الحكم:** قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « الحكم والحكيم » هما بمعنى الحاكم وهو القاضي، والحكيم فعيل بمعنى فاعل، أو هو الذي يحكم الأشياء ويتقنها، فهو فعيل بمعنى مفعل وقيل الحكيم ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم ومنه حديث صفة القرآن « وهو الذكر الحكيم » أي الحاكم لكم وعليكم، أو هو المحكم الذي لا اختلاف فيه ولا اضطراب، فعيل بمعنى مفعل، أحكم فهو محكم ومنه حديث ابن عباس: « قرأت المحكم على عهد رسول الله ﷺ، يريد المفصل من القرآن، لأنه لم ينسخ منه شيء وقيل هو ما لم يكن متشابهًا، لأنه أحكم بيانه بنفسه ولم يفتقر إلى غيره.

٣٠- **العدل:** قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « العدل » هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم، وهو في الأصل مصدر سمي به فوضع موضع العادل، وهو أبلغ منه لأنه جعل المسمى نفسه عدلاً.

٣١- **اللطيف:** قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « اللطيف » هو الذي اجتمع له الرفق في الفعل، والعلم بدقائق المصالح وإيصالها إلى من قدرها له من خلقه، يقال لطف به وله، بالفتح، يلطف لطفًا إذا رفق به، فأما لطف بالفتح يلطف، فمعناه صغر ودق.

٣٢- **الخبير:** قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « الخبير » هو العالم بما كان وبما يكون. خبرت الأمر أخبره إذا عرفته على حقيقته.

٣٣- **الحليم:** قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « الحليم » هو الذي لا يستخفه شيء من عصيان العباد، ولا يستنفزه الغضب عليهم ولكنه جعل لكل شيء مقدارًا فهو منته إليه.

٣٤- **العظيم:** قال القنوجي « العظيم » الكبير الشأن الجليل القدر رفيع الذكر مطاع الأمر.

٣٥- **الغفور:** بمعنى الغفار وقد تقدم شرحه.

٣٦- **الشكور:** قال القنوجي في قوله تعالى في سورة التغابن: ﴿ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ يثيب من أطاعه بأضعاف مضاعفة.

قال محمد تقي الدين: شكر المخلوق أن يكافئه على نعمته عليه بإحسان من قول وعمل بالجوارح وبالقلب كما قال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة   يدي ولساني والضمير المحجبا

أما شكر الله عبيده فهو تفضله عليهم بالثواب على طاعتهم وهو غني عن طاعتهم.

٣٧- **العلي:** قال ابن الأثير في النهاية: في أسماء الله تعالى « العلي المتعالي » فالعلي الذي ليس فوقه شيء في المرتبة والحكم، فعيل بمعنى فاعل، من علا يعلو، المتعالي: الذي جل عن إفك المفترين وعلا شأنه وقيل: جل عن كل وصف وثناء وهو متفاعل من العلو وقد يكون بمعنى العالي.

قال محمد تقي الدين: وقد تقدم في صدر هذا القسم من سبيل الرشاد من أدلة علو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه الذي هو فوق المخلوقات كلها ما يشفي صدور

أهل الحق ويشوي قلوب المعطلة كابن عطية الذي يزعم أنه مفسر وهو مكسر جهمي ضال.

٣٨- **الكبير**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « المتكبر والكبير » أي العظيم ذو الكبرياء وقيل المتعالي عن صفات الخلق.

٣٩- **الحفيظ**: قال القنوجي في تفسير قوله تعالى في سورة هود ٥٧: ﴿ **إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ** ﴾ إلى رقيب مهيمن عليه يحفظه من كل شيء.

٤٠- **المقيت**: قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى في سورة النساء ٨٥: ﴿ **وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا** ﴾ مقتدرًا من أقات على الشيء، إذا قدر عليه قال الشاعر.

وذي ضغن كففت الضغن عنه وكنت على مساءته مقيتا

أو شهيدا حافظًا واشتقاقه من القوت فإنه يقوي البدن ويحفظه.

٤١- **الحسيب**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « الحسيب » هو الكافي، فعيل بمعنى مفعل، من أحسبني الشيء، إذا كفاني، وأحسبته وحسبته بالتشديد أعطيته ما يرضيه حتى يقول حسبي.

٤٢- **الجليل**: قال ابن الأثير: من أسماء الله تعالى « الجليل » وهو الموصوف بنعوت الجلال، والحاوي جميعها هو الجليل المطلق وهو راجع إلى كمال الصفات، كما أن الكبير راجع إلى كمال الذات والصفات.

٤٣- **الكريم**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « الكريم » هو الجواد المعطي الذي لا ينفذ عطاؤه، وهو الكريم المطلق، والكريم الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل.

٤٤- **الرقيب**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى: « الرقيب » وهو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، فعيل بمعنى فاعل.

٤٥- **المجيب**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « المجيب » وهو الذي يقابل الدعاء والسؤال بالقبول والعطاء، وهو اسم فاعل من أجاب مجيب.

٤٦- **الواسع**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « الواسع » هو الذي وسع غناه كل فقير ورحمته كل شيء.

٤٧- **الحكيم**: تقدم معناه في شرح الحكم.

٤٨- **الودود**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « الودود » وهو فعول بمعنى مفعول، من الود، المحبة، يقال: وددت الرجل أوده ودا، إذا أحببته، فالله تعالى مودود، أي محبوب في قلوب أوليائه أو هو فعول بمعنى فاعل أي أنه يحب عباده الصالحين، بمعنى أنه يرضى عنهم.

قال محمد تقي الدين: كنت أظن أن ابن الأثير سلفي العقيدة برئ من التعطيل والتجهم لأني رأيت المتأخرين من المشتغلين ينقلون من كتابه شرح غريب الحديث ولما رأيت شرحه لأسماء الله الحسنى وجدته من شرار الجهمية المعطلة فانظر كيف أنكر محبة الله تعالى لخلقه وفسرها بالرضا وغلاة الجهمية ينكرون أيضًا صفة الرضا والسخط قاتلهم الله ونحن نثبت لله تعالى كلما أثبته لنفسه من الصفات والأسماء بدون تشبيه بل كما يليق بجلاله سبحانه لا إله إلا هو.

٤٩- **المجيد**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « المجيد » و « الماجد » المجد في كلام العرب الشرف الواسع ورجل ماجد، مفضال كثير الخير شريف، والمجيد، فعيل منه للمبالغة.

٥٠- **الباعث**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « الباعث » هو الذي يبعث الخلق، أي يحييهم بعد الموت يوم القيامة.

٥١- **الشهيد**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « الشهيد » هو الذي لا يغيب عنه شيء والشاهد: الحاضر وفعيل من أبنية المبالغة في فاعل، فإذا اعتبر العلم مطلقًا فهو العليم، وإذا أضيف إلى الأمور الباطنة فهو الخبير وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد.

قال محمد تقي الدين: وقد أسندت الشهادة إلى الله تعالى في مواضع من كتابه قال تعالى: **﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾** وقال تعالى: **﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾**.

٥٢- **الحق**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « الحق » هو الموجود حقيقة المتحقق وجوده والإهيته والحق ضد الباطل.

٥٣- **الوكيل**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « الوكيل » هو القيم الكفيل بأرزاق العباد، وحقيقته أنه يستقل بأمر الموكول إليه.

٥٤- **القوي**: قال محمد تقي الدين معناه واضح، قال تعالى: **﴿ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّـهِ جَمِيعاً ﴾** وكل قوي سوى الله فإن الله هو الذي وهبه تلك القوة وهو في الحقيقة ضعيف قال الله تعالى

في سورة الكهف ﴿ **مَا شَاء اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ** ﴾ وقوة الله تعالى من ذاته: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** ﴾.

٥٥- **المتين**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « المتين » هو القوي الشديد، الذي لا يلحقه في أفعاله مشقة، ولا كلفة ولا تعب، والمتانة: الشدة والقوة، فهو من حيث أنه بالغ القدرة تامها قوي ومن حيث أنه شديد القوة متين.

٥٦- **الولي**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالي (الولي) هو الناصر، وقيل المتولي لأمور العالم والخلائق القائم بها.

ومن أسمائه عز وجل « الوالي » وهو مالك الأشياء جميعها، المتصرف فيها. وكأن الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل، وما لم يجتمع ذلك فيها لم يطلق عليه اسم الوالي.

٥٧- **الحميد**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالي « الحميد » أي المحمود علي كل حال فعيل بمعني مفعول، والحمد والشكر متقاربان، والحمد أعمهما، لأنك تحمد الإنسان علي صفاته الذاتية وعلي عطائه ولا تشكره علي صفاته.

٥٨- **المحصي**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالي « المحصي » هو الذي أحصي كل شيء بعلمه وأحاط به، فلا يفوته دقيق منها ولا جليل. والإحصاء، العد والحفظ.

٥٩- **المبدىء**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالي « المبدىء » هو الذي أنشأ الأشياء واخترعها ابتداء من غير سابق مثال.

٦٠- **المعيد**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « المعيد » هو الذي يعيد الخلق بعد الحياة إلى الممات في الدنيا وبعد الممات إلى الحياة يوم القيامة.

٦١- **المحيي**: **قال محمد تقي الدين**: المحيي هو الذي يهب الحياة لكل حي.

قال الله تعالى في سورة الحج ٦٦: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ** ﴾ قال البيضاوي في تفسيرها: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ** ﴾ بعد أن كنتم جمادًا عناصر نطفا ﴿ **ثُمَّ يُمِيتُكُمْ** ﴾ إذا جاء أجلكم ﴿ **ثُمَّ يُحْيِيكُمْ** ﴾ في الآخرة ﴿ **إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ** ﴾ لجحود لنعم الله مع ظهورها.

٦٢- **المميت**: يفهم معناه من شرح الذي قبله، والذي بيده الإماتة، قال تعالى

في سورة المؤمن ٦٨: ﴿ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾.

٦٣- الحي: قال القاسمي « الحي » أي الباقي لا سبيل عليه للفناء.

٦٤- **القيوم**: الدائم القيام بتدبير الخلق.

٦٥- **الواجد**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « الواجد » هو الغني الذي لا يفتقر، وقد وجد يجد جدة: أي استغنى غنى لا فقر بعده.

٦٦- **الماجد**: تقدم معناه في شرح المجيد.

٦٧- ٦٨- **الواحد، الأحد**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « الواحد » هو الفرد الذي لم يزل وحده، ولم يكن معه آخر، قال الأزهري: الفرق بين الواحد والأحد أن الأحد بني لنفي ما يذكر معه من العدد، تقول ما جاءني أحد، والواحد، اسم بني لمفتتح العدد، تقول: جاءني واحد من الناس، ولا تقول جاءني أحد، فالواحد منفرد بالذات، في عدم المثل والنظير، والأحد منفرد بالمعنى.

وقيل، الواحد: هو الذي لا يتجزأ ولا يثنى، ولا يقبل الانقسام، ولا نظير له ولا مثيل ولا يجمع هذين الوصفين إلا الله تعالى.

٦٩- **الفرد**: **قال محمد تقي الدين**: « الفرد » هو الذي تفرد بصفات الكمال لا يشاركه فيها أحد وهو بمعنى الواحد والأحد.

٧٠- **الصمد**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « الصمد » هو السيد الذي انتهى إليه السؤدد وقيل هو الدائم الباقي، وقيل الذي يصمد في الحوائج إليه، أي يقصد.

٧١- ٧٢- **القادر، والمقتدر، والقدير**: قال ابن الأثير في أسماء الله تعالى « القادر والمقتدر والقدير » فالقادر اسم فاعل، من قدر يقدر والقدير فعيل منه، وهو للمبالغة والمقتدر مفتعل من اقتدر، وهو أبلغ.

قال محمد تقي الدين: هذه الأسماء الثلاثة تدل على ما ذكره ابن الأثير. وتدل على أن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض، وقدرته من ذاته وقدرة غيره منه سبحانه.

٧٣- **المقدم**: قال ابن الأثير « قدم » هو الذي يقدم الأشياء ويضعها في مواضعها، فمن استحق التقديم قدمه.

٧٤- **المؤخر**: قال ابن الأثير، في أسماء الله تعالى « الآخر والمؤخر » فالآخر هو الباقي بعد فناء خلقه كله ناطقه وصامته، والمؤخر هو الذي يؤخر الأشياء فيضعها في مواضعها، وهو ضد المقدم.

٧٥- **الأول**: قال القاسمي في تفسير أول سورة الحديد « هو الأول » أي السابق على كل موجود، من حيث أنه موجده ومحدثه.

٧٦- **الآخر**: قال القاسمي: « الآخر » أي الباقي بعد فناء كل شيء.

وقد روي الإمام أحمد عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ كان يدعو عند النوم، اللهم رب السموات السبع، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، خالق الحب والنوى، لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين، واغننا من الفقر. رواه مسلم.

٧٧- **الظاهر**: قال القاسمي في تفسيره، « والظاهر » أي وجوده بالأدلة الدالة عليه، وقال ابن جرير أي الظاهر على كل شيء دونه، وهو العالي فوق كل شيء فلا شيء أعلى منه.

٧٨- **الباطن**: قال القاسمي في تفسيره « والباطن » أي باحتجابه بذاته وماهيته أو العالم بباطن كل شيء، قال ابن جرير: أي الباطن جميع الأشياء فلا شيء أقرب منه، كما قال: ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** ﴾.

٧٩- **الوالي**: تقدم معناه في شرح الولي.

٨٠- **المتعالي**: تقدم معناه في شرح العلي.

٨١- **البر**: قال ابن الأثير، في أسماء الله تعالى « البر » هو العطوف على عباده ببره ولطفه. والبر والبار بمعنى، وإنما جاء في أسماء الله تعالى البر دون البار والبر بالكسر: الإحسان.

٨٢- **التواب**: الذي يقبل توبة كل تائب مخلص وهو من أبنية المبالغة أي كثير التوبة على من تاب وقال تعالى في أول سورة المؤمن: ﴿ **غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ** ﴾ وهذا المعنى في القرآن كثير، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا** ﴾.

٨٣- **المنتقم**: الذي يعاقب عباده بذنوبهم حسب مشيئته وإرادته سبحانه.

٨٤- **العفو**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « العفو » هو فعول، من العفو وهو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه، وهو من أبنية المبالغة.

٨٥- **الرؤوف**: الرحيم — وقيل الرأفة أبلغ من الرحمة.

٨٦- **مالك الملك**: تقدم معناه في شرح الملك.

٨٧- **ذو الجلال والإكرام**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « ذو الجلال والإكرام » الجلال، العظمة، ومنه الحديث، « ألظوا بياذا الجلال والإكرام » اهـ.

ومعنى « ألظوا » أي لازموا ودوموا على قول « ياذا الجلال والإكرام » في دعائكم وابتهالكم إلى الله تعالى.

٨٨- **المقسط**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « المقسط » هو العادل يقال أقسط يقسط فهو مقسط، إذا عدل، وقسط ويقسط فهو قاسط إذا جار.

٨٩- **الجامع**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « الجامع » هو الذي يجمع الخلائق ليوم الحساب، وقيل: هو المؤلف بين المتماثلات، والمتباينات، والمتضادات في الوجود.

قال محمد تقي الدين: والراجح الأول لقوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ** ﴾.

٩٠- ٩١- **الغني، المغني**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « الغني » هو الذي لا يحتاج إلى أحد في شيء، وكل أحد يحتاج إليه، وهذا هو الغني المطلق، ولا يشارك الله تعالى فيه غيره، ومن أسمائه « المغني » وهو الذي يغني من يشاء من عباده.

٩٢- **المانع**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « المانع » هو الذي يمنع عن أهل طاعته، ويحوطهم وينصرهم وقيل يمنع من يريد من خلقه ما يريد، ويعطيه ما يريد، وفيه: « اللهم من منعت ممنوع » أي من حرمته فهو محروم، لا يعطيه أحد غيرك.

٩٣- **الضار**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « الضار » هو الذي يضر من يشاء من خلقه، حيث هو خالق الأشياء كلها خيرها وشرها ونفعها وضرها.

٩٤- **النافع**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « النافع » هو الذي يوصل النفع إلى من يشاء من خلقه حيث هو خالق النفع والضر والخير والشر.

٩٥- **النور**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « النور » هو الذي يبصر بنوره ذو العماية ويرشد بهداه ذو الغواية وقيل: هو الظاهر الذي به كل ظهور فالظاهر في نفسه المظهر لغيره يسمى نورًا.

٩٦- **الهادي**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « الهادي » هو الذي بصر عباده وعرفهم طريق معرفته حتى أقروا بربوبيته، وهدى كل مخلوق إلى ما لابد له منه في بقائه ودوام وجوده.

٩٧- **البديع**: هو الخالق المخترع لا عن مثال سابق فعيل بمعنى مفعل يقال أبدع فهو مبدع اهـ من النهاية.

٩٨- **الباقي**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « الباقي » هو الذي لا ينتهي تقدير وجوده في الاستقبال إلى آخر ينتهي إليه، ويعبر عنه بأنه أبدي الوجود.

قال محمد تقي الدين: ويفسر معناه قوله تعالي: ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ** ﴾

٩٩- **الوارث**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « الوارث » هو الذي يرث الخلائق، ويبقي بعد فنائهم.

١٠٠- **الرشيد**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « الرشيد » هو الذي أرشد الخلق إلى مصالحهم، أي هداهم ودلهم عليها، فعيل بمعنى مفعل، وقيل هو الذي تتناسق تدبيراته إلى غاياتها على سنن السداد، من غير إشارة مشير ولا تسديد مسدد.

١٠١- **الصبور**: قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى « الصبور » هو الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام، وهو من أبنية المبالغة، ومعناه قريب من معنى الحليم، والفرق بينهما أن المذنب لا يأمن العقوبة في صفة الصبور كما يأمنها في صفة الحليم.

١٠٢- **المغيث**: هو الذي يغيث من استغاث به من عباده ويفرج كربه ويجعل له مخرجًا من كل ضيق وكل شدة، كما أغاث خير خلقه محمدًا ﷺ لما استغاث به في غزوة بدر، والاستغاثة من أفضل العبادات فمن استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد كفر، قال تعالى في سورة النمل ٦٢: ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ** ﴾.

انظر تفسير هذه الآية مبسوطًا في الباب الثالث من سورة النمل من القسم الأول من هذا الكتاب.

١٠٣- **القريب**: القريب من عباده بعلمه ولطفه والله تعالى يقرب من عباده كيف يشاء بلا تشبيه ولا تمثيل وليس المراد قرب المسافة، لأن الله تعالى لا يحل في خلقه ولا يحل فيه شيء من خلقه قال تعالى في سورة البقرة ١٨٦: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾.

قال (ك) في تفسير هذه الآية، روي أحمد والشيخان عن أبي موسى الأشعري قال: « كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فجعلنا لا نصعد شرفًا ولا نعلو شرفًا ولا نهبط واديًا إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير قال فدنا منا فقال: « يا أيها الناس » أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إنما تدعون سميعًا بصيرًا، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته ألا أعلمك كلمة من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال محمد تقي الدين: الأسماء التسعة والتسعون التي قصدها النبي ﷺ لا نعلم أعيانها بيقين وقد ذكر الترمذي بدل تسعة وتسعين مائة وواحدًا وزاد بعض من نظم أسماء الله الحسنى شعرًا اسمين آخرين وهما المغيث والقريب فزدتهما أنا فبلغت الأسماء مائة وثلاثة وقد تقدم أن أسماء الله ليست محصورة في التسعة والتسعين ولا في المائة والثلاثة وإنما جمعتها وشرحتها ليتوسل بها إخواننا الموحدون إلى الله الكريم امتثالاً لأمره، وطمعًا في رحمته فإن المبتعدين يتوسلون إلى الله تعالى بذوات المخلوقين والمؤمنون المتبعون لكتاب ربهم وسنة نبيهم إنما يتوسلون إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته وبأعمالهم الصالحة ولذلك قال عمر ﷺ: « اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبيك، فدعوا ودعا العباس عم النبي ﷺ فسقاهم الله تعالى، فالتوسل إنما كان بدعاء النبي ﷺ فلما انتقل إلى دار البقاء توسل عمر إلى الله تعالى بدعاء العباس، وهذا ثابت في صحيح البخاري أعني حديث عمر وتوسله بالعباس ﷺ وأما حديث الأعمى الذي يموه به المبتدعون فلا حجة لهم فيه، لأن الأعمى سأل النبي ﷺ الشفاعة والدعاء في حال حياته وهذا لا نزاع فيه على فرض صحة الحديث وفيه مقال، وقد قتل هذه المسألة بحثًا وتحقيقًا شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية في كتابه المسمى التوسل والوسيلة » ودليل التوسل بالأعمال حديث النفر الثلاثة

الذين دخلوا في الغار فانطبقت عليهم الصخرة، فدعا الله كل واحد منهم بصالح عمله ففرج الله عنهم وهذا الحديث مشهور في صحيح البخاري.

وهؤلاء المبتدعون وأكثرهم مشركون يتسترون بحديث الأعمى لعمي بصائرهم وإلا فباب التوسل إلى الله مفتوح، فمحبة النبي ﷺ واتباعه والعمل بسنته ونصر شريعته من أعظم الوسائل إلى الله تعالى فبدل أن يقول المشرك أو المبتدع اللهم إني أتوسل إليك بأنبيائك أو أوليائك يتوب إلى الله تعالى من الشرك والبدعة ويوحد الله ويتبع سنة نبيه ﷺ ويقول بصدق اللهم أني أتوسل إليك بتوحيدي لك واتباعي لسنة نبيك فيكون على الصراط المستقيم ويخرج من الظلمات إلى النور ولا ينكر ذلك عليه أحد.

والله يهدينا جميعًا إلى صراطه المستقيم، ويبعدنا عن طريق أصحاب الجحيم.

ما وقع في القرآن بغير لغة العرب



بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أن علماء اللغة اتفقوا على أن كل لغة عظيمة تنسب إلى أمة عظيمة لابد أن توجد في مفرداتها كلمات وردت عليها من أمة أخرى، لأن الأمة العظيمة لا بد أن تخالط غيرها من الأمم، وتتبادل معها المنافع من أغذية، وأدوية ومصنوعات، وتعلم وتعليم، فلا بد حينئذ من تداخل اللغات، ولا يمكن أن تستقل وتستغني عن جميع الأمم، فلا تستورد منها شيئا ولا تورد عليها شيئا، والقرآن نفسه يثبت هذا، قال تعالى في سورة إبراهيم ٣٧: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾. ذكر إبراهيم في دعائه انه أسكن ذريته يعنى إسماعيل وآله بواد غير ذي زرع وهو وادي مكة وإذا لم يكن فيه زرع لم تكن فيه ثمرات، وذكر في أثناء دعائه ومناجاته لربه، أنه أسكن ذريته بذلك الوادي المقفر ليقيموا الصلاة أي يؤدوها قائمة كاملة عند بيت الله، ويعبدوه، فسأل الله أن يجعل قلوب الناس تهوي إلى ذريته، أي تسرع إليهم شوقا ومحبة، وتمدهم بما يحتاجون إليه وأن يرزقهم من الثمرات التي تجلب إليهم من الآفاق والأقطار المختلفة ليشكروا الله على ذلك فيزيدهم، وقد استجاب الله دعوته فصارت أنواع الحبوب والثمرات والتوابل والأدوات والثياب والتحف، والطرائف تجلب إلى مكة من جميع أنحاء المعمور.

وهذه الأمور التي تجلب إليها كثير منها وضعت أسماؤها في البلدان التي تصدر منه، فإذا جاءت إلى أهل مكة يسمونها بالاسم الذي جاءت به فتندمج في لغتهم وتصير جزءاً منها، والأصل في اللغات: أن الأشياء العامة توجد لها أسماء في كل لغة، أما الأشياء الخاصة التي خص الله بها قطرا بعينه فإن الاسم الذي سماها به أهل ذلك القطر الذي خلقت فيه يبقى في الغالب ملازما ولنضرب لذلك مثلا، الجوز الهندي والنخيل الذي يثمره وهو «نارجيل» ويسمى بالهندية «ناريل» فهو يجلب إلى غير الهند، دون أن يبدل اسمه، وثمر «الأمبة» وهو أحسن الفواكه في الهند وقد يكون أحسن الفواكه مطلقا، يوجد دائما في مكة شرفها الله في أحقاق، إذا أكلته تظن أنك أكلته تحت شجرته وهذه الفاكهة موجودة في مصر وتسمى «مانكة» وتنقل إلى بلدان أخرى ويبقى اسمها ملازما لها.

وكذلك ثمر «أناناس» يجلب من أندونيسيا ويبقى اسمه ملازما له وقس على ذلك.

وقد قال أحد علماء الفيلولوجيين أي علماء اللغات: إن لغة سكان أستراليا الأصليين لا تزيد مفرداتها على مائة لأنهم أبعد الناس على المدنية التي تستلزم مخالطة الأمم الأخرى وتبادل المنافع معها، فكلما عظمت اللغة دلت عظمتها وثروتها ووفرة ألفاظها على مخالفة أهلها لشعوب أخرى واقتباسها منهم فهي تعطي وتأخذ.. وقد أخبرنا القرآن أن قريشا كانت لهم رحلتان رحلة في الشتاء إلى جنوب الجزيرة العربية اليمن، ورحلة في الصيف إلى الشام وكانوا تجارا ينقلون البضائع من بلد إلى بلد، وكانت مكة شرفها الله تعالى مركزا عظيما للتجارة قبل الإسلام فكانت تنقل إليها البضائع من الشرق والغرب والجنوب والشمال فكيف يتصور أن لغة العرب تبقى مغلقة مختوما عليها لا تخرج منها كلمة ولا تدخلها كلمة. والأئمة الذين أنكروا وجود كلمات غير عربية في القرآن تمسكوا بظاهر قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ وقوله تعالى في سورة النحل:١٠٣ ﴿ **لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ** ﴾، وما أشبه ذلك وهم على حق فيما قالوا ،فليس في القرآن كلمة أعجمية باقية على عجمتها البتة، فكل ما في القرآن من الكلمات كانت تنطق به العرب وتفهمه وهو جار على سنن كلامها لا خلاف في ذلك نعلمه، إنما الخلاف في المعرب هل هو موجود في القرآن أم لا؟

قال السيوطي في الإتقان: "قد أفردت في هذا النوع كتابا سميته (المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب) وأنا ألخص هنا فوائد فأقول: اختلف الأئمة في وقوع المعرب في القرآن فالأكثرون ومنهم الإمام الشافعي وابن جرير وأبو عبيدة والقاضي أبو بكر وابن فارس على عدم وقوعه فيه لقوله تعالى: ﴿ **قُرْآناً عَرَبِيّاً** ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ** ﴾ وقد شدد الشافعي النكير على القائل بذلك.

وقال أبو عبيدة: "إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول ومن زعم أن ﴿ **لدا** ﴾ بالنبطية فقد أكبر القول"، وقال ابن فارس: "لو كان فيه من لغة غير العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله لأنه أتى بلغات لا يعرفونها". اهـ.

قال محمد تقي الدين: "إنما يمكن أن يقال ذلك إذا كان في القرآن تراكيب أعجمية، أو كلمات باقية على عجمتها، أما وجود كلمات قد صقلتها العرب بألسنتها ونحت بها مناحي كلماتها ودخلت في أوزانها فلا يمكن أحدا أن يدعي ذلك فيها، وقد رد القرآن نفسه على من زعم ذلك من أعداء الإسلام الأولين، فقال تعالى: في سورة النحل ١٠٣: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ وتحداهم أن يأتوا بسورة مثله بأشد أساليب التحدي، فقال تعالى في سورة البقرة ٢٣ـ ٣٤: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ وقال تعالى في سورة الإسراء ٨٨: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ فأي عدو يسمع مثل هذا التحدي لا يبذل قصارى جهده في معارضة عدوه وإبطال تحديه ولو أن إحدى الدولتين المتعارضتين اليوم وهما الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي صنعت إحداهما سفينة فضائية مثلا وقالت للأخرى: انك لن تستطيعي أن تصنعي مثلها لغضبت الدولة المتحداة ولم يقر لها قرار، حتى تصنع سفينة مماثلة أو فائقة لما صنعته الدولة المتحدية.

وها نحن اليوم نرى الصين الشيوعية لما رأت عدوتها الولايات المتحدة متفوقة في صنع القنابل الذرية والهيدروجينية فقدت عقلها حنقا وغيظا وهي جادة في صنع هاتين القنبلتين، وزادها غيظا أن أختها في الشيوعية دولة الاتحاد السوفياتي ضنت عليها بالمساعدة على التوصل إلى هذا الغرض مع أن الولايات المتحدة لم تتحد الصين إلا بلسان الحال، بل هذه فرنسا قلبت ظهر المجن لحليفتها الولايات المتحدة وبريطانيا لأنهما لم يشركاها فيما وصلتا إليه من صنع القنبلتين المذكورتين إلا بقدر ضئيل لا يشبع نهمتها. ولم يقل أحد من العرب المعادين للإسلام: إن الذي منعهم من معارضة القرآن هو وجود كلمات فيه غير عربية بل سلموا أنه كله عربي.

أما كتاب السيوطي الذي سماه (المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب) فلا نعلم أنه موجود في هذا الزمان، لكن الملخص الذي نقله منه مؤلفه في كتاب الإتقان لا يدل على أن المؤلف – مع غزارة علمه – كان أهلا أن يؤلف في هذا الباب لأنه فيما يظهر لم يكن يعرف

إلا اللغة العربية والمؤلف في هذا الموضوع يحتاج إلى إلمام باللغات التي قيل أن بعض مفرداتها قد عرب ودخل في القرآن، فإن لم يعلم بها كلها فلا أقل من الإلمام ببعضها، وأكثر علماء العرب مقصرون في علم اللغات، والذين يعرفون شيئاً من اللغات الأخرى منهم قليل. وقد كان عمر رضي الله عنه يعرف اللغة العبرانية ويقرأ التوراة ويفهمها.

وقال الترمذي في جامعه (باب تعليم السريانية) ثم روى بسنده إلى زيد بن ثابت قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم كلمات من كتاب يهود وقال: «**إني والله ما آمن يهود على كتابي**»، قال فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له، قال فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم" . هذا حديث حسن صحيح.

قال العالم الرباني أستاذي عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري الهندي رحمه الله رحمة واسعة في شرح هذا الحديث من كتابه (تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي ج ٣ ص٣٩٢) ما نصه: "قال القاري: قيل فيه دليل على جواز تعلم ما هو حرام في شرعنا للتوقي والحذر عن الوقوع في الشر كذا، ذكره الطيبي في ذيل كلام مظهري وهو غير ظاهر إذ لا يعرف في الشرع تحريم تعلم من اللغات سريانية أو عبرانية هندية أو تركية أو فارسية وقد قال تعالى سورة الروم الآية ٢٢: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ** ﴾ أي لغاتكم بل هو من جملة المباحات. اهـ.

وهذا الحديث رواه أيضا أحمد وأبو داود والبخاري في تاريخه وذكره في صحيحه تعليقا، ومعنى الحديث أن النبي ﷺ أمر الصحابي الجليل كاتب الوحي زيد بن ثابت أن يتعلم كتابة اليهود وفي رواية «**أمره أن يتعلم السريانية**» وعلل ذلك بأنه عليه الصلاة والسلام لا يأمن اليهود أن يقرؤوا له كتابا يأتيه منهم لئلا يزيدوا فيه وينقصوا أو يبدلوا ويغيروا، فتعلم زيد ما أمره به النبي ﷺ في نصف شهر. وقد يشكل فهم هذا من وجهين:

الأول: أن المعهود من اليهود أن يتكلموا ويكتبوا بالعبرانية لا بالسريانية.

الثاني: كيف يستطيع متعلم أن يتعلم لغة أجنبية في نصف شهر؟ والجواب عن الأول أن اليهود في زمان النبي ﷺ بل في زمان عيسى ابن مريم وقبله بزمن لم يكونوا يتكلمون ويكتبون بالعبرانية لأنها كانت قد انقرضت ولم يبق منها إلا كلمات قليلة تردد في الصلوات، وكان اليهود يكتبون علومهم الدينية والدنيوية ويتخاطبون بالسريانية، وإنما

جددوا العبرانية وأحيوها وبذلوا في ذلك جهودا عظيمة في هذا العصر الأخير. والجواب عن الثاني: أن زيدا لم يتعلم اللغة في نصف شهر وإنما تعلم الكتابة والقراءة، أما معاني لغة اليهود فكان يفهمها لأنها كانت لا تزال قريبة جدا من لغة العرب، ولأن قبائل من اليهود كانت مساكنة للأنصار وتعلم اللغات الأجنبية للانتفاع بها في أمور الدين والدنيا أمر محمود إذا لم يكن على حساب لغة القرآن كما يفعل سكان المستعمرات المتهوكون في زمان الاستعمار وبعده فيحقرون لغة القرآن وهي لغة دينهم وتاريخهم ومجدهم ويتعلمون لغة المستعمر ويتطاولون بها ويشمخون بأنوفهم ويتراطنون بها بغير ضرورة ويحتقرون شعوبهم لعدم استعمال تلك اللغة الأجنبية فهؤلاء أعضاء مجذومة في جسم الأمة يجب قطعها وهم يعلمون أن جميع الأمم تحتقرهم لأنه لا يكون لهم فضل بتعلمهم تلك اللغة الأجنبية إلا إذا أتقنوا لغتهم وكانوا أعضاء نافعين في أمتهم، ولكن..

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت إيلام

ثم قال السيوطي: "قال ابن جرير: ما ورد عن ابن عباس وغيره من تفسير ألفاظ القرآن أنها بالفارسية أو الحبشية أو النبطية أو نحو ذلك إنما اتفق فيها توارد اللغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد". اهـ.

قال محمد تقي الدين: ابن جرير إمام المفسرين في زمانه وما بعده وقد أخطأ في هذا الرأي إذ لا يمكن أن تتكلم هذه الشعوب المتباينة في أنسابها ولغتها المتباعدة في أوطانها على سبيل المصادفة والاتفاق وتوارد الخواطر بتلك الكلمات الكثيرة العدد على أن الذين قالوا في القرآن كلمات كانت في الأصل غير عربية ثم صارت بالاستعمال عربية لم يقل أحد منهم أن الكلمة التي أصلها فارسي قد اتفق فيها الفرس مع العرب والنبط والحبشة، بل إذا كانت الكلمة فارسية كالأباريق مثلا لم تكن حبشية ولا نبطية والكلمة التي قيل: إنها حبشية (كابلعي) من قوله تعالى: ﴿ **يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ** ﴾ لم يقل أحد أنها توافق الفارسية والنبطية.. وهكذا يقال في سائر الكلمات كما سيأتي في ذكر الكلمات التي نسب أصلها إلى غير العربية. ثم قال السيوطي: "قال غيره بل كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلغتهم بعض مخالطة لسائر الألسنة في أسفارهم فعلقت من لغاتهم ألفاظا غيرت بعضها بالنقص من حروفها واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الفصيح ووقع بها

البيان وعلى هذا الحد نزل بها القرآن". انتهى. هذا هو الحق الذي لا ريب فيه ثم ذكر السيوطي آراء أخرى يظهر زيفها عند الامتحان فأعرضت عن نقلها. ثم نقل عن الجويني ما معناه في القرآن وعد ووعيد، والوعد يذكر فيه ثواب المطيعين وما أعد الله لهم في الدارين مما تشتهيه أنفسهم ويرغبهم في فعل الطاعات وذلك يتضمن مآكل ومشارب وثيابا ومساكن طيبة وحورا عينا وفرشا طيبة وغلمانا للخدمة وبعض تلك الأمور صنعته أمم غير عربية وسمته بكلمات من لغاتها فنقله العرب عنها فصار ذكره في وصف النعيم والعيشة الراضية لابد منه وهو ما غلظ من ثياب الحرير،وضرب لذلك كلمة إستبرق مثلاً، وهو ما غلظ من ثياب الحرير، والسندس مارق منه. قال البيضاوي وهو معرب (استبره) بالفارسية فلو أريد التجنب استعمال كلمة إستبرق، فأما أن يترك ذكر هذا النوع من الثياب أصلا فلا يتم المقصود وهو وصف العيشة الراضية، وإما أن يعبر عنه بكلمتين أو أكثر كثياب الحرير الغليظة فتفوت البلاغة إذن فلابد من التعبير به ليكون الكلام بليغا. ثم قال السيوطي: "قال أبو عبيد القاسم بن سلام بعد أن حكى هذا القول بالوقوع عن الفقهاء والمنع عن أهل العربية، والصواب عندي ما ذهب فيه تصديق القولين جميعا وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء لكنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفظها، فصارت عربية ثم نزل القرآن بها وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال: أعجمية فصادق، ومال إلى هذا القول الجواليقي وابن الجوزي وآخرون". اهـ.

الكلمات المشتركة

أول القرآن ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ اشتملت على أربع كلمات اسم، الله، الرحمن، الرحيم، ابدأ بالكلام على الرحمن. قال السيوطي في كتاب الإتقان: "ذهب المبرد وثعلب إلى أنه عبراني وأصله بالخاء المعجمة. قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى في سورة الفرقان الآية ٦: ﴿ **قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ** ﴾ الآية. لأنهم ما كانوا يطلقونه على الله أو لأنهم ظنوا أنه أراد به غيره ولذلك قالوا: ﴿ **أنسجد لما تأمرنا** ﴾ ؟ أي للذي تأمرنا يعني تأمرنا بسجوده أو لأمرك لنا من غير عرفان وقيل لأنه كان معربا لم يسمعوه". اهـ..

وهذا يدل على ما قلته سابقا من جهل علماء العرب باللغات حتى أخوات لغتهم كالعبرانية والسريانية، فالرحمن كلمة عربية خالصة من الرحمة بزيادة الألف والنون كظمآن وعطشان، وكانت العرب تعرفه وتفهم معناه وقد سموا به مسيلمة الكذاب فكانوا يدعونه (رحمان اليمامة) ولكنهم لجهلهم لم يكونوا يعلمون أنه من أسماء الله.

ومن أعجب العجب قولهم إنه عبراني وإن أصله بالخاء المعجمة، والخاء المعجمة لا وجود لها في العبرانية استقلالا وإنما تنطق الكاف بها إذا جاءت قبلها حركة مثل (هبراخا) البركة ومثل باروخ، أي مبارك ومعناه بالعبرانية هو معناه بالعربية، إلا أنه في اللغة العبرانية، صفة عامة لكل من في قلبه رحمة ليس خاصا بالله تعالى، إذن فهو من الكلمات المشتركة بين العبرانية والعربية وهي كثيرة تعد بالآلاف، وهذه الكلمات الأربع التي في البسملة كلها مشتركة بين اللغتين، فالاسم (شم) بإبدال السين شينا وذلك كثير في العبرانية، والله (الوهيم) والرحمن لفظه بالعبرانية كلفظه بالعربية إلا أداة التعريف فإنها بالعبرانية (هارحمان) والرحيم بالعبرانية (هارحوم).. وهذه الكلمات الكثيرة المشتركة بين اللغات السامية هي أصلية في كل واحدة منها، لا يقال إن إحداهن أخذتها من الأخرى وهذا هو الشأن في كل مجموعة من اللغات ترجع إلى أصل واحد كاللغات اللاتينية كالإيطالية والإسبانية والفرنسية والرومانية والبرتغالية، ومجموعة اللغات الجرمانية كالألمانية والهولندية والفلمنكية والسويدية والنرويجية والدانماركية.

لفظ الجلالة (الله) هل هو مشتق أو مرتجل؟

ومن ذلك المعركة الكبرى التي خاضها علماء العربية في لفظ الجلالة (الله) أهو مرتجل أم مشتق؟ وإن كان مشتقا فهل اشتقاقه من (أله) أو من (وله) أو من (لاه) وما هو أصله على كل من هذه الأوجه وماذا جرى عليه من الحذف والإدغام حتى بلغ صورته التي هو عليها؟ ومن تعلم شيئا من اللغات السامية أخوات اللغة العربية لا ينقضي عجبه من الخائضين في تلك المعركة ويرى جهودهم ضائعة ويحكم يقينا أن الاسم الكريم مرتجل بلا مرية وهو بعيد كل البعد من الاشتقاق، فإنه ثابت بهذا اللفظ في جميع اللغات السامية ففي السريانية (ألاها) والشرقيون منهم ينطقون به (ألاهو) وهو كذلك في الآشورية بفتح الهمزة في اللغات الثلاث وبالعبرانية (ألوهيم). ولا تختلف الشعوب السامية فيما أعلم في هذا الاسم

الكريم وكذلك في مجموعة اللغات اللاتينية، وفي مجموعة اللغات الجرمانية الاسم الكريم عندهم واحد مهما اختلفت لغاتهم في الكلمات الأخرى لا تختلف فيه.

مثال يدل على تقارب اللغتين العربية والعبرانية

جاء في ترجمة يوسف روفلين للقرآن الكريم بالعبرانية في أول سورة الصف ما نصه مع استبدال الحروف العبرانية بحروف عربية (باراششت همعراخا) سورة المعركة (بشم الوهيم هارحمان هارحوم يشبح أث الوهيم كل أشر بشاميم وغل أشر باآرص وهو هكبور وهحاخام همأمنيم لا ماتوا مروات أثر لو تعسوا) بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾. فأنت ترى أن الألفاظ كلها مشتركة من أول البسملة إلي قوله تعالى: (لم) إلا أن لفظ (سبح) أبدلت سينه شينا وحل المضارع محل الماضي، وهذا الفعل في العبرانية متعد بنفسه وكذلك في العربية قال تعالى في سورة ق. ٤٠: ﴿ **وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ** ﴾ وإلا ترجمة (ما) الموصولة بـ (أشر) وزيادة (كل) لأن الترجمة إنما هي تفسير وإبدال سين السماوات شينا وجمعها بالياء والميم واستعمال (باء) الجر في موضع (في) وهو جائز في العربية قال تعالى في سورة الصافات ١٣٧ ، ١٣٨: ﴿ **وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ وإبدال ضاد الأرض صادا وإبدال العزيز بالجبار (هكبور) وهما متقاربان في المعنى وإبدال الحكيم (هحاخام) وهما شيء واحد إلا أن الكاف أبدلت خاء.

وترجمت ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ بـ (همأمينيم) يعني المؤمنين. وترجمت (لم) بـ (لاما) وتقولون بـ(تومرو) وترجمت (لا) بـ(لو) وهما شيء واحد بإمالة الألف إلى الواو وترجمت تفعلون بـ(تعسوا) الواو في (تومور وتعسوا) واو الجماعة وحذفت النون فيهما بلا ناصب ولا جازم كما تحذف في العمليات العربية وهذه النون هي نون الرفع وهي ثابتة في التوراة في مواضع تفوق الحصر وليس كما قال بعض المستشرقين في خمسة مواضع فقط.

أمثلة من الكلمات التي قيل إنها وقعت في القرآن من غير العربية

١- أباريق

قال السيوطي في الإتقان: "حكى الثعالبي في فقه اللغة أنها فارسية، وقال الجوالقي الإبريق فارسي معرب ومعناه طريق الماء أو صب الماء على هينة. قال في لسان العرب والإبريق إناء وجمعه أباريق فارسي معرب، قال ابن بري شاهده قول عدي بن زيد:

ودعـــا بالصـــبوح يومـــا فجـــاءت قينـــــة في يمينهـــــا إبريــــق

وقال كراع هو الكوز وقال أبو حنيفة مرة هو الكوز وقال مرة هو مثل الكوز وهو في كل ذلك فارسي وفي التنزيل ﴿ **يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ** ﴾ وأنشد أبو حنيفة لشبرمة الضبي:

كـــأن أبـــاريق الشـــمول عشـــية إوز بـــأعلى الطـــف عـــوج الحنـــاجر

وقال الفيروز أبادي في القاموس: "الإبريق معرب (ا ب ر ي) جمع أباريق. "اهـ.

قال بعض العلماء: هو مركب من كلمتين (آب) وهو الماء و(راه) وهو الطريق، وقيل مركب من (آب) وهو الماء و(ريختن) وهو الصب على مهل قاله أرثر جفري (Arthur Jeffery) في كتابه الألفاظ الأجنبية في القرآن (vocabulary of the the foreign quran)

٢- الأب

قال السيوطي: "(آب) قال بعضهم وهو الحشيش بلغة أهل الغرب حكاه شيدلة". اهـ. ونقله عنه جفري وفسر لغة أهل الغرب بالبربرية. أقول وهذا من أعجب العجب ولا نعلم أن العرب كانت لهم علاقة بالبربر قبل الإسلام حتى تقتبس العربية من لغتهم ثم إن هذه الكلمة يبعد أن تكون بربرية لأنها لا تشبه الكلمات البربرية وإنما تشبه العربية والسريانية والعبرانية. وقال جفري أنه مأخوذ من (أبا) الآرامية ومعناه الخضرة.

وقال في لسان العرب: "الأب: الكلأ وعبر بعضهم عنه بأنه المرعى، وقال الزجاج: الأب، جميع الكلأ الذي تعتلفه الماشية، وفي التنزيل العزيز ﴿ **وَفَاكِهَةً وَأَبّاً** ﴾ ، قال أبو حنيفة سمى الله تعالى المرعى كله أبا. قال الفراء الأب ما يأكله الأنعام، وقال مجاهد: الفاكهة ما

أكله الناس، والأب ما أكلت الأنعام، فالأب من المرعى للدواب كالفاكهة للإنسان. وقال الشاعر:

جذ منا قيس ونجد دارنا ولنا الأب به والمكرع

قال ثعلب: الأب كل ما أخرجت الأرض من النبات، وقال عطاء كل شيء ينبت على وجه الأرض فهو الأب وفي حديث أن عمر بن الخطاب "قرأ قوله عز وجل: ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبّاً ﴾ وقال فما الأب؟ ثم قال ما كلفنا وما أمرنا بهذا". اهـ.

وقال ابن كثير عن ابن جرير بسنده إلي أنس قال قرأ عمر بن الخطاب ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾ فلما أتى على هذه الآية: ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبّاً ﴾ قال قد عرفناها الفاكهة فما الأب؟ فقال لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلّف" فهو إسناد صحيح رواه غير واحد عن أنس به. وهذا محمول على أنه أراد يعرف شكله وجنسه وعينه وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض لقوله تعالى: ﴿ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً وَعِنَباً وَقَضْباً وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً وَحَدَائِقَ غُلْباً وَفَاكِهَةً وَأَبّاً ﴾

٣- ابلعي

قال السيوطي في الإتقان: "أخرج ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه في قوله تعالى ١١-٤٤: ﴿ ابْلَعِي مَاءَكِ ﴾، قال بالحبشية ازدرديه، وأخرج أبو الشيخ من طريق جعفر بن محمد عن أبيه قال اشربي بلغة الهند". اهـ.

وإن تعجب فعجب قولهم: أن (ابلعي) بلغة من الهند وهذا القول إلى الهزل أقرب منه إلى الجد وقائله ليس أهلا أن يؤخذ عنه العلم وإنما هو يهرف بما لا يعرف وأهل الهند أجناس كثيرة لهم مئات من اللغات ولا تكاد تسير مسافة يوم إلا وجدت جنسا آخر له لغة أخرى. وفي زماننا هذا نرى الدماء تسفك بينهم بسبب اللغات فلا يرضى جنس أن تكون لغة الدولة لغة أخرى غير لغته، وفي زمان الاستعمار لم تكن في الهند لغة يستطيع المسافر أن يتكلم بها ويجد من يفهم كلامه في جميع أنحاء الهند إلا لغتين إحداهما: الإنكليزية وهي لغة الدولة الحاكمة، والثانية لغة المسلمين وهي لغة أوردو، على أن (بلغ) كلمة عربية سامية أصيلة عريقة في عروبتها وساميتها وترفع راية اللغات السامية وهي حرف العين.

ومن المعلوم عند علماء اللغات أن العين والحاء لا توجدان إلا في اللغات السامية، فان وجدت إحداهما في كلمة من لغة غير سامية فتلك الكلمة طارئة واردة على تلك اللغة وبهذا يستدل الفيولوجيون على أن البربر من جزيرة العرب قبل خروج البابليين الآشوريين والكنعانيين والفينيقيين كما هو مبين في موضعه.

ونحن نرى إخواننا عامة المسلمين من أهل الهند يبذلون جهودهم في النطق بقوله تعالى: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين** ﴾ فلا يتمون النطق بالعينين حتى تغفر ذنوبهم من مشقة النطق بهما. ولذلك نرى السيوطي في كتاب الإتقان كحاطب ليل وليس عنده تحقيق ولا إتقان وهذا شأنه في علوم المنقول، أما في علوم المعقول كعلوم العربية فهو فارس لا يشق له غبار. وقد تحامل عليه الحافظ السخاوي في كتابه (الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع) فالله يغفر لهما جميعا.

٤ - أخلد

قال السيوطي في الإتقان قال الواسطي في الإرشاد أخلد إلى الأرض ركن بالعبرية. اهـ.

أقول: هذا القول لا يقوله إلا جاهل باللغات السامية فإن أخلد وخلد موجودتان في اللغتين كلتيهما ومتفقتان في معانيهما في الجملة فمن قال: أنهما عبريتان وليستا عربيتين لقد قفا ما لا علم له به ومن قال العكس فهو مثله، غير أن (أخلد) في العبرانية بالحاء المهملة، وكذلك (خلد) وقد تقدم أن الخاء المعجمة لا توجد بالأصالة في العبرانية وإنما توجد بالعرض في حرف الكاف إذا جاءت بعد حركة، ولم نر أحدا علماء اللغة العربية أشار إلى أن(أخلد)عبرانية كما ادعى هذا المدعي. قال في لسان العرب وخلد إلى الأرض وأخلد أقام فيها وفي التنزيل العزيز: ﴿ **وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ** ﴾ أن ركن إليها وسكن وأخلد إلى الأرض وإلى فلان أي ركن إليه ومال إليه ورضي به، ويقال خلد إلى الأرض بغير ألف وهي قليلة. اهـ.

وقال البيضاوي في تفسيره ﴿ **وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ** ﴾ مال إلى الدنيا أو إلى السفالة ﴿ **وَاتَّبَعَ هَوَاهُ** ﴾ في إيثار الدنيا واسترضاء قومه وأعرض عن مقتضى الآيات. اهـ.

٥ - الأرائك

قال السيوطي في الإتقان: "حكى ابن الجوزي في فنون الأفنان أنها السرر بالحبشية" اهـ. قال الراغب: " الأريكة حجلة على سرير جمعها (أرائك وتسميتها لذلك إما لكونها في الأرض متخذة من أراك وهو شجرة أو لكونها مكانا للإقامة من قولهم أرك بالمكان أروكا وأصل الأروك الإقامة على رعي الأراك ثم تجوز به في غيره من الإقامات" اهـ. وقال في لسان العرب: والأريكة: سرير في حجلة والجمع أريك وأرائك، وفي التنزيل: ﴿ **عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ** ﴾ قال المفسرون: الأرائك: السرر في الحجال، وقال الزجاج: الأرائك: الفرش في الحجال، وقيل: هي الأسرة وهي في الحقيقة الفرش كانت في الحجال أو في غير الحجال، وقيل: الأريكة سرير منجد مزين في قبة أو بيت فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة. وفي الحديث: «**ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله**»، الأريكة السرير في الحجلة من دونه ستر، ولا يسمى منفردا أريكة. "اهـ. قال في اللسان: "والحجلة: مثل القبة وحجلة العروس معروفة وهي بيت يزين بالثياب والأسرة والستور"، فقد رأيت أن الأرائك كلمة عربية خالصة، وبطل ما ادعاه السيوطي ومن نقل عنه.

٦- اسباط

قال السيوطي في الإتقان: "حكى أبو الليث في تفسيره أنها بلغتهم كالقبائل بلغة الغرب". اهـ.

وفي هذا الكلام شيء ساقط لأن الضمير في لغتهم لم يذكروا ما يعود عليه وهذا الساقط يحتمل أن يكون يدل على بني إسرائيل وكلام جفري يؤيد هذا الاحتمال وهذا نص ترجمته بالعربية..

اضطر أبو الليث أن يعترف أنه أي السبط لفظ عبراني مستعار، قاله السيوطي في الإتقان. وقد أطال جفري البحث في هذا اللفظ وادعى أنه لم يستعمل في كلام العرب قبل استعماله في القرآن وربما يكون أول من استعمله محمد.

ونحن نقول لجفري وأمثاله من الذين أعمى التعصب بصائرهم وأفقدهم صوابهم: إن الله الذي أنزل التوراة والإنجيل اللذين تؤمن بهما أنت هو الذي أنزل القرآن على عبده ورسوله محمد بن عبد الله خاتم النبيين على رغم أنفك ولا ضير على القرآن أن يوجد فيه لفظ شاع استعماله في العبرانية لأن هاتين اللغتين نشأتا من أصل واحد وإذا جاز أن يكون في القرآن ألفاظ هي في الأصل فارسية مع أن لغة الفرس بعيدة من لغة العرب فما المانع أن توجد فيه ألفاظ عبرانية أو سريانية؟وإذا اعتبرنا السبط اسما لقبيلة من قبائل بني إسرائيل فالتعبير به طبيعي وهو أولى من التعبير عنه بالقبيلة لأنه صار شبيها بالأعلام التي يجب ذكرها بلفظها.

قال في لسان العرب: " والسبط من اليهود كالقبيلة من العرب وهم الذين يرجعون إلى أب واحد، سمي سبطا ليفرق بين ولد إسماعيل وولد إسحاق وجمعه أسباط. وقوله عز وجل: ﴿ **وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً** ﴾ ، ليس أسباطا بتمييز لأن المميز إنما يكون واحدا لكنه بدل من قوله: ﴿ **اثْنَتَيْ عَشْرَةَ** ﴾ كأنه قال: جعلناهم أسباطا والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب" . اهـ.

وأصله بالعبرانية (شبط) على وزن ابل ومعناه القضيب والعصا والقبيلة.

٧ - إستبرق

قال السيوطي الإتقان: "أخرج ابن أبي حاتم أنه الديباج بلغة العجم". اهـ. وقال البيضاوي في قوله تعالى في سورة الدخان٥٣: ﴿ **يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ** ﴾. السندس مارق من الحرير والإستبرق ما غلظ منه معرب استبره" . اهـ.

قال جفري وهذا من الألفاظ القليلة التي اعترف المسلمون أنها مأخوذة من الفارسية وعزاه إلى السيوطي في الإتقان وفي المزهر حكاه فيه عن الأصمعي وإلى السجستاني في غريب القرآن وإلى الجوهري في الصحاح وإلى كتاب الرسالة للكندي وإلى ابن الأثير في النهاية قال وبعضهم يقول انه لفظ عربي مأخوذ من البرق ". اهـ.

٨ - السندس

قال في القاموس: "ضرب من رقيق الديباج معرب بلا خلاف". اهـ. وقال في لسان العرب السندس البزيون.

وفي الحديث: «**أن النبي ﷺ بعث إلى عمر بجبة سندس**».

قال المفسرون في السندس أنه رقيق الديباج ورفيعه وفي تفسير الإستبرق أنه غليظ الديباج ولم يختلفوا فيه، الليث، السندس ضرب من البزيون يتخذ من المر عزى ولم يختلف أهل اللغة فيهما أنهما معربان". اهـ.

٩- أسفار

قال السيوطي في الإتقان: "قال الواسطي في الإرشاد: هي الكتب بالسريانية وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال: هي الكتب بالنبطية". اهـ.

قال محمد تقي الدين: يا لله للعجب؟كيف يقال: إن الأسفار جمع سفر- بكسر فسكون- ليس بعربي وإنما هو سرياني أو نبطي، لا جرم لا يقول ذلك إلا جاهل باللغات السامية، والحق الذي لاشك فيه أن السفر كلمة عربية خالصة وهي في الوقت نفسه عبرانية وسريانية ونبطية فهي من الألفاظ المشتركة بين اللغات السامية ليست واحدة منها أولى بها من غيرها.

أخلاق الشباب المسلم



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى في سورة (الإسراء: ٧٠): ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾.

قال القاسمي في تفسيره: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾: «أي بالنطق والتمييز والعقل والمعرفة والصورة والتسلط على ما في الأرض والتمتع به، ﴿ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ أي يسّرنا لهم أسباب المعاش والمعاد بالسير في طلبها فيهما وتحصيلها ﴿ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ أي فنون المستلذات التي لم يرزقها غيرهم من المخلوقات ﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ أي عظيما، فحقّ عليهم أن يشكروا هذه النعم بأن يعبدوا المتفضل بها وحده ويقيموا شرائعه وحدوده» اهـ.

فتفضيل الله للإنسان وتكريمه له بجعله الحاكم المتصرف، وتسخيره له ما في الأرض من حيوان ونبات وجماد يتصرف فيه كيف يشاء، ويسيّره في خدمته، لم يكن بقوة الجسم ولا بخواص الأعضاء، فإن كثيراً من الحيوان كالأسد والنمر والفيل والدب والفرس والبعير أقوى منه بكثير، وللحيوان مزايا في خلقه ليست للإنسان، فمنه ما أعطي مزية السرعة في الجري والسبق كالنعامة والغزال، ومنه ما أعطي من حاسة الشم أو البصر أو السمع ما يفوق الإنسان بكثير، فالمزية الكبرى والنعمة العظمى التي وهبها الله الإنسان وفضّله بها هي العقل والأدب كما قال الشاعر:

ما وهب الله لامرئ هبة	أفضل من عقله ومن أدبه
هما جمال الفتى فإن فُقِدا	ففقده للحياة أجمل به

والمراد بالأدب هنا: الأدب النفسي وهو الخلق الحسن، وبه تتفاوت الأمم ارتقاء وانحطاط، وقوة وضعفا، وسيادة وعبودية، فما من أمة كثر حظها من خلق الحسن إلاّ بلغت أوج الرقي وغاية السعادة، وإن كانت قليلة العدد، أو كانت أرضها ضيقة، أو قليلة الغناء والخير غير صالحة للزرع والضرع، قليلة الحواصل والثمرات، ضعيفة الغلات فإن جميع ما في الأرض من الخيرات والبركات يحمل إليها، كما قال تعالى في سورة (النحل: ١١٢): ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ﴾.

المراد بالقرية هنا: أهلها، وهم الأمة والشعب، وكما حكى الله عن إبراهيم الخليل في دعائه لأهل مكة في سورة (البقرة: ١٢٦): ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ ، وفي سورة (إبراهيم: ٥٧): ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾.

ومن أقام في مكة شرّفها الله حتى قبل عصر الطائرات يرى فيها من فواكه الهند وأندونيسيا والشام ومصر ما لا يكاد عجبه ينقضي منه، مع أنها أرض جبلية قاحلة. ومن أقام في البلاد البريطانية يرى أكثر ما يؤكل فيها ويلبس ويقتنى ويتخذ للزينة مجلوباً إليها من أطراف الدنيا وهي جزائر في البحر ضيّقة الرقعة، شديدة البرد، لو اقتصر أهلها على ما يخرج من أرضهم لوقعوا في مسغبة.

فإن قلت: هذه مكة دعا لأهلها خليل الله فاستجاب الله دعاءه، ويوجد فيها قوم صالحون يعبدون الله ويطيعون أمره، والحجاج ضيوف الله تعالى يقصدونها من كل فج عميق للحج والعمرة، شعثاً غبراً، يدعون ربهم رغبا ورهبا، خاشعين لله، أما البلاد البريطانية فأيّ مزية في أهلها؟، وهم أساتذة الاستعمار والغزو، وكم شعوباً أناخوا عليها بكلاكلهم مئات السنين، فما تخلصت من استعبادهم إلاّ بعد اللّتيا والتي، فبماذا استحقوا ذلك العيش الرغد، وتلك الثمرات؟ فأين الأدب النفسي والخلق الحسن من أخلاقهم الاستعمارية؟ فالجواب: أن العدل والمساواة في الحقوق والواجبات هما أساس العمران، وهما موجودان عندهم بلا شك.

أما استعمارهم للبلدان فللكلام عليه مقام آخر يطول شرحه.

وقال في سورة (التحريم:٦): ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾ قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: "معناها: أدبوهم وعلّموهم. وقال عن ابن عباس في الآية: "اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، وأمروا أهليكم بتقوى الله"، وقال قتادة: "تأمرهم بطاعة الله، وتنهاهم عن معصية الله، وأن تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به وتساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية قذعتهم عنها وزجرتهم عنها"..وهكذا قال الضحاك ومقاتل: "حق على المسلم أن يعلّم أهله من قرابته وإمائه وعبيده ما فرض الله عليهم وما

نهاهم الله عنه".

وفي معنى هذه الآية الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث عبد الملك بن الربيع بن سبرة عن أبيه عن جده قال: قال: رسول الله ﷺ: «**مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها**». قال الفقهاء: وهكذا في الصوم ليكون تمريناً له على العبادة والطاعة ومجانبة المعاصي، وترك المنكر، والله الموافق اهـ.

أقول: يمكن أن يقول القائل: إن التربية في هذا الزمان قد بلغت عند الأمم الراقية درجة عالية، وهي تقتضي عدم ضرب الصبيان، فهناك وسائل أخرى في الترغيب والترهيب والثواب والعقاب تغني عن الضرب، وتحبّب إلى الناشئ التعلم والعمل المثمر، فأقول في جوابه: هذا رأي يقال، والعمل في الأمم الراقية على خلافه، ففي البلاد الألمانية يفرض على كل تلميذ الحضور إلى الكنيسة مع معلمه يوم الأحد، ويشهد الصلاة والوعظ، فإن لم يحضر بلا عذر أدّب على ذلك بالضرب، وإن ترك الصلاة في الكنيسة ثلاثة آحاد متوالية طرد من المدرسة، أما الأيام الستة الباقية من الأسبوع فإن الكنيسة تبعث القسّيسين إلى المدارس يصلّون بالتلاميذ في داخل المدرسة، ويعلّمونهم دينهم ساعتين في كل يوم، ولا يستطيع التلميذ أن يتغيب في هاتين الساعتين إلاّ إذا كان على دين آخر غير المسيحية.

ولما كان سكان البلاد الألمانية على مذهبين مختلفين، كاثولكيين وبروتستانتيين، كان الواجب على وزارة التعليم يقضي بإعداد المدارس لكل الفرقتين في كل مدينة أو قرية يكون سكانها مختلفين في المذهب حتى يتمكن التلميذ الذي أبوه كاثوليكي أن يجد مدرسة على مذهبه، وكذلك التلميذ الذي يكون أبوه بروتستانتي يتعلم في مدرسة موافقة لمذهبه، فإن وجدت مدينة أو قرية سكانها كلهم على مذهب واحد، وسكن بينهم عدد قليل من أهل المذهب الآخر، يبعثون أولادهم إلى المدينة الأخرى ليجد مدرسة على مذهبهم، هذا في المدارس الابتدائية والثانوية، أما الجامعات ففي كل جامعة كلية لاهوت مختصة بتعليم الدين، وهذه الكلية محترمة جداً يؤمّها الأساتذة في الأعياد والمناسبات للصلاة ولسماع الوعظ، ويتخرّج منها كل سنة كثير من الدكاترة في علم الدين، وكلهم يجدون أعمالا في الكنائس والإرساليات، وتعليم الدين في المدارس العامة.

وهناك مدارس دينية خالصة تديرها الكنائس، ولها مناهجها الخاصة لا تدخل تحت وزارة التربية والتعليم، وبهذه المناسبة أذكر هنا نبأ تاريخيا يخفى على أكثر الناس، وذلك أن هتلر اختلف مع الكنيسة الكاثولكية في قضيتين:

إحداهما: أنه أوجب على المدارس الدينية التابعة للكنيسة أن تطبق منهج وزارة التعليم، فعدّت الكنيسة الكاثولكية ذلك تدخلا في شؤون الدين، وعدواناً على الكنيسة.

والثانية: أنه استولى على الذهب المخزون في الكنيسة، وفرض رواتب يعطونها من وزارة المالية، ولهاتين القضيتين انضم الكاثولكيون إلى اليهود في عداوة هتلر، وأخذوا يكيدون له.

وهذا كله يبطل ما ينشره دجاجلة الاستعمار الروحي من زعيمهم أن الأمم الأوروبية التي بلغت أوج الرقي هجرت الدين وضربت به عرض الحائط، وكان ذلك سبب تقدمها، والأدلة على كذب هذه الدعاية أكثر من تحصى، وقد نشرت في مجلة دعوة الحق أدلة بالأرقام مأخوذة من سفارات الدول الراقية في أوروبا على تدين شعوبها، وقلة المارقين من الدين فيها، هذا مع أنّ دين النصرانية لا يتكفل بتدبير شئون الدين والدنيا كما يفعل الإسلام الحنيف، بل يقول من جملة ما يقول: "أعط ما لله لله وما لقيصر لقيصر". أما الإسلام فيقول: ﴿ **وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى** ﴾.

ويقول في سورة (المائدة: ١٨): ﴿ **وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ** ﴾ ، ويقول في سورة (الأعراف: ١٢٨): ﴿ **قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ ، ويقول في سورة (النجم: ٢٥): ﴿ **فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى** ﴾ ، ففي نظر الإسلام كل شيء لله، وليس لقيصر شيء، بل قيصر نفسه مملوك لله.

وقد جرب المسلمون السابقون التمسك بالإسلام فوجدوه كفيلاً بسعادة الروح والبدن، وضابطا لمصالح الدين والدنيا، فالعجب من قوم يكون عندهم هذا الدين الحنيف محفوظا خالصا، لا تشوبه شائبة، ويرون كيف سعدت به أسلافهم، ثم يتنكرون له ويجهلونه ويجهلون عليه، ويردّدون أقوال أعدائه، وينشرونها بين قومهم، مع ما فيها من الكذب والتدليس والتمويه والتحريف.

وقال تعالى في سورة (طه: ١٣٢): ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى** ﴾.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: "وقوله تعالى: ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا** ﴾ أي استنقذهم من عذاب الله بإقام الصلاة، واصبر أنت علي فعلها كما قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارا** ﴾، قال ابن أبي حاتم بسنده إلى زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب كان يبيت عنده أنا ويرفأ (كذا)، وكان له ساعة من الليل يصلي فيها، فربما لم يقم فنقول: لا يقوم الليلة كما كان يقوم، وكان إذا استيقظ أقام – يعني أهله – وقال: ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا** ﴾.

وقوله: ﴿ **لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ** ﴾ ، يعني: إذا أقمت الصلاة نرزقك من حيث لا تحتسب، وقال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ – إلى قوله: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِين** ﴾ ، ولهذا قال: ﴿ **لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ** ﴾ وقال الثوري: لا نسألك رزقاً، يعني لا نكلّفك الطلب.

وقال ابن أبي حاتم بسنده إلى هشام عن أبيه "أنه كان إذا دخل على أهل الدنيا، فرأى من دنياهم طرفا، فإذا رجع إلى أهله فدخل الدار قرأ: ﴿ **وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ** ﴾ – إلى قوله–: ﴿ **نَحْنُ نَرْزُقُكَ** ﴾ ، ثم يقول: "الصلاة الصلاة رحمكم الله".

وقال ابن أبي حاتم بسنده إلى ثابت قال: كان النبي ﷺ إذا أصابته خصاصة نادى أهله: «**يا أهلاه صلوا صلوا**» و قال ثابت: "وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة".

وقد روى الترمذي وابن ماجة من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى: يا ابن آدم تفرّغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسدّ فقرك، وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسدّ فقرك**».

وروى ابن ماجه من حديث ابن مسعود: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من جعل الهموم هما واحداً همّ المعاد كفاه الله همّ دنياه، ومن تشعّبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أيّ أوديته هلك**».

وروى أيضا من حديث ثابت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من كانت الدنيا همّه فرّق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلاّ ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة**».

وقوله: ﴿ **وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى** ﴾: أي وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة لمن اتقى، وفي الصحيح أنّ رسول الله ﷺ قال: «**رأيت الليلة كأنّا في دار عقبة بن رافع، وأنا أتينا برطب من رطب ابن طاب، فأوّلت ذلك أنّ الرفعة لنا في الدنيا والعاقبة في الآخرة، وأنّ ديننا قد طاب**».اهـ

شروح وإيضاح:

١- قوله: "كان يبيت عنده أنا ويرفأ" يظهر لي في هذه العبارة خلل إلاّ إذا أوّلناها على أن اسم كان ضمير الشأن، وجملة (يبيت) خبرها، وحتى على هذا التأويل يبقى الخلل كما هو، إذ لا يقال: "يبيت أنا"، فلعله تحريف من بعض النساخ، والصواب: "كنا نبيت عنده أنا ويرفأ"، ويرفأ اسم علم كيزيد ويشكر.

٢- قوله: " فربما لم يقم" يعني أن عمر رضي الله عنه كان له وقت من الليل يتهجّد فيه، أي يصلي النافلة بالليل، وكان خادماه زيد بن أسلم ويرفأ يراقبان قيامه، وفي بعض الأحيان كان يتأخر عن القيام، ولعل ذلك لغلبة نوم، وكان إذا قام لصلاة النافلة بالليل يقيم أهل بيته للاشتراك معه في العبادة اقتداء بالنبي ﷺ الذي أمره الله أن يأمر أهله بالصلاة ويصبر عليها، وستأتي زيادة بيان لهذا المعنى.

٣- فهم المفسرون من قوله تعالى: ﴿ **لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُك** ﴾ أن من لم يشغله طلب الرزق عن صلاته عناية بها ومحافظة عليها رزقه الله وأغناه بفضله، وأنّ من ظنّ أنّ المحافظة على الصلاة في أوقاتها تُنقص من رزقه أو تمنعه، ملأ الله قلبه همّاً وغمّاً، ولم يأته من الرزق إلاّ ما كتب له كما سيأتي في الحديث صريحاً.

٤- قوله تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونَ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ** ﴾ (الذاريات: ٥٦-٥٨)، أخبر الله سبحانه أنه خلق الخلق لغرض واحد يعود عليهم بالخير والسعادة، وذلك الغرض هو: عبادته وحده

لا شريك له، وهو غنيٌّ عن العالمين، وهم محتاجون إليه، فمن اشتغل بالغرض الذي خلقه الله لأجله فقد أفلح وسعد ورشد واهتدى، وقد ضمن الله رزقه يأتيه من حيث لا يدري، ومن لم يثق بوعد الله، وشغله طلب الرزق عما خلق له شتت الله شمله، وأكثر همّه، ولم ينل من الرزق إلاّ ما قدّر له.

٥- قوله: "هشام عن أبيه" يعني عروة بن الزبير بن العوام، "كان إذا دخل على أهل الدنيا فرأى من دنياهم طرفا" المراد بالطرف: نفائس الأموال التي يندر مثيلها، فإذا رجع إلى أهله ودخل بيته ولم ير فيه تلك النفائس التي رآها في بيوت أهل الثراء المترفين يتلو قوله تعالى: ﴿ **وَلا تَمُدَّنَ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ** ﴾ الآية.

قال ابن كثير في تفسيره: "يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: "لا تنظر إلى ما فيه هؤلاء المترفون وأشباههم ونظراؤهم من النعيم، فإنما هو زهرة زائلة ونعمة حائلة، ليختبرهم بذلك أيشكرون أم يكفرون، وقليل من عبادي الشكور، وقال مجاهد: ﴿ **أَزْوَاجاً مِنْهُمْ** ﴾: "يعني الأغنياء"، فقد آتاك الله خيرا مما آتاهم، وكذلك ما ادّخره الله تعالى لرسوله ﷺ في الآخرة أمر عظيم لا يحد ولا يوصف، كما قال تعالى: ﴿ **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** ﴾ (الضحى:٥)، ولهذا قال: ﴿ **وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى** ﴾ (طه: من الآية١٣١)" اهـ.

أقول: في هذا الخطاب تزهيد للنبي ﷺ ولأمته في الدنيا وزخارفها وإبعاد لهم عن الافتتان بزهرتها وزينتها، لأنّ من فتن به أهلكته وشغلته عن ذكر الله، وهذا مع العلم بأنّ النبي ﷺ كان رئيس الدولة وكان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر، والأموال كلها بيده، ولكنه كان زاهدًا فيها، مفضّلاً التقشف في المعيشة طوعاً واختياراً لا حاجة واضطراراً، فكان ينام على الحصير حتى يؤثر في جسمه الشريف، وكان يمر الشهر والشهران لا توقد النار في بيته، وإنما يعيش هو وأهله على الماء والتمر كما في حديث عائشة في الصحيحين، فكان عروة بن الزبير إذا دخل بيته يعظ نفسه وأهله بهذه الآية وينادي فيهم: «الصلاة الصلاة»، ففي الصلاة نعيم وقرّة عين للمتقين كما قال النبي ﷺ: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**»، والمراد بقرة العين: "الفرح والسرور".

٦-قوله: "إذا أصابه خصاصة" أي حاجة وضيق في المعيشة، أمر أهله بالصلاة امتثالا لأمر الله تعالى؛ لأن الصلاة تعين كل محتاج، وتفرّج كربه كما قال تعالى في سورة (البقرة:

١٥٣): ﴿ **اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاة** ﴾ ، وهذه سنة سائر كل الأنبياء إذا نزل بهم أمر يكرهونه يفزعون إلى الصلاة فيدفع الله عنهم بها كل مكروه، ويبدلهم بالعسر يسرا، وبالضيق سعة، وبالشدة رخاء، وهكذا ينبغي للمؤمنين الصادقين - شبابا كانوا أم كهولا أم شيوخا - أن يفعلوا إذا نزل بهم ما يكرهون أن يستعينوا بالصبر والصلاةو فالصبر يهوّن عليهم المصيبة، ويفتح لهم باب الفرج، والصلاة استغاثة واستعانة بالله تعالى.

وقد رأينا محمد علي كلاي الملاكم العالمي المشهور إذا أراد أن ينازل بطلا من أبطال الملاكمة يصلّي ويدعو الله تعالى ويستمدّ منه قوة على خصمه فينصره الله ويهزم عدوه، فهذا هو الأدب المحمدي الذي ينجح في كل زمان ومكان.

٧-حديث أبي هريرة القدسي، يقول الله تعالى: «**يا ابن آدم تفرّغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسدّ فقرك، وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسدّ فقرك**»، في هذا الحديث جواب للذين يسألون عن أوقات الصلاة إذا فرض فيها شغل دنيوي كالمعلّمين وتلامذة المدارس، والموظفين في الإدارات، وفي سائر الأعمال إذا دخل وقت العصر، هل يتفرّغون لعبادة الله لمدة خمس دقائق ويؤدون فريضتهم، ويدعون شغلهم جانباً؟، فإن فعلوا ذلك ملأ الله صدورهم وأيديهم غنى، وأزال فقرهم الحسي والمعنوي، فالمعنوي هو فقر القلب وجزعه، وشغله بالتفكير في الرزق، أو في أيّ وسيلة التي يظن أن الرزق يأتي بسببها، وإن هم لم يستجيبوا لدعوة الله، وتمادوا في شغلهم، وأعرضوا عن صلاة العصر وحدها؛ لأنها هي التي تجيء عادة في وسط الأشغال وبها يمتحن المؤمن، فإن كان صادق العزم ثابت اليقين وقف الشغل الدنيوي من بيع وشراء وعمل في مزرعة أو مصنع، أو مدرسة أو مختبر، أو غير ذلك، وتفرّغ لعبادة الله واستجاب لدعوته، فيزيده الله قوة إلى قوته، ويملأ صدره غنى وثقة به، وذلك هو الظفر والنصر المبين، وإن كان خائر العزم، ضعيف الإرادة، كبر عليه ترك شغله وخيّل له أنّ في تركه خسارة لا تعوّض، فيستمر في شغله عاصيا ربه، خائنا دينه، خاسئا بعهده، فحينئذ يمتلئ صدره غمّاً وشغلاً يلازمانه أبداً.

أخرج البخاري في كتاب المواقيت من صحيحه عن أبي المليح قال: كنّا مع بريدة في غزوة في يوم ذي غيم فقال: بكروا بصلاة العصر، فإن النبي ﷺ قال: «**من ترك صلاة العصر حبط عمله**».

وأخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله**».

نفهم من الحديث الأول ومن غيره من الأحاديث الصحاح، ومن الآيات البينات أن من ترك صلاة العصر عمدا بلا عذر شرعي حتى خرج وقتها فقد بطل عمله الصالح كله، لأنه كفر فإن تاب ورجع إلى الإسلام، وعاهد الله عهداً صادقا أن لا يتعمد ترك صلاة مفروضة أبداً، فإن الله يرد له ما حبط من عمله.

ومثل هذا قوله تعالى في سورة (الزمر: ٥٢): ﴿ **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ ، وقول النبي ﷺ: «**بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة**» رواه مسلم من حديث جابر، وإذا كان ترك الصلاة عمداً كفرا فلا إشكال في حبوط العمل.

وأما الحديث الثاني الذي تفوته الصلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله، أي خسر ماله وأهله وبقي فرداً بلا أهل ولا مال، ومثل ذلك قوله تعالى في سورة (الزمر:١٥): ﴿ **قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ** ﴾ ، وكل فريضة حدّد وقتها يجب على المسلم أن يترك كل شغل يشغله عن أدائها، قال تعالى في سورة (الجمعة: ٩، ١٠): ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ ، فحرّم الله على المسلمين أن يشتغلوا بالبيع وغيره من أمور الدنيا بعد آذان الجمعة، وأوجب عليهم أن يسعوا إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة حتى إذا سلّم الإمام من صلاة الجمعة فقد أذن الله لهم أن يخرجوا من المسجد، وينتشروا في الأرض ليشتغلوا بأعمالهم التي تكفّل لهم رزقهم.

ومثل ذلك في قوله تعالى في سورة (المعارج: ١٦-٣٥): ﴿ **إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً، إِلاّ الْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ، وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ، لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ، وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ، وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ، إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ،**

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴾.

أخبرنا الله سبحانه أن الإنسان – يعني جميع الناس – خُلق هلوعا، جعل من طبعه الهلع وهو الجزع وشدة الحرص، فتفسير ﴿ هَلُوعاً ﴾ هو ما بعده: ﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ ﴾: المرض والفقر وسائر المصائب ﴿ جَزُوعاً ﴾: يائسا خاضعا منقطع الرجاء ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ ﴾: وهو الغنى والصحة والقوة والنصر وسائر النعم، ﴿ مَنُوعاً ﴾: بخيلا لا ينفع غيره بشيء.

ثم استثنى الله تعالى من الناس المجبولين على ذلك الطبع الخبيث المصلين، وأكد وصفهم بقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ أي محافظون على أوقاتها وشروطها وأركانها وآدابها، ووصفهم بصفات بدأها بالمحافظة على الصلاة، وختمها بالمحافظة على الصلاة، وذكر بينهما صفات:

أولاها: أنّ في أموالهم حقاً معلوماً للفقراء والمحتاجين، سواء أكانوا من الذين يظهرون فقرهم وحاجتهم ويسألون الناس، أم كانوا من المتعففين الذين يكتمون فقرهم، ولا يسألون الناس، وهم القسم المعبر عنه بالمحروم؛ لأن أكثر الناس يحرمونهم من الصدقة.

ثانيتها: أنهم يصدّقون بيوم الدين، أي يؤمنون بيوم القيامة، وهو يوم الجزاء، ويجعلونه نصب أعينهم، فيبعثهم ذلك على مراقبة الله تعالى، فلا يفعلون إلاّ ما يرضيه.

ثالثتها: الخوف من الله تعالى فهم يخافون عذابه ولا يأمنون مكره، فإنه لا يأمنه إلاّ القوم الخاسرون.

رابعتها: أنهم يحفظون فروجهم عمّا حرم الله ويقتصرون على ما أحل الله.

خامستها: أنهم يحافظون على عهدهم إذا عاهدوا مسلما أو ذميا، أو معاهدا أو مصالحا، لا ينقضونه أبداً.

سادستها: أنهم يقومون بشهاداتهم فيؤدّونها كما علموها، ولو كانت على الوالدين والأقربين، لا يزيدون فيها ولا ينقصون، ولا يبدّلون ولا يغيّرون، ولا يكتمونها أبدا، ومن يكتمها فإنه آثمٌ قلبُه.

فهذه صفات المؤمنين الصادقين، لا جرم أنّ كل شعب سادت فيه هذه الصفات يكون سعيداً في دنياه وأخراه، عزيزا مؤيداً منصورا، جعلنا الله من أهلها.

٨- «رأى النبي ﷺ في المنام» ورؤيا الأنبياء حق أنه كان مع بعض أصحابه في دار عقبة بن رافع، فوضع لهم رطباً من النوع المسمى ابن طاب وهو نوع من رطب المدينة، ففسّر النبي ﷺ هذه الرؤيا بأن العاقبة الحسنة والرفعة له ولأمته في الدنيا والآخرة، وأن دين الإسلام طاب، أي: زكا وبورك فيه فعلا وانتصر، وكذلك وقع، وهذا مضمون للأمة الإسلامية إلى يوم القيامة بشرطه، وهو الإيمان، والاجتماع على إعلاء كلمة الله، والجهاد في سبيل الله، والدليل على ذلك قوله تعالى في سورة (المؤمن: ٥١): ﴿ **إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ** ﴾.

قال القاسمي في تفسيره هذه الآية: "أي: لننصرهم في الدارين؛ أما في الدنيا فبإهلاك عدوهم واستئصاله عاجلا، أو بإظفارهم بعدوهم وإظهارهم عليه، وجعل الدولة لهم والعاقبة لأتباعهم، وأما في الآخرة فبالنعيم الأبدي والحبور السرمدي، والأشهاد جمع شاهد، وهم من يشهد على تبليغ الرسل وتكذيب من كذبهم ظلما، أو جمع شهيد كأشراف وشريف" اهـ.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يقول الله تبارك وتعالى: "من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب**».

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: "وفي الحديث القدسي: «**إني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحرب**»اهـ، ومعناه: أنّ الله ينتقم لأوليائه وهم المؤمنون كما ينتقم الأسد الغضبان ممن أغضبه، والله عزيز ذو انتقام.. وقال تعالى في سورة (الصافات: ١٧١-١٧٣): ﴿ **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ، وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾ ، وقبلها (١٦٧-١٦٩): ﴿ **وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْراً مِنَ الْأَوَّلِينَ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ، فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾

أخبرنا سبحانه وتعالى أنّ كفار العرب كانوا يقولون قبل نزول القرآن وبعثة الرسول عليه الصلاة والسلام: ﴿ **لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْراً مِنَ الْأَوَّلِينَ** ﴾ أي كتاباً من الكتب التي أنزلها الله عليهم لاهتدينا به، وتطهرنا به من جهالتنا ﴿ **لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ** ﴾ المطهّرين من كل ضلال وشر وشرك، فلما جاءهم أفضل كتاب بواسطة أفضل رسول كفروا به وكذّبوه، قال الله تعالى: ﴿ **فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾ هذا تهديد لهم بعذاب عظيم لم يكن لهم في الحسبان، وهو تهديد

لكل أمة بلغها هذا الكتاب فأعرضت عنه، ولم تتخذه إماما وحكما، ولم تستضئ بنوره، ولو اهتدت بهداه، لابد أن يصيبها عذاب عظيم فوق ما يخطر بالبال، ونحن نشاهد هذا العذاب اليوم بأعيننا يصيب الشعوب التي أعرضت عن كتاب الله ورفضت شريعته وسنة رسوله بعدما علمت يقينا ما أدركه أسلافها من السعادة والعز والنصر المبين باتباع هذا الكتاب الكريم، والرسول ذي الخلق العظيم.

وبعد هذا التمهيد قال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ** ﴾ اللام واقعة في جواب قسم، أي: وتالله لقد سبقت كلمتنا لعبادنا الذين أرسلنهم إلى الأمم ليقوموا بإرشادها وهدايتها وإنقاذها من أوحالها ونكباتها، وإخراجها من الظلمات إلى النور، وتلك الكلمة التي سبقت من الله تعالى هي قوله سبحانه: ﴿ **إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ** ﴾ على كل من عاداهم من أقوامهم وغيرهم، ﴿ **وَإِنَّ جُنْدَنَا** ﴾ وهم المرسلون وأتباعهم الصادقون ﴿ **لَهُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾ لكل من عاداهم ووقف في طريقهم، وعد الله لا يخلف الله وعده.

وقد رأينا هذا الوعد بعيون بصائرنا عبر التاريخ الطويل يتحقق على أيدي شعوب مختلفة في الجنس واللون والأوطان، ولكنها متفقة في الاهتداء بالقرآن، وحروب المغاربة في أوربا من طارق إلى المرينيين وحروب المسلمين في فلسطين وبلاد الشام لجميع الدول النصرانية مدة مائتي عام، وقبل ذلك حروب العرب في العراق، وخراسان، وإفريقية، وبلاد السند، وكل ذلك أدلة قاطعة، وبراهين ساطعة.

وما أصاب المسلمين من الشتات والذلة والهوان وضنك العيش في هذه الأزمنة المتأخرة حجج قائمة عليهم تسجل عليهم أنهم هم الذين أخلفوا ونقضوا عهدهم كما قال تعالى في سورة (الأنفال: ٢٣): ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره هذه الآية: "يخبر تعالى عن تمام عدله، وقسطه في حكمه بأنه تعالى لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلاّ بسبب ذنب ارتكبه كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ** ﴾ (الرعد:١١) اهـ.

وقال تعالى في سورة (مريم: ٥٤، ٥٥): ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً، وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً** ﴾.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: "هذا ثناء من الله تعالى على إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام، وهو والد عرب الحجاز كلهم بأنه صادق الوعد وقال ابن جريج: "لم يعد ربه عدة إلاّ أنجزها"، يعني ما التزم عبادة قط بنذر إلاّ قام بها ووفاها حقها".

وقال ابن جرير بسنده إلى سهل بن عقيل أن إسماعيل النبي عليه السلام وعدا رجلا مكانا أن يأتيه، فجاء ونسي الرجل، فظل به إسماعيل وبات حتى جاء الرجل من الغد فقال: "ما برحت من ها هنا؟" قال: "لا"، قال: "إني نسيت" قال: «لم أكن أبرح حتى تأتيني»، فلذلك كان صادق الوعد.

وروى أبو داود وغيره عن عبد الله بن أبي الحمساء قال: "بايعت رسول الله ﷺ قبل أن يبعث، فبقيت له علي بقية، فوعدته أن آتيه بها في مكانه ذلك، قال: فنسيت يومي والغد، فأتيته في اليوم الثالث وهو في مكانه ذلك فقال لي: "يا فتى لقد شققت عليّ، أنا ها هنا منذ ثلاث أنتظرك".

فصدق الوعد من الصفات الحميدة كما أنّ خلفه من الصفات الذميمة، قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾ (الصف:٢)، وقال رسول الله ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**».

ولما كانت هذه صفات المنافقين كان التلبس بضدها من صفات المؤمنين، ولهذا أثنى الله على عبده ورسوله إسماعيل بصدق الوعد، وكذلك كان رسول الله ﷺ صادق الوعد أيضا لا يعد أحدا شيئا إلاّ وفّى له به. وقد أثنى على أبي العاص بن الربيع زوج ابنته زينب فقال: "حدثني فصدقني، ووعدني فوفى لي".

ولما توفي النبي ﷺ قال الخليفة أبو بكر الصديق: من كان له عند رسول الله ﷺ عدة أو دين فليأتني أنجز له، فجاء جابر بن عبد الله فقال: إن رسول الله ﷺ كان قال لي: «**لو قد جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا**»، يعني ملء كفيه، فلما جاء مال البحرين أمر الصديق جابراً فغرف بيديه من المال، ثم أمره بعده، فإذا هو خمسمائة درهم فأعطاه مثيلها معها.

وقوله: ﴿ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً ﴾ في هذا دلالة على شرف إسماعيل على أخيه إسحاق، لأنه إنما وصف بالنبوة فقط، وإسماعيل وصف بالنبوة والرسالة. وقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل**» وذكر تمام الحديث. فدل على صحة ما قلناه.

وقوله: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً ﴾ هذا أيضا من الثناء الجميل، والصفة الحميدة، والخلة السديدة؛ حيث كان صابراً على طاعة ربه عز وجل، آمراً بها أهله كما قال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ الآية، أي مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر، ولا تدعوهم هملاً فتأكلهم النار يوم القيامة.

وفي الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء**». أخرجه أبو داود وابن ماجة، وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات**» رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجة. اهـ.

توضيحات:

١- وصف الله سبحانه إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام بصفات كريمة:

أولها: صدق الوعد، **وثانيتها:** أنه كان رسولا نبيا أنزل الله عليه وحيه، وأرسله لهداية خلقه، **وثالثتها:** كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة، **وأخيراً:** أنه كان عند ربه مرضياً، فلماذا قدّم صفة صدق الوعد على ذكر الرسالة والنبوة، وأمر أهله بالصلاة والزكاة ؟ والجواب: لأن صدق الوعد دليل على الإخلاص، فمن لم يكن صادق الوعد لم يقبل الله منه صلاة ولا زكاة، ولنا على ذلك أدلة كثيرة من الكتاب والسنة.

وبيان ذلك أنّ العبادات كلها من صلاة وصيام وزكاة وحج وعمرة، وتعلم وتعليم، وجهاد للنفس، وجهاد للعدو، وغير ذلك إنما هي وسائل لتهذيب النفس، وليست في أنفسها غايات، فإذا لم يحصل بها التهذيب المطلوب فهي لغو لا قيمة لها، يزاد على ذلك أنها

تدل على عدم إخلاص فاعلها، وريائه ومخادعته لله ولعباده المؤمنين.

وقد وصف الله المنافقين بقوله في سورة (النساء: ١٤٣، ١٤٤): ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً، مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً** ﴾، فصلاة هؤلاء المنافقين لم تغن عنهم شيئا وهم في الدنيا مجللون بالخزي، وفي الآخرة في الدرك الأسفل من النار، وقال تعالى: ﴿ **فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ، وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ** ﴾ (الماعون:٧) أي يقصدون بعبادتهم أن يراهم الناس فيمدحوهم وقلوبهم خربة ليس فيها خير، فلذلك (يمنعون الماعون) المراد بالماعون على تفسير عبد الله بن مسعود وكثير من أصحاب رسول الله ﷺ: هو ما يُعِيرُهُ الناس بعضهم لبعض كالفأس والقدر والدلو والميزان والمد ونحو ذلك، قال ابن كثير رحمه الله: "والذي يمنع الماعون مع بقاء عينه أجدر وأحرى أن يمنع الزكاة، والصدقة والإحسان".

وقد وضع النبي ﷺ ميزاناً يمتحن به الناس، يميّز به المؤمن من المنافق، وهو قوله فيما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**» زاد مسلم في روايته: «**وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم**».

فأخبر النبي ﷺ بعبارة صريحة لا لبس فيها ولا غموض أن من اجتمعت فيه الخصال الثلاث، وصارت له خلقا وديدنا لا يتحرج منها، هو كافر خالص الكفر من شرار الكفار، وهم المنافقون، وأن هذه الخصال لا تكاد أن تجتمع في مؤمن البتة، فإن قال: أنا مسلم، فقد أمرنا أن لا نصدقه، وإن صلى وصام فلا صلاة له ولا صيام.

وقد أعطانا رسول الله ﷺ هذه العلامات لنستدل بها على المؤمن الصادق، ونعرف بفقدها أعداء الإسلام المتقمصين ثوبه لمآرب يبتغونها، ودسائس يروجونها، وليس معنى هذا أن لا نطردهم من المساجد، ولا من المجتمعات الإسلامية، ولا نحكم عليهم بالردة، ونعاملهم معاملة غير المسلمين في الأحكام الشرعية، بل نعتبرهم مسلمين ظاهرا، ونحترز منهم، ولا نأمنهم على مصالح الإسلام.

٢- قوله: "وهو ولد عرب الحجاز كلهم" من المعلوم أن العرب فريقان: العرب العاربة، وهم أبناء يعرب بن قحطان، وهم سكان جنوب الجزيرة العربية، ولهم تاريخ

حافل، وآثار قديمة باقية، وقد كانت لهم دول عظيمة عريقة في القدم، كدولة حمير ودولة سبأ ودولة معين.

وأما الشماليون فيسمون العرب المستعربة؛ لأن أباهم إسماعيل لم يكن عربيا في الأصل، وإنما تعلم العربية لأنه نشأ بين العرب في مكة وتزوج منهم، وبارك الله في ذريته كما جاء في سفر التكوين من العهد القديم في الباب السادس عشر أن ساراى امرأة أبرام لم تلد له، وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر فقالت ساراى لأبرام: "إن الرب قد أمسكني عن الولادة، أدخل على جاريتي لعلي أرزق منها بنين، فسمع أبرام لقول ساراى، فأخذت ساراى امرأة أبرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لإقامة أبرام في أرض كنعان، وأعطتها أبرام رجلها زوجة له، فدخل على هاجر فحبلت ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها في عينها، فقالت ساراي لأبرام: "ظلمي عليك، أنا دفعت جاريتي إلى حضنك فلما رأت أنها حبلت صغرت في عينها، يحكم الله بيني وبينك"، فقال أبرام لساراي: "هذه جاريتك في يديك افعلي بها ما يحسن في عينك"، فأذلتها ساراي فهربت من وجهها، فوجدها ملك الرب على عين الماء في البرية، على العين التي في طريق شور، وقال: "يا هاجر جارية ساري، من أين أتيت وإلى أين تذهبين؟" قالت: "أنا هاربة من وجه مولاتي ساري"، فقال لها ملك الرب: "ارجعي إلى مولاتك، واخضعي تحت يديها"، وقال لها ملك الرب: "تكثيرا أكثر من نسلك فلا يعد من الكثرة". وقال لها ملك الرب: "ها أنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه إسماعيل، لأن الرب قد سمع لمذلتك، وأنه يكون إنسان وحشياً، يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه وأمام جميع أخواته يسكن". اهـ.

وهذه بشارة جاءت في العهد القديم بأن الله يكثر أولاد إسماعيل، وقول المترجمين للتوراة: "إنه يكون إنسانا وحشياً يده على كل واحد ويد كل واحد عليه" من أفسد الترجمات التي ارتكبها أولئك المترجمون تعصباً وتحريفاً للكتاب، ولم يتفطنوا إلى التناقض الذي بين الصفتين، فالإنسان الوحشي لا يتصل بالناس ولا يألفهم ولا يألفونه، ويحبهم ويحبونه.

ولا يستغرب التحريف من المترجمين فقد أخبر العالم اللغوي الأديب المحقق إبراهيم اليازجي أنهم دعوه إلى لندن ليعينهم على ترجمة التوراة، فكان يختلف معهم كثيراً فكلما

ذكر لهم عبارة فصيحة تؤدي المعنى يرفضونها، ويقولون: "إنها تشبه عبارات القرآن"، وهم يريدون أن يبتعدوا عن عبارات القرآن كل الابتعاد، وقد نظرت في الكلمة التي ترجموها وهي (بري آدم) في معجم (روبين أفنيوم كوسمن) فوجدت لها المعاني التالية أنقلها بأمانة من الإنكليزية إلى العربية: ١- الحمار الوحشي، ٢- الحيوان الوحشي، ٣- ساكن الصحراء، ٤- خشن الطبع، ٥- وحشي، ٦- همجي، ٧- إنسان وحشي سيئ الخلق.

فأيّ هذه الألفاظ يصلح لترجمة ذلك اللفظ الوارد في مقام البشارة والمدح والثناء على مولود، علم الله أنه يكون رسولا نبياً، أباً لأمة عظيمة، ولأفضل خلق، وهو محمد ﷺ، لاشك أن اللفظ الوحيد الذي تصح به الترجمة هو الثالث، وهو أنه ساكن الصحراء وهو المطابق للواقع، فإن إسماعيل كان يسكن بمكة - شرفها الله - ويعيش في الصحراء على لحم الصيد، وفي الحديث: «**ارموا بني إسرائيل، فإنّ أباكم كان رامياً**»، وفي صحيح البخاري أنّ إبراهيم توجّه لزيارة ابنه إسماعيل في مكة فلم يجده، فسأل زوجته عنه فأخبرته أنه ذهب للصيد، ثم ذهب لزيارته مرة ثانية وثالثة فلم يجده، إنه كان غائباً يصطاد للمعيشة لا للتنزه، وفي كل مرة كان يوصي زوجته بشيء تقوله له إذا رجع.

وقد تبيّن أنّ أولئك المترجمين أخطؤوا خطأ فاحشا في ترجمة ذلك اللفظ، وأغلب الظن أن يكونوا متعمدين، فقبّح الله التعصب، فإنه ما دخل شيئا إلاّ أفسده، والمراد بعرب الحجاز: ربيعة ومضر.

٣- انتظر إسماعيل الرجل الذي وعده في المكان الذي وعده أن يجتمع به يوماً وليلة، وانتظر محمد رسول الله ﷺ الرجل الذي تبايع معه في الجاهلية قبل أن يكون نبياً في المكان الذي وعده ثلاثة أيام، فما المراد بهذا الانتظار؟ هل هو حرص على قضاء تلك الدريهمات؟ لا والله، ولكنه تلقين درس في الأخلاق، يعتبر به كل موفق، ويلتزمه كل إنسان ذو شرف ومروءة يحترم نفسه. والعادة الجارية في الشعوب الراقية التي تقدّس الأخلاق أنّ المتواعدين إذا مرت خمس دقائق إلى ربع ساعة ولم يجئ أحدهما فقد برئت ذمة المنتظر، وبقيت ذمة صاحبه معلقة، فإن كان له عذر قاهر برئت ذمته هو أيضا، وألا توجه اللوم إليه، وكان هو الخاسر الذي يجب عليه أن يعتذر لصاحبه ويخجل كل الخجل.

وكل أمة شاع فيها الوفاء بالوعد وتنافس أبناؤها في التخلق بهذا الخلق الجميل الذي هو أحد أركان الأخلاق سعدت وقويت، وانتصرت على أعدائها، وبلغت من ذلك فوق ما أملت، كما أن كل أمة شاع فيها أخلاق الوعد ونقض العهد، وما إلى ذلك من الكذب والخيانة والغدر والظلم والخداع، فإنها لن تفلح أبدا ولن تكتب الحياة لها الحقيقة ما دامت متخلقة بتلك الأخلاق المرذولة، سواء استوطنت الصحراء أم استوطنت أغنى الأراضي وأجملها، فإنها تعيش في شقاء دائم، وظلام مدلهم.

وهذه الحقيقة لا تتغير أبداً بتغير المكان أو الزمان أو القوم، ومساوئ الأخلاق سبب شقاء الشعوب الأعظم. ومن ينتسب إلى إسماعيل بالنبوة وإلى محمد ﷺ بالإيمان والاتباع يجب عليه أن يعتبر هذا الدرس أكثر من غيره ليكون وارثاً لهما إرثاً حقيقياً يرفعه ويعلي درجته، فإن لم يفعل فإن انتسابه إليهما لا يزيده إلا خزياً وعاراً.

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت … فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

٤- قوله: "وقد أثنى على أبي العاص": هو أبو العاص بن الربيع العبشمي القرشي، اشتهر بكنيته كان من أعيان مكة، زوّجه النبي ﷺ أكبر بناته زينب، فولدت له أمامة التي كان النبي ﷺ يحملها على كتفه، وصلى بالناس في المسجد وهو حاملها، فإذا ركع وضعها، وإذا سجد وضعها، وإذا وقف حملها.

ولما كانت غزوة بدر في السنة الثانية للهجرة خرج أبو العاص مع المشركين فأسر، فبعثت زينب بقلادة لتفديه بها، وكانت أمها خديجة رضي الله عنها قد وهبتها لها حين تزوجت، فلما رأى النبي ﷺ تلك القلادة رقّ لابنته، وقال للمسلمين: «**إن رأيتم أن تردّوا لها قلادتها وتطلقوا أسيرها**»، فأطلق سراح أبي العاص، فشرط عليه النبي ﷺ أن يبعث له ابنته زينب فوفّى بوعده وبعثها.

وفي السنة السابعة للهجرة سافر أبو العاص ومعه قافلة لأهل مكة متوجهاً إلى الشام فأسره المسلمين مرة ثانية، فلما سمعت بذلك زينب قالت: "يا رسول الله، أليس عقد المسلمين وعهدهم واحدا؟"، قال: «نعم»، قالت: "فاشهد أني أجرت أبا العاص، فأطلقوا سراحه، فتوجه إلى مكة ورد الأمانات إلى أهلها ثم قام فقال: "يا أهل مكة، أوفّيت ذمتي؟"، قالوا: "اللهم نعم"، فقال: "فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم قدم

المدينة مهاجرا فدفع إليه رسول الله ﷺ زوجته بالنكاح الأول، وقيل: بعقد جديد، والأول أرجح. وماتت زينب في حياة النبي ﷺ، أما أبو العاص فتوفي في السنة الثانية عشر للهجرة في خلافة أبي بكر الصديق.

٥- وينبغي لنا أن نتأمل تأملا طويلا في وفاء الخليفة أبي بكر الصديق بوعد النبي ﷺ للصحابي الجليل جابر بن عبد الله على أحسن وجه، وزاده مثلي ذلك، فمبلغ مجموع ما أعطاه ألفاً وخمسمائة درهم.

أولئـــك آبـــائي فجـــئني بمثلـــهم إذا جمعتنـــا يـــا جريـــر المحافـــل

بمثل هذه الأخلاق بلغ المسلمون الأولون من المجد والسؤدد غايتهما حتى وصلوا إلى بلادنا وفتحوها، وهي أقصى المعمور وجهة الغرب حسبما كان معروفاً في ذلك الزمان، وبهذه الأخلاق نفسها يمكن أن ينهض المسلمون المتأخرون من كبوتهم، وينفضوا غبار الذل عنهم، ويستأنفوا الحياة من جديد، و إلا فلا بعث لهم من مرقدهم بإعراضهم عن أخلاق سلفهم الصالح، واستبدالها بمحاولة التشبه بالأجانب، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

٦- قوله: وقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله قد اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل**» ويشهد لذلك ما جاء في سفر التكوين من العهد القديم في الآية ١٨ وما بعدها من الباب السابع عشر: "وقال إبراهيم لله: "ليت إسماعيل يعيش أمامك"، فقال الله: "أما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا، اثني عشر رئيسا يلد، وأجعله أمة كبيرة" اهـ.

٧- حديثا أبي سعيد وأبي هريرة في إيقاظ الرجل زوجته وصلاتهما ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات، والذاكرون الله كثيرا أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما كما في سورة (الأحزاب:٣٥) وهذا الأجر العظيم كفيل بسعادة الدنيا والآخرة، وقال تعالى في سورة (البقرة: ١٥٢): ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ** ﴾ ، فإذا كان رجال الأمة ونساؤها متخلقين بهذا الخلق فبشّرهم بالعظمة والقوة والمد والرفعة، وإذا كانوا عنه معرضين فبشّرهم بعذاب أليم.

وتأمل دعاء النبي ﷺ بالرحمة لكل رجل قام من الليل لذكر الله بالصلاة، وأيقظ زوجته لتشاركه في هذه الغنيمة، فإن امتنعت رشّ على وجهها ماء يطير النوم من عينيها وينشطها للقيام، وبمثل ذلك دعا للمرأة الصالحة التي تقوم من الليل لذكر الله ومناجاة ربها في صلاتها، فتوقظ بعلها ليشاركها في الخير، فإن أبى رشّت على وجهه ماء يوقظه من سِنته، وينشطه للقيام. فهذه صفة الأمة السعيدة القوية المنصورة المؤيدة، وخلافها صفة الأمة الخائرة الضعيفة المتخاذلة الشقية.

فنسأل الله أن يوفّقنا لإحياء ما اندثر من مجدنا، واسترداد ما فقدناه من تراثنا حتى نكون خير خلف لخير سلف. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الإسلام والمذاهب الاشتراكية



بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلام هو الدين الرباني الذي ختم الله به دعوات الرسل وهدايتهم للبشر وهو دين خالد باق إلى قيام الساعة، له كتاب ضمن الله حفظه من التبديل والتغير والزيادة والنقص، وله سنة محمدية تفسر هذا الكتاب وتوضح معانيه وتبسط أحكامه، وتبين قواعده وتشرح فروعه، ولم يحصل مثل ذلك لأي كتاب من الكتب السماوية السابقة؛ لأنها كانت موقوتة بوقت محدود ينتهي العمل بها بانتهائه، أما القرآن والهداية المحمدية فهما باقيان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، لا ينسخهما ناسخ ولا يحدهما حد ولا يقف في طريقهما شيء، وإن بلغ أعداؤهما في الكيد والمكر كل مبلغ ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ - سورة الصف - وقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ وقال تعالى فيها أيضاً: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾.

فعلى كل من بلغه الإسلام بوجه تقوم به الحجة عليه أن يدخل فيه ويتبعه ويتمسك به وهو دين صالح لكل الشعوب في كل زمان ومكان، ومعناه التسليم والانقياد لأمر الله تعالى باللسان والقلب والجوارح، والإسلام في عقيدته وأحكامه وآدابه وهي الأخلاق وسط بين طرفين لا إفراط فيه ولا تفريط فهو يثبت في عقيدته توحيد الله تعالى في ربوبيته وعبادته وأسمائه وصفاته، لا يعطي منها غير الله سبحانه مثقال ذرة ولو كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً أو صديقا صالحاً.

فأما توحيد الله في ربوبيته فيتبين في نحو قوله تعالى في سورة المؤمنين: ﴿ قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ، قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ، قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ، بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾.

هذه محاجة أمر الله رسوله محمداً ﷺ أن يحاج المشركين بها فقال له: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعترفون بأن الله رب كل شيء وخالق كل شيء وهو المدبر لشئون الخلق

كلهم ومع ذلك يعبدون معه غيره، قل لهم لمن الأرض ومن فيها من حيوان عاقل وغير عاقل ونبات بسائر أنواعه وجماد من خلق ذلكم ومن يملكه ومن يسيره فسيعترفون بأن الله وحده هو الذي يملك الأرض ومن فيها فقل لهم أفلا تذكرون، فلماذا تعبدون معه غيره بالخوف والرجاء والذبح والنذر والدعاء والطلب والالتجاء عند الشدائد والملمات مع أن أولئك الذين تعبدونهم فقراء عاجزون لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً فكيف بغيرهم؟ ثم قال تعالى: ﴿ **قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ** ﴾ قل لهم يا محمد قل للمشركين: من رب السموات وما فيها من الكواكب السيارة والنجوم وغير ذلك من الآيات من خلقها؟ ومن يدبر شؤونها؟ ومن رب العرش العظيم؟ الذي هو سقف المخلوقات ولا يعرف قدره إلا الله فإنهم سيعترفون ويقولون: الله هو رب ذلك كله قل: أفلا تتقون الله؟ وتتركون ما أنتم عليه من عبادة غيره، ثم قال: ﴿ **قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ أي من يملك كل شيء وغيره لا يملك شيئاً بل هو نفسه مملوك ومن السيد العظيم الذي يجير أي يحمي من شاء فلا يستطيع أحد أن يناله بأذى ولا يجار عليه ولا يستطيع أحد أن يحمي ويؤمن من أراد الله عذابه أو إهلاكه فسيعترفون ويقولون: الله وحده هو الذي يستطع ذلك، فقل لهم: كيف تذهب عقولكم فتشركون مع الله غيره في عبادته، قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ، وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾.

قال في اللسان: "الرب في اللغة يطلق على المالك والسيد المدبر والمربي والقيم والمنعم ولا يطلق على غير مضاف إلا على الله عز وجل". اهـ.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآيات: "يخبر تعالى أنه خالق العالم سماواته وأرضه وما بين ذلك في ستة أيام، كما أخبر بذلك في غير ما آية من القرآن، واختلفوا في هذه الأيام هل كل يوم منها كهذه الأيام كما هو المتبادر إلى الذهن أو كل يوم كألف سنة كما نص على ذلك مجاهد والإمام أحمد بن حنبل، ويروى ذلك من رواية الضحاك عن ابن عباس. الشهادة.

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ قال فيه الإمام مالك رحمه الله: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة، وهذا أحسن ما قيل في تفسيره فإن الاستواء في لغة العرب معلوم معناه وكيفية ذلك لا يعلمها إلا الله واعتقاد السلف الصالح إمرار آيات الصفات كما جاءت من غير تشبيه ولا تعطيل، ثم قال ابن كثير وقوله تعالى: ﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً ﴾ أي يذهب ظلام هذا بضياء هذا وضياء هذا بظلام هذا وكل منهما يطلب الآخر طلباً حثيثاً أي سريعاً لا يتأخر عنه بل إذا ذهب هذا جاء هذا وعكسه ﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ﴾ منهم من نصب ومنهم من رفع وكلاهما قريب المعنى أي الجميع تحت قهره وتسخيره ومشيئته ولهذا قال منبهاً: ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ أي له الملك والتصرف ﴿ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً ﴾ الآية. قال صاحب اللسان: "وتبارك الله تقدس وتنزه وتعالى وتعاظم لا تكون هذه الصفة لغيره". ا هـ. والعالمون أجناس الخلق فهو ربهم ومالكهم والمتصرف فيهم وحده لا شريك له. وقوله: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً ﴾ قال ابن كثير: "أرشد تبارك وتعالى عباده إلى دعائه الذي هو صلاحهم في دنياهم وأخراهم قيل معناه: تذللاً واستكانة وخيفة كقوله: ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ ﴾ الآية. وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال: رفع الناس أصواتهم بالدعاء، فقال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنّ الذي تدعون سميع قريب**» الحديث. وعن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول: "اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها، فقال: يا بني سل الله الجنة وعذ به من النار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يكون قوم يعتدون في الدعاء والطهور**» ا هـ.

فرفع الصوت في الدعاء والابتداع فيه من الاعتداء الذي نهى الله عنه.

وقوله: ﴿ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ﴾ ينهى تعالى عن الإفساد في الأرض وما بعد الإصلاح فإنه إذا كانت الأمور ماشية على السداد ثم وقع الفساد بعد ذلك كان أضر ما يكون على العباد فنهى تعالى عن ذلك وأمر بعبادته ودعائه والتضرع إليه والتذلل لديه فقال: ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً ﴾ أي خوفاً مما عنده من وبيل العقاب وطمعاً فيما عنده من

جزيل الثواب ثم قال: ﴿ **إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ أي إن رحمته مرصدة للمحسنين الذين يتبعون أوامره ويتركون زواجره كما قال تعالى: ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ** ﴾ قاله ابن كثير في تفسيره. ا هـ.

وأما توحيد العبادة فمعناه: توحيد التوجه والطلب فإذا تقرر أن الله رب العالمين هو خالقهم ومالكهم ورازقهم ومدبر شؤونهم كلها وهو بكل شيء عليم وهو على كل شيء قدير وجب أن لا يتوجهوا في طلب جلب النفع ودفع الضر إلا إليه ولا يتخذوا من دونه ولياً ولا نصيراً واقتصر في الاستدلال على ذلك بآيتين في سورة فاطر وآيتين في سورة الأحقاف، ففي سورة فاطر قال تعالى بعد ذكر دلائل ربوبيته: ﴿ **ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ، إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** ﴾ فأخبر سبحانه أن كل من يدعى من دونه كيف ما كانت مرتبته لا يملك للداعي شيئاً من نفع أو ضر وأن غيره لا يسمع دعاء الداعين ولو سمع لم يقدر على إجابتهم ولا إسعافهم بشيء مما طلبوا وإن المدعوين من دونه سواء أكانوا ملائكة أم رسلاً أم صالحين أم غيرهم سيكفرون يوم القيامة بدعاء من دعاهم في الدنيا وسمى دعاءهم شركاً ومعنى يكفرون يتبرؤون.

وفي سورة الأحقاف: ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ، وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ** ﴾ فأخبر سبحانه أنه لا أضل ولا أبعد عن الحق ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب لهم إلى يوم القيامة وهو أي المدعو غافل عن دعاء الداعي إن كان من الأنبياء والصالحين فهو مشغول بما أعد الله له من الكرامة والنعيم، وإن كان من الطالحين فهو مشغول بما أعد الله له من العذاب الأليم وإذا حشر الناس يوم القيامة وعلم المدعوون بدعاء الداعين لهم كانوا لهم أعداء وكفروا بدعائهم وسماه الله عبادة وكذلك سماه رسول الله ﷺ عبادة في الحديث الصحيح: «**الدعاء هو العبادة**»، وفي حديث آخر: «**الدعاء من العبادة**». رواهما الترمذي.

وأما الأحكام فقد أحل الإسلام جميع الطيبات ولم يحرم منها شيئاً قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا**

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ وحرم الخبائث كلها ولم يبح منها شيئاً ومنها الخنزير والميتة والدم والخمر وكل مفسد للعقل الذي هو أعظم نعمة أنعم الله بها على البشر وأكل الربا والغصب والسرقة والغش والنجش وهو الاحتيال في البيع والقذف وهو اتهام المحصنات والمحصنين بالزنا، والزنا والسرقة وقطع الطريق وأكل أموال الناس بالباطل كالقمار وبيع الغرر وسائر أنواع الاحتيال.

وأما الآداب فقد جاء الإسلام بأكمل الآداب وأكرم الأخلاق، فمنها بر الوالدين وصلة الرحام بالإحسان إلى الأقارب وإكرام الجار كيف ما كان جنسه أو لونه أو دينه وإطعام الطعام وإفشاء السلام وإكرام اليتامى والرفق بالضعفاء وإقامة العدل بين الناس، قال تعالى في سورة النحل: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ** ﴾ الآية. وأمر بإيفاء الكيل والوزن وأوعد على نقصهما بالويل قال تعالى: ﴿ **وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ** ﴾. وأمر بكظم الغيظ والعفو عن الناس، ومدح الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وذم التبذير والإسراف، وحث على الصدقة وذم الكبر والعجب والحسد والبخل والرياء والغيبة والنميمة والتجسس وقبول أخبار الفساق بدون تثبت وأمر بالصبر والتواضع والتواصي بالحق والتعاون على البر التقوى ووضع النبي ﷺ ميزاناً دقيقاً يميز المسلم الصادق من المنافق المدعي الكاذب، فقال فيما رواه البخاري ومسلم: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان**». وفي رواية انفرد بها مسلم: «**وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم**». وقال النبي ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**». رواه البخاري.

وقال النبي ﷺ: «**من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة**». يعني من قتل شخصاً من غير المسلمين بينه وبين المسلمين عهد لا يشم رائحة الجنة، وسوى الإسلام بين جميع البشر على اختلاف ألوانهم وأجناسهم لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح، إلى غير ذلك من مكارم الأخلاق التي لا تجدها في غيره أبداً ولو ذهبنا نعدده لطال بنا القول.

المذاهب الحديثة

الاشتراكية الشيوعية

اعلم أيها القارئ الكريم أن للإسلام نظاماً اقتصادياً مستقلاً مخالفاً لنظام رأس المال والاشتراكيات بأنواعها والشيوعية كل ما يدعى في هذه المذاهب من خير فقد سبق إليه الإسلام قبل التفكير فيها بقرون كثيرة، وكل ما فيها من شر فقد ابتعد عنه وحذر أهله منه، فهو يخالف نظام رأس المال بفرض الزكاة في الذهب والفضة والإبل والبقر والغنم وما يخرج من الأرض من حبوب وثمرات والحق في المعدن والركاز وهو ما وجد مدفوناً في الأرض من الأزمنة السابقة وكذلك فرض كفارات، ككفارة الأيمان وكفارة الظهار وكفارة قتل النفس خطأ وكفارة الإفطار في نهار رمضان بلا عذر، وحرم الربا وبيع الغرر والبيوع الفاسدة، وبذلك ضمن التوازن النسبي في الممتلكات الثابتة والمنقولة، وحفظ الفقراء من استبداد الأغنياء واحتكارهم للثروة، ولم يحجر على أصحاب الكفاءات بل تركهم أحراراً في استخدام مواهبهم واكتساب الأموال بطرق مشروعة إذا أدوا حقها، ومن أراد أن يجعل الناس سواء، فليس لجهله دواء، قال تعالى في سورة النحل: ﴿ **وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ** ﴾ وسبب التفاضل في الرزق التفاضل في المواهب التي بها يكتسب الرزق، ولن يستطيع أحد من الأفراد والجماعات لا بسيف ولا مطرقة ولا محراث ولا بأي نوع من أنواع الإرهاب أن يجعل الناس في المواهب سواء، وإذا اختلفوا في المواهب فلا بد أن يختلفوا في الرزق سنة الله التي قد خلت من قبل، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، نزل المطر في أرض تثمر الكمأة بالعامية المغربية (الترفاس) فانطلق جماعة من الناس يبحثون عن الكمأة ثم رجعوا بعضهم حصل عشرين رطلاً، وبعضهم حصل رطلين، وبين هذين درجات كثيرة متفاوتة، فهل يجب على صاحب العشرين أن يقتسم مع صاحب الرطلين ؟ هذا جور وظلم وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون، خرج ثلاثة صيادين إلى البحر فوضعوا شباكهم أو ألقوا سناراتهم فرجع كل واحد بما قسم له فهل يجب أن يخلطوا ويقتسموا ؟ لا، لا هذا ظلم وجور، خرج ثلاثة صيادين لصيد الحجل في الهضاب والغابات وآخرون لصيد الغزلان في الصحراء، فهل يجب أن يجمعوا ما حصلوا عليه ويقتسموا بالسوية ؟ لا، لا، هذا

ظلم وجور، التفاوت في المواهب يستلزم التفاوت في الأرزاق لا محالة، ودواؤه فرض الزكاة والقرض بلا منفعة، وفرض الكفارات والحث على الصدقات.

الاشتراكية الشيوعية

الاشتراكية ثلاثة أنواع:

النوع الأول:

الاشتراكية القومية: وهي التي دعا إليها موسوليني وهتلر، وحاصلها أن يعتبر الشعب كله عمالاً والحكومة هي التي تتصرف في جميع الأموال فتعين لكل عامل عمله وأجره ولا يجوز لأحد أن يرفض ما عينته له الحكومة وليس إلا حزب واحد وعلى الشعب أن ينتخب حكومته من ذلك الحزب، فهو الوصي على الشعب الذي ينظر في مصالحه في سلمه وحربه، وغاية الحزب والحكومة أن يكون شعبه فوق جميع الشعوب غنى وقوة وسعادة ولكل فرد من أفراد الشعب الحق في الحصول على عمل وأجر يكفل معيشته وله الحق أن يدخر ويملك ما قدر عليه من الممتلكات المنقولة وغيرها بشرط أن يؤدي الضرائب المفروضة، والملاك يقولون: إن تلك الضرائب ثقيلة وكثيرة حتى إنه لا يبقى لهم بعد أخذها إلا قليل يعيشون به ويدعون إن حال العامل أفضل من حالهم وأن الحكومة تحصى عليهم كل شيء. هذا مبلغ علمي فيما رأيته وسمعته ولكني لم أسمع قط بوجود رشوة.

أما المناصب العالية فهي خاصة للمنتسبين إلى الحزب، وهذا النظام لم يعمر طويلاً حتى يعلم صلاحه أو فساده ولما جر على أهله حرباً طاحنة أحرقت الأخضر واليابس فإن جمهور الشعب الألماني مقت هذا النظام ورفضه ولا يريد العودة إليه، ومن المؤسف أن بعض البلدان العربية اختارته وتمسكت به وعضت عليه بالنواجذ ودانت به مع أن أهله تبرؤوا منه. هذا مع ما لهم من العلم والخبرة والتعاون والنجدة وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين.

النوع الثاني:

الاشتراكية الديمقراطية: كالتي عليها حزب العمال البريطاني الحاكم وأحزاب أخرى في فرنسا وإيطاليا وألمانيا وغيرها، وهذا النوع من الاشتراكية ليس فيه استبداد ولا خنق

لحريات الشعوب وإنما يبنى على الدعاية ولا يمنع الملك الفردي لكنه يوجب أن تكون المصالح العامة كالمعادن والمناجم وسكك الحديد وما أشبه ذلك ملكاً للحكومة التي تمثل الشعب، فهذه الموارد يجب أن تكون ملكاً لعموم الشعب لا يستبد باستغلالها فرد ولا جماعة؛ لأن ذلك يفضي إلى احتكار بعض الأفراد أو الجماعات مقداراً كبيراً من الأموال والممتلكات على حساب أبناء جنسهم، وبذلك تنقسم الأمة إلى أغنياء طاغين قد تفاحش غناهم وتجاوز الحدود، وفقراء مدقعين قد تفاحش فقرهم فهم في غاية الذلة والاستكانة لا رأي لهم ولا كرامة موطوئين بالأقدام عبيداً أرقاء ليس لهم إلا السمع والطاعة وذلك ظلم وحيف في نظر الاشتراكية الديمقراطية، ولا تمنع هذه الاشتراكية وجود أحزاب مخالفة لها؛ لأنها كما قلنا لا تنشر مبادئها بالقهر والجبر بل بالدعاية والإقناع وتقدس حرية الرأي والكلام والعقيدة والعمل والتنقل.

ولما كان هذا النوع من الاشتراكية يبيح الملك إلا ما تقدم استثناؤه خاف من تفاحش الغنى وتعاظم الثروة ففرض ضرائب تصاعدية على قدر الدخل والمحاصيل حتى لا تتسع المسافة بين الأغنياء والفقراء وهذه الاشتراكية لا تتعرض للدين ولا تتدخل في عقائد الناس وأقطابها متدينون معظمون لرجال الكنائس متفقون معهم وهم حاربون نظام رأس المال ويتهمون المتبعين له بأنهم كاذبون في ما يزعمونه من الدعوة إلى الحرية والديمقراطية لأنه متى لم تقيد الثروة بالقيود التي تقدم ذكرها طغى الأغنياء على الفقراء ﴿ **كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى، أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى** ﴾ فالرجل الذي يملك معامل أو مزارع أو متاجر تحتاج إلى آلاف العمال لا بد أن يفرض إرادته على أولئك العمال فلا يستطيعوا أن ينتخبوا غيره إذا رشح نفسه ليكون نائباً في مجلس النواب أو يكون عيناً في مجلس الأعيان، وهذا يتنافى مع تحقيق الحرية وإقامة العدل والمساواة التي يزعم أصحاب رؤوس الأموال أنهم أنصارها، أما أنصار عقيدة رأس المال فلهم حجج يدفعون بها عن أنفسهم منها الحكومة تستنكر الاحتكار على أفراد الشعب وجماعاته وتحرمه عليهم وتحله لنفسها، ومنها أن الاستيلاء على المصالح العامة يعطل حركة التنافس بين الأفراد والجماعات فيضعف النشاط ويقل الحماس ونتيجة ذلك قلة المحاصيل وفرق كبير بين من يشتغل لنفسه ويشتغل في ما يعود عليه بالنفع والخير العميم وبين عامل يعمل في مصلحة حكومية لا يهمه ربحها أو خسارتها وإنما يهمه الراتب الذي

يحصله في نهاية الأسبوع أو في نهاية الشهر، هذا مع اتفاق الفريقين على حرية الرأي والعقيدة وسائر الحريات ولذلك نراهم متعايشين في شعب واحد متعاونين على ما يرون فيه الخير لأمتهم وإن اختلفت وسائلهم، وقد مضى على هذا النوع من الاشتراكية زمان طويل في بلدان مختلفة وظهر أنه صالح للبقاء عندهم.

النوع الثالث من الاشتراكية:

النوع الثالث من الاشتراكية التي يزعم أهلها أنها مقدمة للشيوعية، وتسمى (البولشفية) وهذا النوع يبنى على سلب جميع الممتلكات وجميع الحريات والمعتقدات ويجعل الإنسان آلة صماء يحركها الرؤساء فتتحرك ويقفونها فتقف، ويأمرونها أن تنطق فتنطق بما يشتهون وأن تسكت فتسكت، وأن تمدح فلانا فتقدسه في أول النهار، ثم يأمرونها أن تلعنه في آخر النهار، فتأتمر ولا تفكر فالاشتراكي المخلص عندهم هو الذي يكون كالعقل الالكتروني وليس مقصودي بهذا الكلام أن أشتمهم، ولكني أريد بيان الحقيقة كما هي في نظري، وقد دخلت برلين الشرقية وبقيت فيها أياماً وأنا أذكر ما شاهدته وخبرته وتحققته.

فأما سلب الأموال والممتلكات فإنه لا يجوز لأحد أن يملك أرضاً ولا داراً ولا سيارة ولا متجراً ولا يملك إلا ثيابه التي على ظهره وإلا أجرة عمله بشرط أن لا يدخرها لو كان فيها متسع للادخار.

ودونك مثلا يعينك على تصور هذه الحقيقة، رأيت في برلين الغربية سنة ١٩٥٤م بتاريخ النصارى قبل بناء سور برلين عجوزاً تسكن في غريفة حقيرة من الفندق الذي كنت فيه نازلاً فأخبرتني صاحبة الفندق أن تلك العجوز قبل الحرب كانت لها ثروة طائلة فلما انتهت الحرب بخسران ألمانيا أراضيها الشرقية استولى الشيوعيون على أملاكها كلها، ولم يبقوا لها منها شيئاً لا قليلاً ولا كثيراً، وبقي لها جزء قليل من بيت في برلين الغربية وقد أعطاها الشيوعيون غرفة في بيت من برلين الشرقية وجعلوا لها أجرة لسد الرمق وفرضوا عليها أن تشتغل في كنس الشوارع فهي تشتغل مدة طويلة إلى أن يجتمع لها من كراء ذلك الجزء الضئيل الذي تملكه من ذلك البيت في برلين الغربية مقدار من المال فتنتقل إلى برلين الغربية وتستأجر غريفة رخيصة الثمن وتنفق مما اجتمع لها حتى ينقضي ثم ترجع إلى الجحيم.

أما بعد بناء السور الذي هو عكس ما قال الله تعالى: ﴿ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ فلا أدري ما فعل الله بتلك المسكينة وأمثالها من الأغنياء الذين قلب لهم الزمان ظهر المجن فأصبحوا بؤساء بين عشية وضحاها بسبب الاحتلال الروسي وفرض الحكم الشيوعي على ذلك الشعب المنكوب، ودونك مثلا آخر حدثنا شهود عيان أن أهل بيت من الأغنياء (ولا أقول أسرة ولا عائلة) من ألمانيا الشرقية لما دهمهم الاحتلال الروسي أمروا بإحضار طعام الضيافة للفاتحين الغزاة فأمروا خدمهم بذبح المواشي وطهي الطعام وتوجهوا إلى الغابة وعلقوا فيها حبالاً وقتلوا أنفسهم خنقاً لأنهم يعلمون أن الضيوف الثقلاء بعد أكلهم وشربهم الخمور يسلبونهم كل شيء حتى الخواتم التي في أصابعهم ويطردونهم من ديارهم ومزارعهم ويفرضون على كل من سلبوا أرضه أو داره أن يكون بعيداً من الأرض المسلوبة أو الدار المغصوبة والمعمل مسافة لا تقل عن ثلاثين كيلو مترا، ومتى وجد في مكان يقرب من ممتلكاته السابقة أقل من ثلاثين كيلو متراً يعاقب عقاباً شديداً.

ودونك مثالا ثالثاً، من المعلوم أن الشعب الجرماني الذي يسمونه بالألماني من أرقى شعوب أوربة مدنية وحضارة لا يمتري في ذلك اثنان، ولا ينتطح فيه عنزان، وقد انقسمت هذه البلاد الجرمانية وهذا هو الاسم الذي سمتها به العرب في عام تخطيط البلدان بعد الحرب العالمية الأخيرة قسمين: غربي وشرقي، فالقسم الغربي مع ما أصابه من النكبات في زمان الحرب الطحون رجع أحسن مما كان يشهد بذلك كل مسافر وسائح رأى تلك البلاد فالمباني التي تهدم ثمانون منها في المائة بفعل قنابل الأعداء أعيدت أحسن مما كانت عليه، وكذلك المعامل والمزارع والطرق، هذا في القسم الغرب.

أما القسم الشرقي فإنه خراب كأنه انتقل من يد دولة متمدنة إلى دولة همجية، سافرنا بالسيارة من المغرب فعبرنا المضيق من سبتة إلى الجزيرة، وعبرنا أسبانيا ففرنسة فالقسم الغربي من ألمانيا وكان الطريق من كلونيا إلى هنوفر التي هي على حدود ألمانيا الشرقية من أحسن طرق أوربا مقسوماً قسمين بينهما حاجز وكل منهما تسير فيه أربع سيارات ولا تحتاج السيارة إلى توقف لأن السيارات التي تعبر الطريق عرضاً لها ممرات إما تحت الأرض وإما فوق الجسور وقد تعجب في ذلك سائق سيارتي تبرعا وهو الأخ الحاج أحمد هارون، فقال لي: أريد أن أجرب هل أضطر إلى نقص سرعة السيارة أم لا أضطر؟ فبقي ساعتين

بمقياس واحد لم يضطر إلى أن ينقص شيئاً منه وأسماء الأماكن وعلامات الطرق المختلفة والأضواء التي تقوم مقام شرطة المرور كل ذلك في غاية الإتقان بحيث قلما يحتاج المسافر إلى أن يسأل عن شيء أو يضل طريقه هذا في القسم الغربي.

أما في القسم الشرقي فالأمر بعكس ذلك الطريق مهمل لم يصلح منذ سنين كأنه صحراء وليس فيه علامات ولا أضواء فتجد السائحين ضائعين يسأل بعضهم بعضاً ولا هادي ولا مرشد.

والشعب الذي يسكن القسمين شعب واحد لا يختلف إلا في نظام الحكم، وهناك مثل آخر وهو برلين الغربية، وبرلين الشرقية، من المعلوم أن مدينة برلين مدينة واحدة كانت عاصمة جرمانية كلها قبل الحرب، وبعد هزيمة الجرمانيين في الحرب العالمية الأخيرة أصبحت برلين جزيرة في بحر ألمانيا الشرقية تحيط بها أراضي ألمانيا الشرقية من جانب، فاقتسمه الغالبون فأخذ الأمريكيون والبريطانيون والفرنسيون القسم الغربي منها وحكموه مدة ثم سلموه إلى حكومة ألمانيا الاتحادية، أما القسم الشرقي فبقي تابعاً لحكومة ألمانيا الشرقية تحت نفوذ الروسيين، وكل من زار قسمي برلين الشرقي والغربي لا يكاد ينقضي عجبه، يرى القسم الغربي وسكانه ثلاثة ملايين يعيشون في أرغد عيش في غاية الرفاهية والازدهار فترى المخازن والمتاجر ملأى بأنواع التحف والبضائع والمطاعم والمشارب والحدائق والملاعب والشوارع غاصة بأجمل السيارات والمباني التي تهدمت كلها في زمان الحرب قد أعيد بناؤها حتى صارت أجمل مما كانت وترى السكان يرفلون في أفخر الثياب والزي، أما إذا أردت أن تدخل إلى برلين الشرقية فإنك تجيء إلى مدخل السور وتسلم جواز سفرك وتعطي بطاقة صغيرة وتقف مع صفوف الواقفين حتى يجيء دورك فتنزل إلى سرداب تحت الأرض وتنتظر حتى تمتحن في أربعة مكاتب بأسئلة وأجوبة والمكتب الرابع بعد ما يعرف مقدار ما عندك من النقود ويسجلها يرد لك الجواز، فتدخل في القسم الشرقي وتجده يبابا خراباً كأن خيلا أغارت عليه ونهبته، وأبدلت سعده نحساً ونضرته كآبة وسعادته شقاء، فلا مباني تعجبك ولا أسواق ولا مطاعم ولا سيارات جميلة ولالا بضائع في المخازن والناس في ثياب حقيرة والنساء لابسات ثياباً خسيسة، فكأنك خرجت من عالم إلى عالم، فإن قلت: وما الموجب لبناء السور؟ فالجواب أن الشيوعيين أو الاشتراكيين كما يحبون أن يدعوا

يزعمون أنهم وحدهم يعيشون في النعيم في الحرية والديمقراطية والعالم كله يعيش في شقاء العبودية تحت نظام رأس المال الطاغي أو الاستبداد الظالم ولكن رعاياهم لا تصدق هذا الزعم، ولذلك لم يزالوا يفرون من ذلك الفردوس المزعوم إلى برلين الغربية فتنقلهم الطائرات إلى برلين الغربية حيث يستنشقون نسيم الحرية ويشعرون بأنهم أحرار يسيرون في أرض الله الواسعة حيث يشاءون فلما عجزت حكومة ألمانيا الشرقية تحت المراقبة الروسية أن تقنعهم بما تزعم من الدعاوى أرادت أن تضرب سوراً على ذلك الفردوس وتنصب عليه الأسلاك الشائكة والرشاشات والحرس المسلح ليلا ونهاراً حتى لا يفر واحد من فردوس الشيوعية ونعيمها إلى عذاب نظام رأس المال وجحيمه، ومع ذلك كله لم تنقطع الهجرة والفرار وقد هرب من ألمانيا الشرقية إلى ألمانيا الغربية بواسطة برلين الغربية منذ نهاية الحرب أكثر من أربعة ملايين وحتى بعد بناء السور لا يزال الناس يهربون ويتركون بيوتهم وأمتعتهم ويفرون بأنفسهم مؤثرين الحرية على كل شيء سواها من متاع الدنيا، وحوادث هذا الفرار لا تزال تتلى صباح مساء في الإذاعات على مسامع القراء وما أحسن المثل العامي الذي يقول: (حتى كلب ما هرب من دار العرس) معناه بالفصحى: (لا كلب يفر من الدار التي تصنع فيها وليمة العرس بل بالعكس كل كلب يحب أن يأتيها لينال من فضلات الطعام) ومن أغرب ما سمعته من إذاعة لندن في هذا الصدد أن خمسة وعشرين شخصاً اتفقوا على أن يحفروا نفقاً يبتدئون من دار أحدهم وكانت داره بقرب السور فقضوا مدة في الحفر كل ليلة يحفرون ساعات ويقومون بأعمالهم المفروضة عيهم في النهار حتى وصلوا النفق إلى مبنى في القسم الغربي ولما انتهى النفق خرجوا كلهم ذات ليلة وتركوا الدار تنعي من بناها، وهناك حوادث كثيرة طريفة وعجيبة يعرفها من يتتبع مثل هذه الأخبار.

وأما سلب الحريات فيجب على كل عضو في الحزب أن يكفر بجميع الأديان وأن يؤمن بعصمة شارل ماركس في كل ما شرعه واعتقده ولينين، وكان ستالين ثالث ثلاثة إلى أن خلعه نائبه وشريكه في كل ما ارتكبه خروتشوف بعد وفاته فبطلت قدسيته عند بعض الشيوعيين وبقيت ثابتة عند بعضهم، أما من لم يكن من المشتركين في الحزب فيجوز له أن يقول إنه مسلم أو نصراني بشرط أن لا يرد شيئاً ولا ينتقد شيئاً من نظام شارل ماركس ولا

من الأنظمة التي يضعها الحزب الشيوعي ومع ذلك يكون محتقراً موضع سخرية واستهزاء.

أما في السياسة فلا يجوز له أن يعتقد إلا سياسة الحزب وإن تناقضت يتناقض معها فكل الزعماء الذين رفضهم الحزب يجب على جميع الناس أن يقلبوا لهم ظهر المجن ويذموهم بعدما مدحوهم أعظم المدح كتروتسكي ومالينوف ومولوتوف وخروشوف. وأما ستالين فقد تقدم خبر رفعهم له إلى درجة التقديس ثم خفضهم له إلى درجة الإجرام.

وأما حرية العمل فهي معدومة، فيجب على كل إنسان ذكراً كان أو أنثى أن يقبل العمل الذي تفرضه عليه الحكومة في المكان الذي تعينه له بالأجر الذي تعينه له والساعات التي تعينها له ولا يجوز له أن ينتقد شيئاً من ذلك، وإلا صار متهماً بالخيانة واستحق العقاب الشديد على قدر انتقاده وكذلك حرية التنقل والسفر إلى الخارج لا يجوز لأحد أن يفكر فيه وقد شاهدت في برلين الشرقية الصبيان في سن أربع عشرة سنة يوبخون والديهم ويتهمونهم بالرجعية وعدم الإخلاص للحزب والجمود على الأفكار السخيفة والآباء والأمهات يخافونهم، والواجب على كل ملك ورئيس من رؤساء المسلمين أن يحفظ شعبه من هذه المذاهب التي تجلب الشقاء والشر ويجب أن تسمى سل بحق الشعوب إذا كان غلاة الشيوعيين وكلهم غلاة يسمون الدين أفيون الشعوب فنحن نسمي نحلتهم سل الشعوب ولسنا من المؤثرين المحتكرين حتى نتهم بأننا نعارضهم محافظة على أموالنا ولكن النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم أوجب علينا أن ننصح لجميع الشعوب وخصوصاً المسلمين أن يبتعدوا من جميع أنواع الاشتراكية اسماً وعقيدة وعملاً، ففي ما جاء به كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ غنية لهم وكفاية، ومن لم يسعه ما وسع السلف الصالح فلا وسع الله عليه:

ومن لم يسعه ما أتى عن محمد فلا وسع الرحمن يوماً على الغر

أما التسمية فقد قال الله تعالى: ﴿ **هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ** ﴾ آخر سورة المؤمنين.

وأما العقيدة والعمل فقد تقدم أن الإسلام سبق إلى كل خير وتجنب عن كل شر وكل ما يدعونه من المواساة وابتغاء العدالة بين أفراد الشعب ظهر أنه غير صحيح، فقد أخبرني السيد أحمد موسلر المسلم الألماني في بيته ببرلين الغربية، قال: كنا نعيب على حكومة هتلر

أنها تدعي الاشتراكية لتحقيق المساواة بين أفراد الشعب ومع ذلك كان طعام الضباط يختلف عن طعام الجنود فكان للضباط مطبخ فيه ألوان من الطعام ولعامة الجنود مطبخ آخر فيه ألوان دونها في الجودة فلما انهزم الجيش الألماني وقعت في أسر الروسيين فأخذوني إلى موسكو وبقيت هنالك سنتين فرأيت للجيش الروسي خمسة مطابخ بعضها أعلى من بعض يعني أن الطعام عندهم خمس درجات الدرجة العليا لكبار الضباط والثانية للمتوسطين والثالثة للصغار والرابعة للعرفاء والخامسة لعامة الجند، قال: فعلمت أن كلا الفريقين في دعواه الاشتراكيون القوميون والاشتراكيون الشيوعيون كلهم مخادعون، وصدق الله العظيم إذ يقول في سورة البقرة: ﴿ **وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ، إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾.

التقدم والرجعية (١)



هاتان الكلمتين لم تكن تستعملهما العرب بهذا المعنى الذي يقصده بهما كتاب العصر الحاضر لأنهما مما ترجمه المترجمون باللغة العربية ناقلين له من اللغات الأوروبية فتلقاه كتاب العربية واستعملوه في كلامهم وكتبهم.

والرجعية: نسبة إلى الرجع وهو مصدر رجع يرجع رجعا أي عاد إلى مكانه الذي كان فيه أو إلى حال كان فيها وفعله بهذا المعنى اللازم.

قال ابن منظور في لسان العرب: "ومصدره لازما الرجوع ومصدره واقعا الرجع يقال رجعته رجعا فرجع رجوعا". اهـ.

والرجعية عند المعاصرين صفة الرجعي الذي يرجع في أفكاره وعقائده إلى الزمان الماضي وهو زمن الانحطاط والظلم والجهل والاستئثار والإصرار على الخرافات والأوهام التي انقشع الظلام فيها عن بصائر المتقدمين والمتمدنين السائرين حثيثا في ركب الحضارة الطالبين للحقيقة ولا يمنعهم منها مانع من العقيدة أو عادة يتعصب الرجعيون لها فهم - أعني المتقدمين - دائما في طليعة هذا الركب أغنياء أقوياء سعداء علماء سائرون إلى الأمام متعاونون مع الشعوب التقدمية ينظرون إلى آبائهم وأسلافهم نظرة ازدراء أو رحمة وشفقة ويسخرون منهم كلما ذكروا أحوالهم.

بداية عصر النهضة والتقدم عند الأوروبيين وكيف كانت الحالة قبل ذلك:

ينبغي أن نذكر هنا كيف كانت الحال قبل النهضة ليعرف فضلها، ويتبين لكل ذي عينين الفرق الشاسع بين التقدميين والرجعيين الذين يصرون على تقديس العصور المظلمة على حد تعبير خصومهم .

قال جوزيف مكيب في كتابه (مدنية العرب في الأندلس) وقد ترجمته وعلقت عليه وطبع في بغداد سنة ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م وسبب ترجمتي له أني كنت في غرناطة أثناء الحرب العالمية الأخيرة لأن الفرنسين نفوني من الأراضي التي كانت تحت أيديهم وهي القسم الأكبر، والقسم الذي كان بيد الأسبانيين كان ممتدا على شاطئ البحر الأبيض لا يزيد عرضه على (٥٠ميلا) وكنت ولا أزال مصابا بداء الربو أحتاج إلى البعد عن البحر.

وكان الطلبة المغاربة الذين يدرسون في جامعة غرناطة ملتفين حولي، مترددين على زيارتي وكان الأساتذة الإسبانيون الذين يعلمونهم لا ذمة لهم ولا أمانة وذلك شأن أكثر الأساتذة في البلاد التي تنعدم فيها الحرية ويسود فيها الاستبداد، فكانوا يفترون على التاريخ ويزعمون أن المسلمين الفاتحين للأندلس من الشرقيين والمغربيين كانوا سيئي الأخلاق جهالا عتاة وكان حكمهم جائرا قاسيا، فمحوا كل خلق كريم من الشعب الإسباني وعلموه مساوئ الأخلاق فكل خلق سيئ مرذول يوجد في الشعب الإسباني هو من آثار الحكام المسلمين، وكنت قد اطلعت على كتابين ألفهما في تاريخ المسلمين في إسبانيا المؤلف الإنكليزي الشهير الذائع الصيت (جوزيف مكيب) أحدهما كبير والآخر صغير فعمدت إلى الصغير فترجمته بالعربية ليكون سلاحا بيد الطلبة المغاربة وغيرهم من المسلمين يواجهون به كل عدو جاحد مكابر .

وهذا المؤلف عدو للأديان كلها وقد ذكرت له ترجمة واسعة في أول الكتاب إلا أن طعنه في الإسلام أقل وأخف من طعنه في النصرانية، لأن علماء شعبه الذين يرد عليهم من الإنكليزيين وسائر الأوروبيين كلهم نصارى وقد أستثقل تفاحش قوله وشتائمه للنصارى ولكني أضطر إلى نقلها إذا كانت ممزوجة مع اعترافه بفضل المسلمين وسبب هذا الاستثقال حب الاقتداء بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه لم يكن طعانا ولا لعانا ولا فاحشا ولا متفحشا ولما طبع هذا الكتاب ووصلت نسخ منه إلى تطوان في زمن الاستعمار الإسباني صادر الحكام الإسبانيون تلك النسخ وزجوا بالكتبي الذي كان يبيعها في السجن وليس ذلك بعيدا من أخلاقهم وقد حبسوني أنا بنفسي قبل أن ينشر الكتاب وقبل أن يعلموا بوجوده وكان ذلك تهورا منهم وطغيانا لوساوس كان شيطانهم يوسوس لهم بها ولمقالات كنت بعثتها في البريد الإنكليزي بتطوان إلى الأستاذ المجاهد الشهيد الشيخ حسن البنا رحمة الله عليه فقد اطلعوا عليها بواسطة بعض الموظفين المغاربة في البريد الإنكليزي ثم أنقذني الله منهم وأنقذ ذلك الجزء من المغرب من حكمهم ونسأله سبحانه أن ينقذ الباقي وهو(سبتة، ومليلية ووادي الذهب والصحراء المغربية والساقية الحمراء) ويوفق المغاربة لغسل هذا العار إنه على كل شيء قدير .

قال جوزيف مكيب في كتابه مدنية العرب في الأندلس :

الفصل الأول

لقد أطلقت لفظ العصور المظلمة كسائر المؤرخين في (تويليفي) هذا على أكثر عصور الممالك النصرانية انحطاطا على العموم وخصوصا القرن العاشر المسيحي تنصرت الممالك الأوروبية قبل ذلك بخمس قرون أو ستة قرون تقريبا مضت من يوم تغلب البوابي - جمع بابا - والأساقفة على إرادة الملوك وحثوهم على إبادة كل مصدر من مصادر الإلهام يخالفهم فأغلقوا المدارس والمعاهد وقضوا على العلم والأدب.

وإذا استثنينا بعض المواضع في أوروبا كالبندقية إذ كان فيها بقية تافهة اصطلاحية من علم اليونانيين تخفف من شرهم وهمجيتهم فإن أوروبا كلها كانت في تباب وخراب اقتصاديا واجتماعيا وعقليا وكان ذلك العهد أشد سوادًا وظلمة وانحطاطا من سائر العصور البابوية وفي ذلك الزمان أطلق الأساقفة والقسيسون والرهبان والراهبات الأعنة في الدعارة والشهوات البهيمية ولم يكونوا في ذلك الزمان يستترون حتى بجلباب النفاق ولو أن غنيا مليونيا من أهل هذا العصر كان في ذلك الزمان لقدر أن يشتري مملكة بأسرها وكان تسعة وتسعون في المائة خدما يعاملون بأقسى ما يعامل به العبيد ولم يكن ولا واحد في المائة من الرجال ولا واحد في الألف من النساء تقدر على القراءة وكان الضعيف مضطهدا مقهورا مسحوقا تحت الأقدام مغموسا في الطين والدم بل حتى القوي كان مهددا بالأوبئة الوافدة والسيوف اللامعة على الدوام والنجوم ذوات الأذناب في السماء وجنود العفاريت الهائلة في الهواء كذلك إن أردت أن تعرف أفكار النصرانية الاجتماعية فادرس القرن العاشر فلا زخارف أقوال الواعظين ولا كذب المعتذرين ولا الإذعان السياسي من المؤرخين يقدر أن يخفي عن ذوي الألباب عظم تبعة الكنيسة ولا سيما البابوية في ذلك الزمان الذي بلغ فيه الانحطاط إلى دركة لا نظير لها وإنه لفصل من أشد فصول البشرية شقاء وحزنا من الفصول التي استشهدت فيها الإنسانية وأنه لأفضع فصول من فصول غضب الله. حقا لقد حطم "بولوس" من ناحية و"أوكستين" من ناحية أخرى مدنية الإنسان فهل هذا الذي سمياه - بعيدين عن اتباع الهوى - (مدينة الله).

يقصد المؤلف بهذا الكلام رجلين على يديهما انتشرت النصرانية المحرفة التي يعزو إليها المؤلف كل ما أصاب الناس من الشقاء وينبغي أن أذكر للمستمعين الكرام ترجمتي هذين الرجلين باختصار:

أما "بولوس" ويسميه الأوروبيون (بول الرسول) وتعده الكنيسة من الرسل الاثني عشر من أصحاب عيسى عليه السلام وكان "بولس" يهوديا يونانيا ولد في "طرسوس" ولا يعرف بالتحقيق تاريخ ولادته وقد خمن المؤرخون أن يكون قد ولد سنة عشر للميلاد وكان عالما بعلوم اليهود واليونان وكان يعد من فقهاء اليهود وكان شديد العداوة لكل من آمن بالمسيح محرضا على قتلهم ولما كان في نحو الثلاثين من عمره ادعى أنه رأى رؤيا تدل على أن النصرانية حق فصار نصرانيا متعصبا وبعد ما قضى "بولوس" بقية عمره أي خمسا وثلاثين سنة في حل وترحال مطوفا في أقطار آسيا الصغرى وأوروبا في البر والبحر يدعو الناس إلى النصرانية ويخبرهم بأن الله أمره بذلك ويبني الكنائس ويؤسس الجماعات ويركب الأخطار وأعداؤه من اليهود الحاقدين عليه والنصارى الحاسدين له ينصبون له الشباك ويكيدون له المكائد وقد سجن مرارا وقتل في رومية سنة ٦٥بتاريخ النصارى وله مؤلفات كثيرة معروفة مقدسة عند النصارى .

وأما "أوكستين" ويسمى باللاتينية (أغسطونيوس) فقد ولد في "تاغستة" وهي بليدة من توميديا في إفريقيا غير بعيدة عن قرطجنة وهي في هذه الأيام من أعمال تونس في ١٣من تشرين الثاني سنة ٣٥٤وتوفي في ١٨ آب سنة ٤٣٠ بتاريخ النصارى وكان أبوه وثنيا وأمه نصرانية متعصبة وكان في أول أمره بعيد على التدين والصلاح ثم اشتغل بدراسة الفلسفة ولما بلغ من عمره ٢٩ سنة انتقل إلى إيطاليا فاجتمع بالعلماء ثم دخل في النصرانية بإلحاح من أمه وألف كتاب سماه (الاعترافات) ذكر فيه سيرته قبل التدين بالنصرانية وبعده ثم رجع إلى بلده "تاغستة" ثم أخذ يعظ في الكنيسة إلى أن صار أسقفا وبقي فيها ٣٥ سنة وألف تآليف كثيرة في الديانة النصرانية منها تفسير الزبور ومنها حواش على الأناجيل الأربعة وله كتابان آخران أحدهما كتاب (الاعترافات) وقد تقدم ذكره والثاني (مدينة الله) وإليه أشار "جوزيف مكيب" الذي ترجمت كتابه وسميته "مدنية العرب في الأندلس" ومقصوده بهذا الكتاب الرد على الوثانيين الذين يعبدون الأوثان والأصنام ودعوتهم إلى

الدخول في مدينة الله بإيمانهم بدين النصارى الذي يقصر العبادة على ثلاث أقانيم فقط أولها: الأب، وثانيها: الابن وهو عيسى عليه السلام، وثالثها: روح القدس وهو قد يظهر في بعض الأحيان على شكل حمامة أو غيرها يقول كاتب هذه المحاضرة وليت شعري ما الفرق بين عبادة الأوثان والأصنام وبين عبادة الأقانيم الثلاثة؟ صدق الله العظيم ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ سورة المائدة.

ثم قال "جوزيف مكيب" في وصف انحطاط الأوروبيين قبل فتح المسلمين الأندلس وبعده بزمن طويل:

"اعلم أن أمهات المدن الأوروبية لم توجد فيها قنوات لصرف المياه القذرة حتى بعد مضي ستمائة سنة من ذلك التاريخ أي من سنة ٧٥٦-١٣٥٦م فكانت المياه المنتنة النجسة تجري في طول شوارع باريس ولندن ويضاف إلى ذلك أنها لم تكن مبلطة أو تجتمع فيتكون منها برك حتى بعدما عملت النهضة في أوروبا عملها قرونا طوالا أما في مدن المور فكانت الشوارع مبلطة منورة قد سويت فيها مجاري المياه أحسن تسوية في أواسط القرن العاشر قال "سكوت": بعض القنوات التي كانت تحت الشوارع لصرف المياه القذرة في "بلنسية" تقدر أن تكتسح سيارة وأصغر قناة منهن تقدر أن تكتسح حمار وكانت الشوارع مجهزة أحسن تجهيز بالشرطة وهذا النظام الصحي السامي كانت تعضده النظافة العامة التي يراها الأمريكيون في هذه العصور شيئا واجبا ولكنها في ذلك الزمن كانت في نظر الأوروبيين أعجوبة من أعاجيب الرقي التام فكان في قرطبة وحدها تسعمائة حمام عام وكانت الحمامات الخاصة كثيرة في كل مكان أما في بقية بلاد أوروبا فلم يكن فيها ولا حمام واحد وكان أشراف أوروبا ورؤساء الإقطاع منهمكين في الرذائل إلى حد يحجم الإنسان عن وصفه ولم يكن لبس الكتان معروفا في أوروبا حتى أخذت (موضة) - أي طراز - لبس الكتان النظيف من المحمديين ولم تكن الزرابي أيضا تصنع هناك وكان الحشيش يغطي قصور الأمراء

ومصطبات الخطابة في المدارس وكان الناس والكلاب ينجسون المحلات إلى حد يعجز عنه الوصف ولم يكن لأحد منهم منديل في جيبه وفي ذلك الوقت لم تكن الحدائق تخطر ببال أحد من أهل الممالك النصرانية ولكن في إسبانيا العربية كان الناس من جميع الطبقات يبذلون الجهود والأموال في تجميل حدائقهم العطرة البهية وكانت الفسقيات ترقرق مياهها صعودا في صحون الدور والقصور والأماكن العامة ولا يزال في صحن الجامع الكبير في قرطبة حوضان كبيران جميلان من مرمر يزينان ذلك الصحن حيث كان كل مصلي يتوضأ قبل أن يدخل إلى المسجد ووصفهما "سكوت" في هذا الزمان فقال: هذان الحوضان اللذان كانا من قبل متوضأ للمسلمين الغيورين من جميع الآفاق والآن يمدان بالماء سكان قرطبة النصارى ذوي المناظر القذرة والأخلاق السبعية والجهل العظيم بمزايا الشعب الطاهر العاقل المهذب الذي تنتمي إليه الذكريات الفاخرة من الفن والصناعة هذان الحوضان يشهدان شهادة مرضية بأن لا دوام للمدنية العليا وأن الإنسان دائما يميل بطبعه إلى التقهقر والرجوع إلى أحوال الهمجية ويشهدان بما لسلطة القسيسين من المقدرة على فعل الشر وأن سياستهم التي لن تجد لها تبديلا أسست على قاعدة احتقار مواهب عبيدهم العقلية وهذه العدد التي أعدها الخلفاء بفرط ذكائهم ظهر أثرها في زيادة خارقة للعادة في السكان على حين كانت جميع بلاد أوروبا لا يتضاعف سكانها إلا بعد مضي أربعة أو خمسة قرون ولم تنحصر عنايتهم الأبوية في حفظ الصحة والحياة فقط فمع كثرة النفوس المفرطة كانوا لا يرون أحد يصاب بمصيبة إلا نفسوا عنه الكرب وواسوه وهذا فيما لم يمكن اتقاؤه منها.

وكان يساعدهم على اتقاء النكبات اتخاذهم نظاما حسنا في استخدام البطالين في إصلاح الطرق والأشغال العامة وكان "عبد الرحمن الثاني" قد أعلن أن كل من يريد العمل يمنحه ودوائر العدل التي خلفتها محاكم التفتيش وغرف التعذيب كما أثبته المحققون كانت منزهة عن كل ريبة أو فساد وكانت المعارف والتعليم أحسن مما كانت فيه ممالك الروم ولم يكن يضاهيها إلا ما بلغه اليونانيون من المعارف العلية في أرقى أيامهم والخلفاء أنفسهم شيدوا المشافي (جمع مستشفى) ودور الأيتام كما كان يفعل ملوك اليونانيين ومنذ زال ملكهم زالت هذه المؤسسات في أوروبا وكان الأعيان والتجار لا يألون جهدا ما اقتفوا آثار الخلفاء في العمل بهدي القرآن في مثل هذه الخيرات وكان الخلفاء أنفسهم يعودون المرضى

ويبحثون عن المكروبين لينفسوا كربهم والنساء اللائي كن نزلن إلى دركة الخدم في بلاد أوروبا لكراهية القسيسين للزواج وإيثارهم العزوبة كن على خلاف ذلك عند المور مكرمات مالكات حريتهن والكرم إن لم نقل البذخ والسرف اللذان حلا محل التقشف والتعصب في دمشق انتقلا إلى الأندلس فكانا كافيين لحفظ مركز المرأة والعشرة الخشنة التي يعشر بها المسلمون المرأة كما هو مشهور عندنا لم توجد في الأندلس والنساء في القصر الملكي بقرطبة كن يساعدن الخلفاء في تدبير الأمور وكان طلب العلم مباحا لهن بكل حرية وكثير منهن كان لهن ولع شديد بالعلوم الرائجة في ذلك الزمن من فلك وفلسفة وطب وغيرها وكانت النساء يتبرقعن في خارج بيوتهن ولكنهن كن مكرمات وفي منازلهن كن مشرفات ومحترمات ولا حاجة إلى أن أتكلم في ظرف المور ولطفهم وشهامتهم لأنهم هم الذين طبعوا الشعب الإسباني طبعا لا يمحى أبدا على الاحترام الشخصي واللطف الذي لا يزال من خواصه المستميلة حتى في الصناع والفلاحين وهناك مزية أخرى يمتاز بها المور وهي التسامح الديني.

في أول الأمر كان هناك بلا شك شهداء يعني مقتولين لمخالفتهم الدين ولكن لا مناسبة بين ذلك وبين المذبحة التي عملها الإسبانيون أخيرا في ذرية المور .

وأما بعد استقلال المملكة العربية في الأندلس فإذا استثنينا معاملتهم لطوائف الثوار من النصارى كأهل طليطلة الذين كانوا على الدوام ينتظرون الخلاص من ناحية الشمال فقد كان أهل الأديان جميعا يعاملون بالحسنى وكانت على اليهود والنصارى فريضة مالية قليلة تخصم وكانوا يتمتعون بحماية حقوقهم فكثر عددهم وعظم بذلك الخرج الذي يؤخذ منهم.

وقد رخصوا لنصارى طليطلة في المحافظة على كنائسهم الكبرى ورخص لهم أن يبنوا عددا كثيرا من الكنائس وكانت لهم في طليطلة ست كنائس وكانوا مستمسكين بالعلاقات الودية مع جيرانهم حتى أثار فيهم القسيسون الضغينة الدينية وأما ما يخص اليهود الذين كانوا يتمتعون بعصرهم الذهبي حينئذ وارتقوا إلى أعلى درجة في العلوم ونالوا أعلى المناصب في دولة مور فسأتكلم عليه في فصل آخر.

وهذه النبذة المجملة في ذكر مدينة المور ستزداد وضوحا وتفصيلا عند الكلام على وصف حياة قرطبة وغرناطة ولا بد أن القارئ علم مما ذكرناه آنفا تفوق المدنية التي يزعمون

أنها وثنية تفوقا خارقا للعادة ولا بد رأى أثرها في أوروبا المتوحشة وهذا صحيح لا يمتري فيه أحد من المؤرخين.

والمؤرخون لا يقابلون بين المور والنصارى لأنهم لو فعلوا ذلك لكانوا كالذي يقيس أهل "بوستون" - مدينة في أمريكا - بقبائل "إسكيمو" وذلك عجب عجيب.

قال "ستنلي لين بول" في شأن النصارى الذين فتحوا شمال إسبانيا كانت غزوات النصارى لعنة عظيمة على من يكون لهم فريسة وكانوا خشنا جاهلين أميين لا يقدر على القراءة إلا قليل منهم جدا ولم يكن لهم من الأخلاق إلا مثل ما لهم من المعارف يعني لم يكن لهم منها شيء وأما تعصبهم وقسوتهم فهو ما يمكن نتوقعه من الهمج البرابرة" ا-هـ.

ونكتفي بهذا القدر من صفة حال أهل أوروبا قبل فتح المسلمين لجنوب بلادهم وإقامة مدنية عظيمة أدهشت العالم وفتحت لأهله بابا ليخرجوا من ظلمات الهمجية والجهل إلى نور المدنية والعلم وقد اقتبس الأوروبيون من المسلمين الفاتحين المعلمين المهذبين قبسة من علومهم وآدابهم وكانت أساسا لنهضتهم ولا شك أن العلم والمدنية اللذين سبق إليهما المسلمون في الحجاز أولا حيث نزل القرآن وأشرق نور الإسلام ثم في دمشق والأندلس وبغداد ثانيا هما أعظم تقدم شهده العالم قبل نهضة الأوروبيين فالمسلمون أئمة العلم والحضارة والأخلاق لو تركوا ذلك التقدم ورجعوا إلى ما كانوا عليه قبل الإسلام لكانوا رجعيين مذمومين منتكسين خاسرين وكذلك الأوروبيون لو رجعوا من نهضتهم وتقدمهم إلى ما كانوا عليه في زمن نهضة المسلمين لكانوا رجعيين أشقياء مخذولين خاسرين ولكن الأوروبيين استمروا في نهضتهم من الوجهة المادية وقلت عنايتهم بالوجه الخلقية وقد بلغوا اليوم أوج المدنية والسعادة المادية ولا يزالون دائبين في طلب الكمال وإذا التفتوا إلى الوراء وشهدوا ما كانوا فيه من الجهل والظلمة اغتبطوا واستعاذوا بالله من ذلك العهد ولهم الحق في ذلك ولو أراد بعضهم الرجوع إلى تلك العصور المظلمة كما يسمونها هم أنفسهم لحكم عليه عقلاؤهم بالجنون وسفهوا رأيه واحتقروه وهو بذلك جدير أما المسلمون ومنهم العرب فإن معظمهم مسلمون وغير المسلمين منهم قليلون والحكم للغالب فقد أخذت علومهم ومدنيتهم في الجزر بعد ذلك المد العظيم منذ مئات السنين ولم يزالوا يرجعون إلى الوراء وينحطون من عليائهم حتى بلغوا أسفل سافلين وكانوا بالنسبة للأوروبيين كدلوين

اختلفا صعودا وهبوطا فكلما تقدم الأوروبيون في العلم والمدنية اللذين اقتبسوهما من المسلمين ازداد المسلمون توغلا وهبوطا في الجهل والتأخر اللذين اقتبسوهما من الأوروبيين ولا شك أن استمرارهم في هذه الحال لا يزيدهم إلا خبالا فماذا ينبغي لهم أن يعلموا لاستعادة علمهم ونورهم ومجدهم؟ أيعودون إلى جهاليتهم الأولى يطلبون منها الخلاص ولا خلاص فيها؟ أم يعودون إلى جاهلية الأوربيين؟.

قال قائل لا هذا ولا هذا ولكن يقتبسون من الأوروبيين مدنيتهم الحاضرة ويعتبرون أنفسهم كأنهم خلقوا خلقا جديدا ويقطعون النظر عن الماضي خيره وشره قلنا لهم هذا تقليد ومحاكاة لا ثمرة لهما أبدا ولابد لكل بناء من أساس ولو أرادوا أن يفعلوا ذلك ما استطاعوا إليه سبيلا فإن الأوروبيين حين اقتبسوا العلم والمدنية من المسلمين لم ينسلخوا من تاريخهم وعاداتهم وعقائدهم ولو فعلوا ذلك لصاروا مسلمين وإنما أخذوا من أساتذتهم المسلمين ما كانوا في حاجة إليه حسبما بدا لهم ولم يتركوا شخصيتهم ولا جنسيتهم وبذلك بلغوا من الرقي ما هم فيه إلا أنهم أغفلوا جانبا من علوم الإسلام وهو ما يتعلق بالنفس وتزكيتها والصعود بها من دركات المادة الصماء إلى أوج السعادة الروحية.

وهذا الجانب الذي أغفلوه هو الذي سبب لهم ما هم فيه اليوم من الشقاء بالتخاصم والتنازع والتحاسد والتحارب وسعى كل فريق منهم إلى الاستئثار بأطايب الحياة وشهواتها وملذاتها وحرمان من سواهم من البشر وإذا كان آباؤنا قد سبقوا إلى العلم والنور والمدنية والأخلاق الفاضلة ورجعنا نحن إلى اقتفاء آثارهم وإحياء علومهم لم نكن راجعين وإنما نحن متقدمون أحسن التقدم إلا إذا قلنا إن العلوم المدنية والحضارة قد وقفت في الحد الذي وصل إليه أسلافنا فيجب أن نقف عندما وصلوا إليه ولا نقتبس شيئا جديدا نافعا أبدا وحينئذ نكون جامدين ولا نستحق الحياة فبعض الكتاب من المسلمين المتهورين الذين لا يَزِنُونَ أفكارهم بل يهرفون بما لا يعرفون إذا سمعوا الأوروبيين يستنكرون عصورهم المظلمة ويسمونها رجعية ويستعذون بالله منها يقلدونهم في أقوالهم كالببغاءات ويحاكونهم في أفعالهم كالقردة ولا يعلمون الفرق بين ماضينا وماضيهم فإن ماضيهم كما قال علماؤهم ظلمات مدلهمة لا نور فيها أما نحن فبالعكس ماضينا علم ونور وحضارة مزدهرة وقوة وعز وسعادة فرجوعنا إليه هو عين التقدم ولا يتنافى ذلك مع اقتباس ما جد من العلوم والأعمال النافعة.

والحكمة ضالة المؤمن أما حاضرنا فهو كماضيهم ظلمات بعضها فوق بعض ولنا مثال آخر مع فرق سننبه عليه وهو الشعب الياباني فإنه اقتبس الحضارة الأوروبية وبلغ فيها شأوى يفوق أساتذته أو فاقهم مع المحافظة على مقوماته ومعنوياته ولا يتنازل عن شيء منها فماذا نقول في هذا الشعب أهو تقدمي أم رجعي؟ لا يستطيع أحد أن يقول هو رجعي فإنه في طليعة الشعوب المتقدمة وقد أصيب بهزيمة عظيمة في الحرب العالمية الأخيرة فلم تقضِ عليه ولم توقف تقدمه ولا يزال هذا الشعب يقدس ملكه ويعتقد أنه ابن الشمس ويقوم بخدمته بطقوس لا تعقل ولم يضره ذلك ولا نقص تقدمه لأنه لا يخطو خطوة في طلب التقدم إلا بعقل ووعي ولا يحب التقليد أبدا.

لما كنت مقيما في برلين كنت أتردد على مطعم صيني أحيانا وكنت أراه مع اختلاف أطعمته عن المطاعم الجرمانية يشابهها في التأنق والزخرفة ويؤمه دائما الأغنياء من الأوروبيين الذين عاشوا مدة في الشرق وألفوا أطعمته بنسائهم وبناتهم وأولادهم وكثير منهم كانوا يأكلون الرز بالعيدان كعادة الصينيين إلا أنهم يشربون الحساء بدون صوت سواء منهم الشرقيون والغربيون كعادة الأوروبيين فإنهم يستنكرون الشرب بصوت وكان في ذلك الوقت في برلين ثلاثة مطاعم صينية وسمعت بمطعم ياباني فذهبت إليه لأوازن بينه وبين المطاعم الصينية فلم أر فيه شيئا من التأنق وكان صغيرا رأيت فيه نحو خمسة وعشرين آكلا كلهم رجال يابانيون ولا يوجد فيه إلا امرأتان اثنتان عجوز في المطبخ وأخرى توزع الطعام والذي استرعى نظري فيه وتعجبت منه هو شرب الحساء بأصوات منكرة تتجاوب أصداؤها فقلت في نفسي: هؤلاء اليابانيون كلهم يقيمون في بلاد الجرمانية ويعرفون عادات الجرمانيين حق المعرفة وأنهم يستقبحون الشرب بصوت فقد رغبوا عن عاداتهم وتباروا في الشرب بأصوات عالية فما مقصودهم بذلك؟ أظن أن مقصودهم بذلك الاعتزاز بعادتهم مهما كانت لأنهم لم يسافروا إلى أوروبا بقصد تعلم آداب الأكل وأدب الشرب وأدب الرقص وأدب الغناء وما أشبه ذلك لأنهم يرون آدابهم أكمل الآداب ولا يبغون بها بديلا ولكنهم جاؤوا لأغراض لا يمكن أن تحصل في بلادهم وفي ذلك عبرة للمقلدين.

هذا اليابانيون وثنيون يعبدون غير الله وهو نقص كبير في معنوياتهم وإهمال لتزكية أنفسهم وتوجيهها لما خلقت له ولما يرفعها ويسمو بها إلى الملأ الأعلى ويبلغ بها أعلى

مراتب الكمال الإنساني ولكنهم لما تجنبوا التقليد في اقتباسهم علوم الأوروبيين وأخذوا منهم العلم على بصيرة واستقلال وبعقل وروية كما فعل الأوروبيون مع المسلمين أدركوا الثمرة نفسها التي أدركها الأوروبيين وهي السعادة المادية المنغصة بسبب إهمال النفس ولو أن اليابانيين هموا بالرجوع إلى ما كانوا عليه قبل مائة عام لكانوا سفهاء رجعيين ولزيادة الإيضاح أقول: كيف كان العرب وسائر الشعوب التي أسلمت وحسن إسلامها قبل الإسلام وكيف صاروا بعد الإسلام؟.

الجواب: أنهم كانوا قبل الإسلام من الوجهة الخلقية في أسفل الدركات يقتلون أولادهم من الفقر أو خوف الفقر والمراد من قتلهم من الفقر أن يكونوا فقراء فيقتلون من يولد لهم لعجزهم عن إعاشته بالتغذية وسائر ما يحتاج إليه والمراد بقتلهم خوف الإملاق أن يقتلوا الولد مخافة أن تفضي بهم حياته إلى الفقر في المستقبل ولذلك جاء في القرآن الكريم في سورة الأنعام١٥١ ﴿ **وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ** ﴾ وفي سورة الإسراء ٣١ ﴿ **وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ** ﴾ وكانوا يئدون بناتهم أي يدفنونهم حيات وكانوا يعبدون التماثيل من الحجارة كما يعبدها كثير من البشر في هذا الزمان وكانوا يعتقدون أن الملائكة بنات الله وكانوا يستقسمون بالأزلام يضعون عيدانا في كيس قد كتب على بعضها أمرني ربي أن أفعل وعلى بعضها نهاني ربي أن أفعل وبعضها غفل لا كتابة عليه فيدخل الواحد منهم يده فإذا صادفت العود الذي فيه الأمر أقدم على عمله وإذا صادفت العود الذي فيه النهي أحجم عن عمله وإذا صادفت العود المهمل أعاد الاستقسام وكانوا يتيمنون ويتشاءمون بالطير يزجرون الطائر فإن طار إلى اليمين استبشروا وإن طار إلى الشمال تطيروا وخافوا.

وكانوا يخافون من الجن ويعوذون برؤسائهم أي يطلبوا الحماية منهم وكانوا يأكلون الميتة والدم ولا يورثون امرأة ولا صبيا بل كانوا يرثون النساء أنفسهن باعتبارهن أموالا وكان بعضهم يقتل بعضا على أتفه الأمور ويضيعون أموالهم في القمار والمنافرة وهي أن يتنافر اثنان للتفاخر فيعقر هذا بعيرا من إبله وينحر ويعقر الآخر مثله حتى تفنى إبل كل منهما وكانوا أشتاتا كل قبيلة لوحدها لا كلمة تجمعهم ولا عقيدة ولا دين ولا شريعة وكانوا أذلاء سكان القسم الشرقي تحت حكم الفرس وسكان القسم الغربي تحت حكم اليونان وسكان وسط الجزيرة كانوا فوضى ولم يحفظ التاريخ لوسط الجزيرة وغربها وشرقها

حضارة تذكر أما أهل الجنوب فقد كانت لهم حضارة قضى عليها جيرانهم من الحبشة وأهل فارس فكيف صارت حالهم بعد الإسلام؟.

كل أهل العلم يعلمون أنهم صاروا أسعد الناس صاروا أئمة أهل الدنيا في الدين والدنيا وصاروا حكام العلم وقد رأيتم في هذا المقال شهادة العلماء الأوروبيين المنصفين لطائفة منهم وهذا أمر واضح لا يحتاج إلى إقامة دليل فهل الاعتزاز بهذا المجد والبناء عليه والتمسك به يعد رجعية؟ إن كان الأمر كذلك عند هؤلاء السفهاء فحيا الله الرجعية وحي عليها وأهلا وسهلا بها ألا ساء ما يحكمون.

ويقال لهؤلاء التقدميين المخدوعين: أين تذهبون؟ أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير؟ اهبطوا فقرا وذلة وشتاتا وجهلا وحزنا وشقاء فإن لكم ما سألتم وستضرب عليكم الذلة والمسكنة وتبوؤون بغضب من الله زيادة على ما أنتم عليه ذلكم بأنكم تقتلون المصلين في المساجد وتشردون علماء الإسلام المصلحين فريقا حبستم وفريقا تقتلون والله عزيز ذو انتقام.

وما من يد إلا يد الله فوقها وما ظالم إلا سيبلى بأظلم

الرجعية والتقدم في نظر الإسلام:

تقدم أن العقل الصحيح يرى التقدم في العلم والعدل وسائر الأخلاق الكريمة فكل أمة اتصفت بالعلم والأخلاق فهي متقدمة وإن كان قبل مليون سنة وكل أمة اتصفت بالجهل ومساوئ الأخلاق فهي متأخرة ساقطة مذمومة ملعونة وإن كانت ستجيء بعد خمسمائة سنة والإسلام دين العقل يوافق هذا ولا يخالفه أبدا فلا عبرة بالزمان ولا بالمكان قال الله تعالى في سورة النساء ﴿ **لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً** ﴾ .

قال الحافظ ابن كثير: روى العوفي عن ابن عباس أنه قال: في هذه الآية تخاصم أهل الأديان فقال أهل التوراة: كتابنا خير الكتب ونبينا خير الأنبياء، وقال أهل الإنجيل مثل ذلك، وقال أهل الإسلام لا دين إلا الإسلام وكتابنا ينسخ كل كتاب ونبينا خاتم النبيين

وأمرتم وأمرنا أن نؤمن بكتابكم ونعمل بكتابنا، فقضى الله بينهم وقال: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ ﴾ وخير بين الأديان فقال: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِن ﴾ إلى قوله: ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ .

وقد تبين لك أن الإسلام الصحيح الذي لم تخالطه العصبية والعقائد الخرافية يبني التقدم كله - روحيا كان أم ماديا - على أساس العمل النافع والاعتقاد الصحيح وإذا سمعت القرآن يقول: ﴿ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً ﴾ ويقول: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً ﴾ .

ومثل ذلك فيه كثير فإنه لا يريد البتة أن تكون أمة متمسكة بالإسلام شقية في هذه الدنيا محرومة من جميع حقوقها مدوسة تحت الأقدام مخذولة في جميع تصرفاتها مهزومة في جميع حروبها مكبلة مخذولة خاضعة ذليلة تتكفف غيرها من الأمم طول حياتها ثم هي في الدار الآخرة سعيدة عالية الدرجة عند الله وافرة الحظ في دار الكرامة تدخل الجنة وتسعد برضوان الله فإن ذلك وهم وخيال قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ قال القاسمي في تفسيره:

"ومن كان في هذه الحياة الدنيا أعمى عن الاهتداء إلى الحق فهو في الآخرة أعمى لا يرى طريق النجاة وأضل سبيله في الدنيا لأن له في هذه الحياة آلات وأدوات وأسبابا يمكنه الاهتداء بها وهو في مكان الكسب باقي الاستعداد ولم يبق هناك شيء من ذلك. قيل الأعمى حقيقة فيمن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته ومجاز في أعمى البصيرة وهو عدم الاهتداء إلى طريق النجاة وقيل حقيقة فيهما فالأمة العمياء التي لا تبصر طريق النجاة والسعادة في الدنيا مع إمكان رؤيتها بالعقل الذي أعطيته وبإرشاد الله لها بالآيات البينات التي تدلها وتهديها طريق السعادة وتحذرها من طريق الشقاء فهي في الآخرة التي لا تملك وسائل للتوبة والتبصر والرجوع إلى الحق أشد عمى وأضل سبيلا؛ لأنها في دار الجزاء وكانت من قبل في دار العمل فلم تزرع شيئا نافعا يمكنها أن تحصده في آخرتها وإنما زرعت أسباب الشقاء والشر فهي في الآخرة تحصد الندامة وبعبارة أخرى قد وعدها الله السعادة في الدارين إن أطاعته وعملت ما أمرت به وتركت ما نهيت عنه واتبعت رضوانه وأوعدها

بالشقاء في الدارين إن عصت أمره وفعلت ما نهاها عنه واتبعت ما أسخطه والواقع في هذا الزمن: أنها عصت الله وارتكبت ما نهيت عنه وعميت عن أسباب النجاة مع وضوحها فعاقبها الله في هذه الدنيا بالحرمان والخذلان والذلة والهوان وسيعاقبها في الآخرة عقابا أشد وستكون في الآخرة أشد أعمى وأبعد عن النجاة كما قال الله تعالى في سورة الرعد: ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ . وقال تعالى في سورة الطلاق: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِه فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً رسولا يتلوا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً ﴾ .

المراد بالقرية هنا الأمة قال الحافظ ابن كثير: "يقول تعالى متوعدا لمن خالف أمره وكذب رسله وسلك غير ما شرع مخبرا عما حل بالأمم السالفة بسبب ذلك فقال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِه ﴾ . أي تمردت وطغت واستكبرت عن اتباع أمر الله ومتابعة رسله ﴿ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً ﴾ . أي: منكرا فظيعا ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا ﴾ . أي غب مخالفتها وندموا حيث لا ينفع الندم ﴿ وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً ﴾ . أي أعد لهم عذابا شديدا أي في الدار الآخرة مع ما عجل لهم من العذاب في الدنيا.

ثم قال تعالى بعد ما قص من خبر هؤلاء: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾ . أي: الأفهام المستقيمة لا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما أصابهم ﴿ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾ ، ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ . أي صدقوا بالله ورسله قد أنزل إليكم ذكرا يعني القرآن كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ ﴾ قال بعضهم: ﴿ رَسُولاً ﴾: منصوب على أنه بدل اشتمال وملابسة لأن الرسول هو الذي بلغ الذكر، وقال بن جرير: الصواب أن الرسول ترجمة عن الذكر يعني تفسيرا له ولهذا قال: ﴿ رَسُولا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ ﴾ أي في حال كونها بيِّنة واضحة جلية ﴿ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ . وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ . أي من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم.

وقد سمَّى الله تعالى الوحي الذي أنزله نورا لما يحصل به من الهدى كما سماه روحا لما يحصل به من حياة القلوب فقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً ﴾ . قد تقدم تفسير مثل هذا غير مرة بما أغنى عن إعادته هاهنا ولله الحمد والمنة .

وقال تعالى في سورة النحل: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . فأنت ترى أن الله تعالى وعد الذين يعملون الصالحات ويتمسكون بالإيمان أن يحيهم حياة طيبة في الدنيا ويجزيهم جزاء حسنا في الآخرة فإذا أحياهم حياة سيئة بالشقاء والحرمان فذلك دليل قاطع على أنهم عملوا السيئات وأن الله سيعذبهم أكثر مما عذبهم في الدنيا إذا عرف المسلمون ومنهم العرب هذه الحقيقة وجب عليهم أن يكونوا على يقين أن كل حركاتهم في هذه الأزمنة الأخيرة لا يزيدهم إلا خبالا ولا تكون عليهم إلا وبالا فيجب عليهم أن يبحثوا عن طريق جديد وجهة جديدة ولن يجدوها إلا في الرجوع إلى القرآن وقد تحديناهم نحن وأساتذتنا مئة سنة أن يجدوا سبيلا أخرى للخلاص فلم يجدوها ولن يجدوها أبدا.

ومن ذلك تعلم علم اليقين أن السفهاء الذين يسمون الرجوع إلى القرآن والتمسك بالإسلام رجعية. هم شر رجعيين في العالم ولا تجد لرجعيتهم نظرا بين الرجعيات في هذه الدنيا وإذا تجرؤوا وزعموا أنهم تقدميون فإن جميع أهل الأرض يلعنونهم ويسخرون منهم وذلتهم وفقرهم وجهلهم وحقارتهم شهودا عدول على كذبهم، أضف إلى ذلك طيشهم واستبدادهم وفقدان العدل والمساواة بينهم وإنهم فوضى يخبطون خبط عشواء في ليلة ظلماء، لا استقرار عندهم ولا أمن يثور بعضهم على بعض ويفني بعضهم بعضا كل ثائر

يريد أن ينعم بالاستبداد والطغيان ولو مدة قصيرة ومع ذلك يمدحون الثورة ويجعلونها من القواعد المرغوب فيها لذاتها وإن لم يترتب إلا زيادة الشقاء والشتات والدموع والدماء لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون .

مقصود الأوروبيين والنصارى بالرجعية:

يرى الأوربيون النصارى أن التمسك بالأساليب التي أكل عليها الدهر وشرب وأقام الدليل على أنها خطأ رجعية مذمومة محالفة للشقاء الذي يزول حتى تزول تلك الأساليب، فمن ذلك الاستمرار على الجهر بما ينفع الناس في دينهم وأخلاقهم ومعاشهم وأرزاقهم، ومن ذلك التعصب للعقائد والأنظمة، فكل أمة تكون متفرقة فرقا عديدة لكل فرقة عقيدتها وكل فرقة تبغض من يخالفها في العقيدة من مواطنيها بغضا يحملها على عداوتهم والكيد لهم وآذاهم فهي فرقة رجعية، وإن كانت فرق الأمة كلها كذلك فالأمة كلها رجعية بعيدة عن التقدم والسير في طريق الفلاح لأنه ثبت بالبرهان القاطع عندهم أن الأمة لا تستطيع التعاون على ما فيه خيرها وسعادتها إلا إذا نبذت التعصب وساد فيها التسامح بين الفرق.

ومن ذلك التعصب للنظام كالجمهورية والملكية مثلا فكل شعب يتعصب لنظامه ويبغض كل من خالفه ولا يكفيه ذلك حتى يعاديه ويكيد له ولا يتعاون معه ولا يتبادل معه المصالح فهو شعب رجعي مذموم عندهم ولذلك تجد الشعوب المتقدمة الملكية كبريطانيا والدانمارك والسويد والنرويج وبلجيكا ولوكسمبورج وهولندا لا تبغض الدول الجمهورية لكونها جمهورية كالولايات المتحدة الأمريكية أو فرنسة أو سويسرة وجرمانية وإيطالية بل تتواد معها وتتعاون معها وتتبادل معها المصالح وكل فريق يترك للفريق الآخر الحرية فيما اختره لنفسه، ومن الأمثلة العجيبة في ذلك أن إيرلندة المستقلة اختارت النظام الجمهوري وخرجت على أمتها البريطانية، وكلهم يسكنون بلادا متصلة وينتسبون نسبا واحدا ولوشاءت بريطانية أن تتعصب وتكيد لإيرلندة كما يفعل الرجعيون لسحقتها في يوم واحد وأجبرتها على الانضمام لها ولكنهما تعيشان في سلام .

ومن ذلك: التعصب للأساليب القديمة في الفلاحة والملاحة والصناعات، فلو وجد شعب يحرث على الدواب وعرضت عليه الجرارات العصرية فمنعه التعصب من قبولها لكان رجعيا مذموما محروما، ولو وجدت قرية تستضيء بالقناديل والزيت والفتل وعرضت

عليها الكهرباء فرفضتها لكان أهلها رجعيين مذمومين .

وهكذا يقال في قرية يطحن أهلها بالأيدي فعرضت عليهم طاحونة بالكهرباء فرفضوها. وفي قوم يسافرون في البحر بسفن شراعية فعرضت عليهم البواخر التي تمخر البحار كأنها الأعلام وقس على ذلك فهذا هو الفرق بين الرجعية والتقدم عند نصارى أوروبا.

أما دراسة الدين في الجامعات وتخصيص كل جامعة عظيمة كلية عظيمة محترمة مكرمة لتعلم اللاهوت (ثيولوجي) وإقامة الصلوات في كنيسة الكلية وإيجاد أعمال دينية محترمة لهم في شعبهم وامتلاء الكنائس يوم الأحد بالمصلين والمصليات من التلاميذ والطلبة والأساتذة وعامة الشعب وحضور أساتذة الجامعة ومشاركتهم في الصلوات والاحتفال بتخرج عدد كبير من الأطباء كل سنة في تلك الكليات، وتبرع بملايين من الدولارات والجنيه لنشر النصرانية خارج أوروبا وأمريكا وبناء المستشفيات والمدارس والكنائس والإرساليات في آسيا وإفريقيا فلا يعدون شيئا من ذلك رجعية، ومن ذلك الحكم الاستبدادي الذي لا يستند إلى انتخاب ولا برلمان ولا مجلس شيوخ فإنهم يعدونه رجعية ولذلك ترى أكثر دول أوروبا وأمريكا تبغض نظام الحكم في إسبانيا وتشمئز منه، على أنهم ليسوا سالمين من التعصب الديني وإن كانوا يذمونه وقد عاشرتهم وخبرتهم فرأيت فيهم من التعصب الديني أشد التعصب حتى فيما بينهم كالبروتستانتيين، والكاثوليكيين وفيهم من يبغض الإسلام بلا سبب تعصبا للنصرانية، ولي على ذلك أدلة لو ذكرتها لطال الكلام.



التقدم والرجعية (٢)



الرجعية في نظر الدول التي لا تدين بدين:

عبرت بالدول ولم أعبر بالشعوب، لأنّ حرية الفرد في شعوبها أمر مستهجن لا قيمة له، فلا سبيل إلى معرفة مقدار تمسك شعوبها بالدين أو عدمه، فلا نستطيع أن نحكم على حكامه فهم يزعمون أنّ الدين (أفيون) الشعوب؛ قالوا: "لأنّ الدين شيء لا تفهمه العامة فهو منحصر في رؤساء الكنائس وهؤلاء الرؤساء يستحوذون على الشعب بالترغيب والترهيب، ويتصرفون فيه وفي رؤسائه وأمرائه وسوقته حسب أهوائهم ويوجهونه إلى أي وجهة شاؤوا كما تسوق الرعاة الأغنام".

ولو أنّ هؤلاء الحكام طالبوا بالتحرير من سلطان رجال الكنيسة ليختار الشعب الوجهة التي يريدها في عقيدته ونظامه وحكمه وعلمه ومعيشته وتعليمه وشؤونه الاجتماعية كما فعل الخارجون على الكنيسة البابوية لربما كان قولهم مفهوما؛ ولكنهم يدعون إلى محو سلطان الكنيسة الذي يخوف الناس بعذاب الله ويبشرهم بالسعادة الروحية بعد الموت، ليقيموا بدله سلطانا ماديا تحت لمعان السيوف والنفي والقتل والتعذيب وكتم الأنفاس وكبت الحريات ومضايقة الناس في أرزاقهم وأعمالهم وتعليمهم ومساكنهم وأطعمتهم وإقامتهم.

والطامة الكبرى أنّهم يفرضون عليهم دينا آخر وعقيدة أخرى لا يقولون لهم أنها جاءت من الله ولا من الرسل ولا من الأنبياء، ولكن من أشخاص مثلهم من أبناء جلدتهم ومن يتجرأ على رفض شيء من تلك العقائد فالويل له لما ينتظره من العذاب المهين أو الموت الزؤام فهم ينقلونهم من ضيق إلى أضيق ومن دين غير مفهوم بادعائهم إلى عقائد غير معقولة يجزمون ببطلانها ويكرهونها ولا يجدون عنها محيصا فهم كما قال الشاعر:

المستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

وإن كان القسيسون يبشرون أتباعهم بنعيم الفردوس فتمتلئ أرواحهم سعادة وغبطة، ولا يأخذون من أموالهم إلاّ ما تبرعوا به عن طيب نفس؛ فإنّ الحكام التقدميين يسلبونهم كل شيء، ولا يبيحون لهم أن يملكوا شيئا: لا مسكنا، ولا حيوانا، ولا شبر أرض يزرعونه، ولا تجارة، ولا صناعة يستغلونها، ولا يتعلم الطلبة من العلوم إلا ما يشتهون أعني الحكام، ولا يلقي مدرسا درسا في علم من العلوم الاجتماعية أو يكتب كلمة في كتاب أو صحيفة

أو رسالة في البريد، بل لا يتكلم بكلمة أمام رفاقه بل أمام أهل بيته إلاّ إذا وزنها بميزان الذهب خوفا من أن تكون مخالفة للتعليم والقوانين والعقائد الاشتراكية فتخطفه الزبانية.

وإذا أراد الحكام تسلية عامتهم وتبشيرهم حدثوهم بمتخيلات لا يمكنهم تصديقها أبدا يقولون لهم:

نحن الآن في البداية، وكل بداية صعبة كما يقول المثل الألماني، فاصبروا على قلة الغذاء، وضيق المسكن، وخشونة الملبس، وكثرة ساعات العمل وقسوته وصعوبته، فسيأتي زمان هو المقصود بالذات إن لم ندركه نحن فستدركه الأجيال المقبلة، وحينئذ لا يشتغل العامل إلاّ خمس ساعات في اليوم والليلة، ولا توضع أقفال على مخازن الطعام والثياب، وتكون الأموال مشاعة بين أبناء الشعب كل واحد يأخذ لنفسه منها ما شاء ويشتغل إذا شاء، وينام إذا شاء، ويسافر أين شاء، ويلبس ما شاء، ويركب ما شاء.

وهذا التبشير من السادة الحاكمين وأذنابهم وأبواقهم يجب على المحكومين وهم عامة الشعب أن يتلقوه بالتصفيق والهتاف والتمجيد، وإلاّ توجه إليهم تهمة خطيرة وهي الرجعية والبرجوازية والميل إلى الرأسمالية وما أشبه ذلك، ولو كان أولئك العامة يستطيعون التعبير عما في ضمائرهم لأنشدوا قول ابن فراس:

معللتي بالوصل والموت دونه ... إذا مت ظمآنا فلا نزل المطر

فالتقدم عند هؤلاء الحكام ينحصر في إمامين مقدسين معصومين من الخطأ، جميع آرائهما حق، وليس لأحد أن يفسر هذه الآراء إلا الحكام الحاضرون، ولو فرضنا أنّ هؤلاء الحكام استبدلوا بحكام آخرين لم يبق لهم صلاحية للتفسير، وما فسروه من قبل لا تلزمه العصمة من الخطأ، وقد ينسخ كله دفعة واحدة، والقول ما يقوله الحكام الحاضرون، وكل شيء يخالف آراء الإمامين حسب تفسير الحكام الحاضرين فهو رجعية تتنافى مع التقدم.

ولو فرضنا أنّ حاكما فسر شيئا من آراء الإمامين اليوم لوجب على الشعب كله بعلمائه وحكمائه وكتابه أن يتلقى تفسيره بالقبول والتقديس؛ وإلاّ كان رجعيا، وإن لم ينته يكون خائنا، فلو عزل ذلك الحاكم غدا لأصبح تفسيره عديم القيمة مرغوبا عنه، بل قد يكون منكرا وضلالا، وهذا كله شاهدناه بأعيننا وسمعناه بآذاننا، ولكننا لم نفهمه والله المستعان.

كنت في برلين الغربية أتيمم للصلاة، لأنّي كنت مريضا لا أقدر على استعمال الماء، فرآني شاب من برلين الشرقية، فقال لي: "ماذا تصنع؟" فقلت: "هو ما ترى"، فقال: "وهل هذا من الدين؟"، قلت: "نعم"؛ قال: "هذا شكلي لا معنى له ولا فائدة، أما الوضوء ففيه تنظيف للأعضاء المغسولة، وأما المسح بالتراب فليس فيه إلاّ التلويث".

فقلت: "سمعتك تذكر أن – ستالين – ألف كتابا في التربية وتثني على ذلك الكتاب مع أن ستالين رجل عسكري، قضى عمره كله في المراتب العسكرية، ولم نسمع أنّه كان يوما ما معلما ولا مدير مدرسة ولا مشتغلا بالتربية، فمن أين جاءه علم التربية حتى ألف فيه كتابا نفيسا؟ فثناؤك عليه شكلي وتقليد، وإنما أثنيت على كتابه الذي ألفه في علم التربية لأنّه رئيس دولة وزعيم حزب، فشهادتك له تملق محض.

أما معنى التيمم فهو معنى الصلاة، فإنّ الله غني عن العالمين،فإذا عظموه بالصلاة والدعاء والتمسح بالتراب فإنّما ذلك لتزكية نفوسهم وتكملتها".

وبعد موت ستالين أسقطه خلفه من درجة التقديس، وظهرت له ذنوب، وأخطاء كثيرة، وهذا الخلف نفسه شرب بالكأس نفسها.

وحاصل ما تقدم أن الدول التي لا تدين بالنصرانية تقدس نحلتها وتعدها تقدما، وتعد كل ما خالفها رجعية أو برجوازية، وتذم كل مخالف، ونحن لا نستطيع أن نفهم أن سويسرا مثلا رجعية أو ناقصة التقدم.

الرجعية عند الشعوب العربية في العصور الأخيرة:

اعلم أنّ العرب في هذا الزمان أعني دولتهم منقسمون إلى قسمين:

قسم: يسمون أنفسهم تقدميين واشتراكيين فإذا قيل لهم: هذا لفظ مبهم، فأي اشتراكية تعنون؟ يقولون: نعني الاشتراكية العربية.

فيقال لهم: إن العرب كانوا بعد جاهليتهم لا يعرفون إلا الإسلام، ولا يدعون إلاّ إليه ولا يتبعون إلاّ القرآن وسنة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولفظ الاشتراكية غير موجود في الكتاب والسنة، ولم نر لهم تعريفا جامعا لهذه النحلة، ولا حدا يحد بها.

أما الأعمال التي يقومون بها ويعلنون أنّها من مفاهيم الاشتراكية فإنهم يختلفون فيها، أما إن كانوا يعنون بالاشتراكية المستوردة من أوروبا ففي أوروبا نوعان من الاشتراكية:

الاشتراكية التي هي مقدمة الشيوعية، كما في شرق أوروبا وفي يوغوسلافيا والصين ماعدا فرموزة وألبانيا والأحزاب الشيوعية في الشعوب الأوروبية.

والاشتراكية الديمقراطية: كاشتراكية حزب العمال في بريطانيا وألمانيا وبلجيكا وفرنسا وغيرها.

وهناك اشتراكية انقرضت وهي الاشتراكية الوطنية التي كان عليها هتلر وموسوليني، وأظن أن هذه الاشتراكية هي التي تلهج بها بعض الدول العربية فهي إلى اشتراكية هتلر أقرب وأشبه، مع فارق عظيم وهو أن الشعب الألماني الذي كان من وراء هتلر شعب عظيم في مقدمة شعوب الحضارة والعلم والمدنية العصرية، بخلاف شعوب تلك الدول؛ فإنها لم تبلغ في ذلك نصيبا يذكر، فهي مما يسمى على سبيل التفاؤل بالشعوب النامية، كما يسمى اللديغ سليما، ولذلك كان لاشتراكية هتلر نجاح مؤقت في جميع الميادين بخلاف هذه الدول فإننا إلى الآن لم نشاهد لها شيئا من النجاح الذي كان للحزب الناتسي، أما الحرية والديمقراطية بمعناهما الصحيح فإنّ نصيب هذه الدول منهما أقل من نصيب الحزب الناتسي.

والقسم الثاني: ممالك وإمارات وهذه الممالك والإمارات سائرة على ما كانت عليه من قبل لم تتخذ لنفسها اسما جديدا، وكلها تأخذ بأسباب الحضارة على حسب ما تسمح لها أحوالها ومقدراتها، وكلها تدعو إلى التعاون والتآخي بين العرب، ولا تنكر الوحدة إذا سارت في طريقها الطبيعي مرحلة بعد مرحلة، وإنما تنكر العدوان والتدخل في الشؤون الداخلية أن يقع من دولة في شؤون دولة أخرى، وهذا هو المعقول الممكن، على أنني لا اهتم كثيرا بهذه الوحدة إلا إذا كانت مبنية على قواعد الإسلام، وكذلك لا أهتم بالعرب إلاّ إذا كانوا مسلمين قولا وفعلا.

وآية ذلك أن يتبعوا القرآن وما صح من سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويكونوا أمة واحدة كما كانوا في دولة النبي ودولة الخلفاء.

ولا فرق بين عربي و غير عربي عندما قال تعالى في سورة الحجرات: ﴿ **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ، إِنَّمَا**

﴿ الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ، ولم يقل: وإن طائفتان من العرب اقتتلوا، ولا قال: إنّما العرب إخوة.

وليس مقصودي غمط حقوق الجماعات العربية التي تدين بالإسلام؛ فإنّ ذلك ظلم، والله لا يحب الظالمين، بل نعامل المواطنين من العرب غير المسلمين بالعدل والإحسان إلى أن يطمئنوا على حقوقهم ويثقوا بمواطنيهم المسلمين كل الثقة ويأمنوا بآرائهم؛ لأنّ الإسلام دين الرحمة والمحبة والعدل قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ ، وبحكم الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم يجب على أمته أن يكونوا رحمة للعالمين.

ثم إنّ للعرب غير المسلمين على العرب المسلمين حق القرابة وصلة الرحم، والمخالفة في الدين لا تسقط هذا الحق ولو طبق العرب المسلمين مع العرب غير المسلمين ما جاء به الإسلام لما احتاجوا إلى أن يوجسوا في أنفسهم خيفة أو يطلبوا حماية من الدول النصرانية الأجنبية، أو أن يؤلفوا أحزابا على أسس تنقض عرى الإسلام وتقضي على الإخوة الإسلامية ليشغلوا المسلمين بها ويشتتون شملهم ويفرقوا جمعهم كما هو الواقع في بعض الأقطار العربية، وهذه الدول التي تسمي نفسها تقدمية اشتراكية تظهر عداوة شديدة للمالك والإمارات لا لشيء إلاّ لأنها لم توافقها على مذهبها الجديد.

ومن عداوتها لها أنّها تسميها رجعية تريد أنها بمجرد تسميتها نفسها تقدمية واشتراكية وجدت طريق السعادة وسلكته، وهي تريد من تلك المالك أن تجد هذا الطريق وتسلكه معها، فإن لم تفعل استحقت القطيعة والهجران والمكايد وتربص الدوائر زيادة على الشتائم التي تصب عليها ليل نهار.

وحجة هذه المالك في رفضها لما عرض عليها من هذا المذهب الجديد أنّها ليست كاليتامى القاصرين أو الصبيان السفهاء حتى تطمع الدول الاشتراكية أن تضع نفسها في مقام الوصاية والتربية والتأديب والإشراف والنظر في مصالحها.

ثم إنّ هذه المالك والإمارات لم تر شيئا من التقدم والتحسن على تلك الدول ولا على شعوبها بعد انتحالها للنحلة الجديدة، لا في العقائد، ولا في الأخلاق، ولا في الاقتصاد، ولا في السياسة، ولا في القوة الحربية، ولا في الروابط الاجتماعية، بل عكس ذلك هو الواقع، وهي مع ذلك تدعو إلى روابط الأخوة والصداقة، وتبادل المصالح والمنافع، وتنشد قول طرفة:

فمالي أراني وابن عمي مالكـا متى أدن منه ينأى عـني ويبعـد

ولما كان الاستطراد من طبعي الذي لا أنفك عنه، وأعلم أنّ أكثر المستمعين يصعب عليهم فهم هذه الأبيات التي هي من الأدب الجاهلي العالي، أردت أن أشرحها لهم ليتمكنوا من فهمها ويلتذوا بإنشادها.

يقول في هذا البيت: ما بال ابن عمي مالكا كلما أردت أن أتقرب إليه وأتودد إليه يجفوني ويبعد عني؟

وآيسـني مـن لـك خـير طلبتـه كأنا وضعناه إلى رمس ملحـد

يقول: قنطني ابن عمي هذا من كل خير طلبته حتى كأنّه ميت لا يرجى خيره.

على غير شيء قلته غـير أنـني نشدت ولم أغفل حمولـة معبـد

يقول: ثم إنّ الجفاء هذا الذي وقع من ابن عمي لم يكن له سبب فإنني لم أسيء إليه لا بقول ولا بفعل، ولكني طلبت إبل أخي معبد وبحثت عنها حتى وجدتها ولم أهملها، ولا يعقل أن يكون هذا سببا للعداوة والجفاء.

وقربـت بـالقربى وجـدك أنـه متـى يـك أمـر للنكيثـة أشـهد

يقول: ولم أقصر في مراعاة واجبات، وأقسم بحظك وحقك أيها المخاطب أنّه لا يصيب ابن عمي أمر يجهده ويكربه إلاّ حضرت ونصرته ودافعت عنه.

وإن أدع للجلـى أكـن مـن حماتهـا وإن يأتـك الأعـداء بالجهـد أجهـد

يقول: متى دعوتني إلى الأمر العظيم الذي ينزل بك أبادر إلى حمايتك من مكروه وإن جاءك الأعداء يبغون قتالك بجهدهم وقوتهم أبذل كل جهد في دفعهم عنك.

وإن يقذفوا بالقذع عرضك أسـقهم بشرب حياض المـوت قبـل التهـدد

يقول: وإن طعن الأعداء في عرضك وأرادوا أن يخدشوا شرفك وأساؤوا إليك بقول الفحش أذيقهم الموت وأباغتهم به قبل التهديد والوعيد، أو الإنذار والتحذير.

بـلا حـدث أحدثتـه وكمحـدث هجـائي وقـذفي بالشـكاة ومطـرد

يقول: إن ابن عمي مالكا يعاملني بهذه المعاملة القاسية بدون ذنب فعلته كأنني مذنب فيهجوني ويذمني ويشكوني ويصيرني طريدا بعيدا.

فلو كان مولاي امرؤا هو غيره لفرّج كربي أو لأنظرني غد

يقول: فلو كان ابن عمي رجلا آخر من أهل المروءة لكشف عني المكروه كما أكشفه عنه أو لأمهلني على الأقل إلى المستقبل حتى يتبين لي صدقي في مودتي ولم يقابل إحساني بالإساءة.

ولكن مولاي امرؤ هو خانقي على الشكر والتسآل أو أنا مفتدى

يقول: ولكن ابن عمي رجل يضيق علي مع شكري له والسعي في إرضائه وابتغاء الإحسان منه يعاملني معاملة العدو الذي يعمد إلى خنق عدوه إلاّ أن يفتدي نفسه بمال أو نحوه.

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

والظلم وإن كان يؤلم من القريب والبعيد فإنّه من القريب أشد إيلاما وأكثر مرارة من الضرب من السيوف القواضب.

فذرني وخلقي أنني لك شاكر ولو حل بيتي نائيا عند ضرغد

يقول: فاتركني يا ابن عمي على طبيعتي وحسن عشرتي فإني لا أقابل إساءتك بمثلها، وهذا هو الواجب عليك وسأشكرك عليه كأنه نعمة أسديتها إليّ، ولو كنت بعيد الديار أسكن في جبل ضرغد.

ألفاظ يتبجح بها كثير من الناس في هذا الزمان كالثورة والجمهورية والديمقراطية والحرية:

وقد شرحتها في مقال: (أيها العرب لا تتخذوا التفرقة وسيلة إلى الوحدة).

وقد نشر في صحف كثيرة منها مجلة البعث، ومجلة الإيمان المغربية؛ ولذلك لا أطيل القول في شرح هذه الألفاظ.

فالثورة: هي خروج الشعب على حاكمه أو حكامه إذا أساؤوا التصرف وجاروا وظلموا، أو لم يكونوا أهلا للأمانة التي جعلت في أيديهم كما وقع في الثورة الفرنسية وفي ثورة سكان الولايات المتحدة الأمريكية على حكامهم البريطانيين؛ فإذا توفرت أسباب الثورة، وكان القائم بها هو الشعب، وكان قادتها مخلصين مصلحين لا يريدون بثورتهم رئاسة ولا مالا، وإنما يريدون رفع الجور وإزالة الفساد وتحرير الشعب، فإن الثورة يكتب لها

النجاح وتؤتي أكلها.

أما إذا كان القائمون بها عصبة لهم مآرب وأغراض قد أوغر صدورهم الحسد وتراءت لهم الأماني فأوقدوا نيران الثورة وأعملوا السلاح في شعبهم وسفكوا الدماء ليتوصلوا للمراتب التي لم يزالوا يتمنونها؛ فقد يتفطن لهم القابضون على زمام الحكم ويخمدون أنفاسهم ويصيرون مسخرة للساخر ويخسرون كل شيء، وقد لا يتفطنون لهم فتنجح الثورة نجاحا مؤقتا إلى أن تسنح الفرصة لعصبة أخرى فيقبضوا عليهم ويسقونهم بالكأس التي سقوا بها غيرهم، فيقال فيهم ما قيل في أبي مسلم الخرساني:

ظننت أن الدين لا يقتضي ... فاستوف بالكيل أبا مجرم

أشرب بكأس كنت أنت تسقي بها ... أمر في الحلق من العلقم

ويستمتع أصحاب الثورة الثانية بالحكم ما شاء الله أن يستمتعوا حتى تتمكن منهم عصابة أخرى فتثب عليهم وثبة الأسد الذي كان مريضا فجاءه الثعلب بالحمار للمرة الثانية فلم يفلته وهكذا دواليك.

فبشر الشعب الذي أصيب بمثل هذه الثورات بعذاب أليم، ومن يمدح مثلها أو يتمنى حدوثها في وطنه فهو غاش لقومه ساع في هلاكهم.

الجمهورية:

أما الذين يمدحون الجمهورية لذاتها، فليسوا أقل ضلالا من الذين يمدحون الثورة لذاتها بقطع النظر عن العواقب والنتائج، إذا كان الشعب جاهلا منحطا في أخلاقه ليس له رابطة متينة تربط بين أفراده وطوائفه، قد ساد فيه الغش وقل فيه الإخلاص وخربت الذمم؛ فإنّه لا يصلح للحياة السعيدة لا بالنظام الملكي ولا بالنظام الجمهوري لأنّ الرؤساء الذين كانوا يحكمونه في العهد الملكي هم أنفسهم الذين يحكمونه في العهد الجمهوري؛ ولا يعقل أن يكونوا في العهد الملكي ذئابا يعيثون فسادا ثم ينقلبوا في العهد الجمهوري ملائكة أبرارا.

وأنا أظن أن الملكية إذا كانت ثابتة الأساس قد أذعن لها الشعب وانخرط في سلكها منذ زمان طويل، وكان ذلك الشعب منحطا في أخلاقه جاهلا أنّ الملكية خير له من الجمهورية، لأنّ الملك يجمع كلمته ويوحد صفوفه، ويحفظ أهله من أن يصيروا فوضى كغنم بلا راع.

أما إذا كان الشعب رشيدا، وكان رؤساؤه ذوي علم وحكمة ونزاهة وإخلاص وأخلاق سامية، فإنهم ينجحون، سواء أصاروا على النظام الملكي أم على النظام الجمهوري؛ والواقع يشهد بهذا.

فبريطانيا بنظامها الملكي تتمتع بسعادة اجتماعية ورفاهية واستقرار، تحسدها عليه كثير من الجمهوريات، ولا يفكر أحد من حكمائها وقادتها باستبدال النظام الملكي، والانتقال إلى الجمهورية، وهذا الرضا والاطمئنان لا يختص بالبريطانيين فقط، بل هناك شعوب راقية سعيدة في حياتها، ديمقراطية في سلوكها حرة في تصرفاتها قد ربطت مصيرها بهذه الدولة الملكية شعوب(كمونويلث) ككندا واستراليا ونيوزيلندا وغيرها ممن يدور في فلكها، وهناك ممالك أخرى قد ذكرتها من قبل في غاية الاستقرار والرفاهية.

ومن زعم أنّ الجمهورية مرغوبة لذاتها أو ضرورية لكل شعب فإنّ زعمه باطل لا يثبت أمام النقد إلاّ كما يثبت الثلج في السهول إذا أشرقت عليه شمس الربيع؛ إذا فالشأن كل الشأن أن يكون رؤساء الشعب علماء حكاما، مخلصين صالحين فعلى أي نظام كانوا فإنّهم يقودون سفينة شعبهم إلى شاطئ السلامة.

ونحن نرى الشعوب المختلفة في نظام الحكم متعاونة متصافية بغاية الإخلاص كبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، فقد مضى على تعاونهما في السلم والحرب زمن طويل، ولم تحاول إحداهما أن تقلب الأخرى إلى نظامها.

إذا فهذه الحزازات التي توجد في نفوس الحكومات العربية والجمهورية وما يعتريها من الاشمئزاز والكراهية للنظام الملكي حتى ربما آنها تسعى في إسقاطه وتبالغ في شتمه وتصفه بالرجعية كل ذلك خطأ فاحش لم يعالجه طبيب ولا راق، والاستمرار فيه يتنافى مع المصلحة العامة لتلك الشعوب ويفضي إلى عواقب وخيمة.

الديمقراطية:

الإسلام نظام كفيل بسعادة كل من تمسك به من جماعات وأفراد ودول، ولا يحتاج أن يستعير من غيره شيئا، وهو لا يتفق مع نظام رأس المال، ولا مع الشيوعية، ولا مع الاشتراكيات بأنواعها.

وقد سبق إلى كل خير يوجد في هذه النظم، وتجنب كل شر فيها، فإذا وصفت الأمة بأنها ديمقراطية فقد جهلتها وجهلت عليها؛ فالإسلام مبني على العدل والإحسان وفيهما سعادة البشر أجمعين.

أما دعاة الديمقراطية في هذا الزمان فإنهم يصفونها بأن يحكم الشعب نفسه بنفسه بواسطة الانتخاب العام، فكل جماعة من الناس تختار نائبا يمثلها أو ينوب عنها في مجلس يسمى: البرلمان؛ وهذا المجلس هو الذي يختار رئيس الوزراء ويعينه، ورئيس الوزراء يختار نوابه من أولئك النواب أو من غيرهم بموافقة المجلس، وكل فرد من أفراد الشعب له الحق أن ينتقد النواب والوزراء ورئيسهم في حدود القانون الذي يمنع التعدي والظلم، وهذا القانون يضعه علماء اختصاصيون ويقره المجلس.

قالوا: وهذا أرقى ما وصل إليه العقل البشري في الحرية والمساواة فكل من وقع عليه الظلم يستطيع أن يدفعه عنه بواسطة نائبه، وكذلك من تعسر عليه الوصول إلى حق يستعين بنائبه على الوصول إليه.

وحرية الاعتقاد والانتقاد في ضمن القانون وإبداء الرأي وسائر الحريات مكفولة فلا يعاقب أحد بحبس أو غرامة إلاّ إذا خالف القانون المتفق عليه.

وتوزع الحقوق والواجبات بالتساوي، فلا يعفى من الواجبات أحد كيف ما كان مركزه، فيكون كل فرد آمنا مطمئنا على نيل حقوقه لا يحتاج إلى تملق ولا تعلق، فلا يخاف الإنسان إلا مما قدمت يداه.

ومع هذا التحري كله فقد يقع الغش في الانتخاب، فإن مالك المزرعة ومالك المعمل إذا رشح نفسه للنيابة يشعر الفلاحون والمزارعون بأنّ من اللياقة أن ينتخبوا مالك مزرعتهم ويشعر العمال كذلك أنّه ينبغي عليهم أو يجب عليهم أن ينتخبوا مالك معملهم فيختل ميزان المساواة.

وهناك سبب آخر لامتعاض الناس في البلدان (الديمقراطية) وهو وجود الأحزاب المختلفة كالمحافظين والعمال والأحرار؛ فالمحافظون يرون إعطاء الحرية أفراد الشعب كيف ما كانت كسكك الحديد والمعدن والمصانع الكبرى ويقولون: إن ذلك هو الأصلح لشعبهم ليتنافس أفراده وجماعاته، كالشركات مثلا في العمل لتكثير المنتوجات واستثمار البلاد

واستخراج كنوزها، وبذلك يقع الازدهار والتقدم في جميع الميادين.

ويقول العمال الاشتراكيون: إن البلاد كلها بثمراتها ومعادنها وكنوزها ملك للشعب كله؛ فيجب أن تكون منابع الثروة الكبرى في يد الحكومة لئلا يستولي عليها أفراد قليلون يحتكرونها ويستحوذون على الأرزاق خصوصا مع إباحة الربا فتصير جماهير الشعب الكادحة التي بعرق جبينها استخرجت تلك الأموال والأرزاق خدما وعبيدا لفئة قليلة من ذوي رؤوس الأموال المحتكرين.

وتتهم الأحزاب بعضها بعضا بعدم النزاهة في الانتخاب، ولكن لما كانت الأحزاب متعددة يكون من السهل على كل حزب أن يكتشف ويفضح دسائس الحزب الآخر، فيزول الحيف ويقع التوازن.

فحزب العمال يبذل جهده في تأميم المنابع الكبرى، وحزب المحافظين يبذل جهده في ترك الناس أحرارا في المضاربة والاستثمار، وكل منهما يرى أن وجهته أفضل لشعبه؛ وقد ساروا على هذا منذ زمان طويل ورضوا به واعتقدوا أنّه أفضل ما يقدم البشر عليه من العدالة.

وهناك استعمال آخر للديمقراطية وهو استعمالها لفظا مرادفا لاشتراكية الشيوعية، وهذا الاستعمال دعاية مجردة غير معقولة، لأنّ كل شعب يحكم بنظام الحزب الواحد لا يمكن أن يكون ديمقراطيا، وحتى ذلك الحزب الواحد لم ينتخبه الشعب، وإنما طائفة تسلطت عليه بالقهر و الغلبة وأسرته واستعبدته شر استعباد وصارت تتكلم باسمه، وتستخدمه بلا رحمة ولا شفقة، وقد سبته جميع الحريات: حرية الكلام، حرية الاعتقاد، وحرية العمل وحرية الإضراب عن العمل وحرية المطالبة بزيادة الأجور، أو بزيادة الطعام أوالكسوة أو التدفئة، وقد تقدمت الإشارة إلى بعض ما تقاسيه هذه الشعوب المخنوقة المستعمرة شر استعمار.

الحرية:

ومن العجب أنّ هؤلاء الجبابرة الذين يحكمون شعوبهم بالحديد والنار حكما كله دماء ودموع، وقهر وكبت، وإذلال وإهانة، ومع ذلك يتغنون بالديمقراطية والحرية وهم يعلمون أنهم أبعد الناس عن الحرية والديمقراطية، ولكن كما قيل في المثل وهو مأخوذ من الحديث

الصحيح: «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»، وعليه يقال: إذا لم تستح فقل ما شئت، ونظمه بعضهم فقال وأجاد:

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستح فاصنع ما تشاء

فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

ومن أراد زيادة الاطلاع على ما كان عليه الأوروبيون إلى زمان قريب جدا من الانحطاط والهمجية، وما كان عليه المسلمون في الأندلس في زمن العلم والحضارة والرقي الحسي والمعنوي؛ فليقرأ كتاب: (مدنية العرب في الأندلس)، الذي ترجمه كاتب هذه المحاضرة بالعربية لمؤلفه الذائع الصيت (جوزيف مكيب)، ولا تزال عندي منه بعض مئات، وهذا ما بدا لي إيراده في بيان ما يسمى بالرجعية والتقدم، كتبته تبصرة لإخواننا المسلمين الذين لا يعرفون ما ينطوي تحت هاتين الكلمتين من الغش والتضليل؛ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

إستدراك:

لما فرغ القارئ من قراءة محاضرتي، قام صاحب الفضيلة الأستاذ المرشد العربي الموفق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله فأشار بتلطفه المعهود وأدبه السامي إلى أنّه قد يفهم مما قلته في عموم المسلمين الذين يعملون السيئات وغيرها كالحكم بغير ما أنزل الله، وقد عذبهم الله في الدنيا كما أوعدهم في كتابه وسيعذبهم في الآخرة أكثر مما عذبهم في الدنيا، ولم أستثن في ذلك شعبا من الشعوب ولا دولة من الدول حتى كأنهم متساوون في الجريمة.

وكان ينبغي لي أن استثني من قام منهم بشيء من الواجب على قدر استطاعته؛ وهذا حق فإن الشعب السعودي والمملكة السعودية بقيادة ملكها الإمام المصلح جلالة الملك فيصل والأئمة السابقين من أسلافه رحمهم الله لم يزالوا يحكمون شريعة الله، ويتخذون القرآن إماما والسنة سراجا، يضيئان لهم ظلمات الحياة الدنيا بانتشار الأمن على الأنفس والأموال والأعراض في بلادهم إلى حد لا يوجد له نظير في الدنيا، حتى إني لما كنت في ألمانيا قبل الحرب وقبل تقسيمها وهي في عنفوان قوتها، وحدثت الناس هناك بالأمن الذي

يتمتع به سكان المملكة السعودية تفصيلا سألوني: أين يتخرج رجال شرطة هذه المملكة رؤساؤها؟ فقلت: يتخرجون في مدرسة القرآن في المسجد؛ فأبدوا شكهم في ما أخبرتهم به، وقالوا: لا يوجد في الدنيا أحسن من الشرطة الألمانية ومع ذلك لا يوجد عندنا مثل ما ذكرت من الأمن!

وهذا الثواب المعجل في الدنيا يدل دلالة قطعية على أنّ الله الذي لا يخلف الميعاد سيثيب إمام هذه الدولة وأسلافه ورجال دولته وأعوانه المخلصين في الدار الدنيا كما قال تعالى في سورة النحل٣٠: ﴿ **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ، جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللهُ الْمُتَّقِينَ** ﴾ .

وأشهد بالله أني لما دعاني سمو الأمير مساعد بن عبد الرحمن إلى الحج سنة سبع وخمسين بتاريخ النصارى، وأظنه يوافق سنة ست وسبعين للهجرة، كنت راكبا في طائرة سويسرية من بغداد إلى الظهران، وكانت المضيفة من القسم المتكلم بالألمانية من سويسرا؛ فأخذت تدور على ركاب الطائرة، لما أرادت أن تدخل في سماء المملكة العربية السعودية وتقول لهم لا يطلب أحد منكم خمرا حتى نجتاز المملكة السعودية، ولا يجوز لأحد منكم أن يمسك زجاجة خمر ولو فارغة؛ فإنّ الحكومة السعودية تعاقبنا على ذلك، وتكلمت معي باللغة الألمانية لأنها عرفت من قبل أني أتكلم بها، وشرحت لي خوف قائد الطائرة وجميع الموظفين من رجال المملكة السعودية، وأنهم لا يتساهلون مع أي طائرة يجدون فيها شرابا مسكرا ظاهرا؛ قالت: فنحن نخبئ جميع الأشربة المسكرة حتى القوارير الفارغة إلى أن نخرج من هذه المملكة، فأخبرتها أني مسلم وأن عقيدتي والحمد لله مطابقة لهذا الحكم، وأنا أحمد الله على وجود مملكة في الدنيا تنفذ هذا الحكم.

ونحن نشاهد شريعة القرآن تنفذ على رؤوس الأشهاد، في هذه المملكة الفذة، فيقتل القاتل المتعمد، ويرجم من الزناة من يستحق الرجم، ويجلد من يستحق الجلد مع التغريب، وتقطع يد السارق، ويقام الحد على الشارب، ولا يحكم حاكم في جميع أرجائه إلاّ بشريعة القرآن، فكيف يستطيع مسلم أو منصف أن يسوي بينهما وبين من يحل ما حرم الله، ويحكم بغير ما أنزل الله.

نعم إنّ أشباه القردة من المقلدين لمن يسمونهم بالمستعمرين ويسلقونهم بألسن حداد ليل نهار في إذاعاتهم وصحفهم هؤلاء القردة يسمون شريعة الله ورسوله التي سار عليها المسلمون حين كانوا سادة العالم، يسمونها: رجعية، ويسمون المنفذين لها - أيده الله بروح منه -: رجعيين؛ وقد تقدم جوابهم أعلاه في هذه المحاضرة بما يلقمهم الأحجار، ولا يدع لهم مجالا للفرار؛ وإني لأشكر صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز على هذا التنبيه الذي تفضل به، فلا زال مصدرا لكل خير وكمال.

الصراط المستقيم
في صفة صلاة النبي الكريم



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فهذا كتاب الصراط المستقيم في صفة صلاة النبي الكريم التي هي الورد الأعظم للطريقة الحنيفية والمحجة البيضاء المصطفية من جمع الفقير إلى الله الغني محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي، وضعه تسهيلاً وتيسيراً على من شرح الله صدره لاتباع الهادي الأعظم صلى الله عليه وسلم في أعظم العبادات التي جاء بها وهو مأخوذ من أحاديث النبي ﷺ الثابتة وقد سبق إلى التأليف في هذا الباب جماعة من أهل العلم منهم الإمام أحمد ابن حنبل والإمام ابن القيم والشيخ الأجل محمد بن على السنوسي، وقد تركنا ذكر أسماء الرواة والمخرجين رغبة في الاختصار ولعلنا نوردها في جزء آخر إن شاء الله تعالى.

الإقامة

كان رسول الله ﷺ يأمر بالصلاة فتقام، وألفاظ الإقامة: الله أكبر الله أكبر أشهد أن لأن الخشوع فيها هو روحها. فالصلاة بلا خشوع كالجسد بلا روح، وعن عمران بن حصين قال: سئل رسول الله ﷺ عن قول الله ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ قال ومن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له، وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد بها من الله إلا بعداً. رواهما ابن أبي حاتم.أهـ. من ابن كثير باختصار. وأخرج الطبراني في الأوسط عن أنس عن النبي ﷺ قال: أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح له سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله، وأخرج أحمد وابن حبان والطبراني عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يوما، فقال: من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان وأبي بن خلف.

وأخرج الطبراني في الأوسط عن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله ﷺ من صلى الصلوات لوقتها وأسبغ لها وضوءها وأتم لها قيامها وخشوعها وركوعها وسجودها خرجت

وهى بيضاء مسفرة تقول: حفظك الله كما حفظتنى ومـن صـلى لغـير وقتهـا ولم يسـبغ لهـا وضوءها ولم يتم لها خشوعها ولا ركوعها ولا سجودها خرجت وهي سوداء مظلمـة تقـول ضيعك الله كما ضيعتنى حتى إذا كانت حيث شـاء الله لفـت كمـا يلـف الثـوب الخلـق ثـم يضرب بها وجهه.

نسأل الله أن يجعلنا وإياك أيها القارئ من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسـنه أولئـك الذيم هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب.

قال المؤلف: وكان الفراغ من تصحيحه بقصد تقديمـه للطبـع بالقصـر الكـبير في حديقـة السلفي الكريم الحاج عبد السلام حسيسن خامس ربيع الأول سنة أربـع وسـتين وثلاثمائـة وألف.

ديل الصراط المستقيم

في صلاة النبي الكريم

تأليف : الدكتور / محمد تقي الدين الهلالي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصل اللهم على عبدك ورسولك محمد خاتم النبيين وعلى آله وأصحابه أجمعين وعلى من اقتدى بهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فيقول العبد الفقير إلى الله رحمة ربه محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي الحسينى وفقنى الله تعالى إلى تأليف كتاب الصراط المستقيم في صفة صلاة النبي الكريم، ونفع الله به خلقاً كثيراً ثم سألنى بعض الإخوان الصادقين، أن ءُألف له ذيلا يشتمل على أدلة الأحكام الواردة فيه فها أنذا استعين بالله وأشرع في ذكر الأدلة.

دليل الآذان والإقامة

أخرج البخاري عن أنس قال: أمر بلال أن يشفع الآذان وأن يوتر الإقامة إلا الإقامة.

قال الكرماني: قوله (إلا الإقامة) أي: إلا لفظ الإقامة وهي قد قامت الصلاة فأنه لا يؤثرها بل يشفعها، والحديث حجة على مالك كما أنه حجة على على أبى حنيفة.

قال محمد تقي الدين: المراد يشفع الآذان كون أكثر كلماته مثنى مثنى، فكلماته سبع، ست مشفوعة وواحدة مفردة فتكون كلماته ثلاث عشر كلمة.

وقد صح الترجيع عن النبي ﷺ وهو ذكر الشهادتين مرتين بصوت منخفض ثم ذكرهما كذلك بصوت مرتفع وعليه تكون الكلمات سبع عشرة وثبت أيضا تربيع التكبير وتثنيته أصح.

وصح عن النبي ﷺ ان يقال في آذان الفجر الأول بعد حى على الفلاح الصلاة خير من النوم مرتين، رواه ابن خزيمة والنسائى والبيهقي وصححه ابن السكن وابن حزم.

دليل تسوية الصفوف

عن النعمان بن بشير قال: كان رسول الله ﷺ يسوى صفوفنا إذا قمنا للصلاة، فإذا استوينا كبر، رواه أبو داوود.

عن أبى إمامة عن رسول الله ﷺ قال: لتسون الصفوف أو لتطمسن الوجوه أو لتغمضن أبصاركم أو لتخطفن أبصاركم، قال المنذرى رواه أحمد والطبراني.

عن البراء بن عازب قال: كان رسول الله ﷺ يتخلل الصف من ناحية إلى ناحية: يسمح صدورنا ومناكبنا، ويقول لا تختلفوا فتختلف قلوبكم.

وكان يقول: إن الله عز وجل وملائكته يصلون على الصفوف الأولى.. الأول.

عن أبي قاسم الجدلي قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: أقبل رسول الله ﷺ على الناس بوجهه، فقال: أقيموا صفوفكم – ثلاثاً – والله لتقيمن صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم، وقال فرأيت الرجل يلزق منكبه بمنكب صاحبه، وركبته بركبة صاحبه، وكعبه بكعبه. رواه أبو داوود.

عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: أقيموا الصفوف، وحاذوا بين المناكب، وسدوا الخلل، ولينوا بأيدى إخوانكم ولا تذروا فرجات للشيطان، ومن وصل صفا وصله الله، ومن قطع صفا قطعه الله، رواه أبو داود.

الإحرام

عن ابن عمر قال: رأيت رسول الله ﷺ إذا استفتح الصلاة رفع يديه حتى تحاذى منكبيه، وإذا أراد أن يركع، وبعدها يرفع رأسه من الركوع، أخرجه الستة.

وضع اليمنى على اليسرى

عن زرعة بن عبد الرحمن قال: سمعت بن الزبير يقول: صف القدمين ووضع اليد على اليد من السنة.

عن سهل بن سعد أنه قال كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل اليد اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة، اخرجه مالك في الموطأ ورواه البخاري من طريقه، وهناك أحاديث أخرى صحيحة في معناه.

دعاء الاستفتاح

عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يسكت بين التكبير وبين القراءة إسكاته قال أحسبه قال: هنية فقلت بأبي أنت وأمى يا رسول الله إسكاتك بين التكبير والقراءة ما تقول قال أقول «اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب. اللهم نقنى من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياى بالماء والثلج والبرد، رواه البخاري.

وعن أبي الجوزاء عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا استفتح الصلاة قال: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك وتعالى جدك، ولا إله غيرك، رواه أبو داود.

عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل كبر ثم يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه ثم يقرأ، رواه أبو داوود، ومعنى الهمز: الموتة وهى الخنق، والنفخ هو الكبر والنفث هو الشعر، وقال تعالى في سورة النحل يخاطب رسوله ﷺ وأمته تبع له ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ فلا يجوز

لأحد أن يقرأ القرآن بدون استعاذة والأمر للوجوب حتى تقوم قرينة تصرفه عنه وقد اخبر الله تعالى أن الشيطان عدو لنا ولا يدفع شره إلا بالاستعاذة أنظر شرح المحلى للإمام ابن حزم ج٣ ص ٢٤٧.

دليل الإسرار ببسم الله الرحمن الرحيم

عن أنس أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين، متفق عليه.

قال الخطابي في شرح سنن أبي داوود: قلت قد يحتج بهذا الحديث من لا يرى أن البسملة من فاتحة الكتاب، وليس المعنى كما توهمه، وإنما وجهه ترك الجهر بالتسمية بدليل ما روى ثابت البنائي عن أنس أنه قال: صليت خلف رسول الله ﷺ وخلف أبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم.

قال محمد تقي الدين: جاء في تفسيري لفاتحة الكتاب التي سميته فتح الرحمن ما نصه: البسملة آية من الفاتحة، ومن كل سورة في القرآن على الراجح.

أخرج أبو داود بإسناد صحيح عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان لا يعرف فصل السورة، وفي رواية انقضاء السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم وأخرجه الحاكم في المستدرك، وقال صحيح على شرط الشيخين.

وأخرج بن خزيمة في صحيحه عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قرأ البسملة في أول الفاتحة في الصلاة وعدها آية، وفي إسناده عمر بن هارون البلخي، وفيه ضعف.

وروى الدارقطني من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إذا قرأتم الحمد لله فاقرأوا بسم الله الرحمن الرحيم، فإنها أم القرآن، وأم الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها، رواه الدارقطني، وقال إسناد رجاله كلهم ثقات ورواه البخاري في التاريخ، قال البيهقي: أحسن ما احتج به أصحابنا في أن البسملة من القرآن، وانها من فواتح السور سوى سورة براءة، ما رويناه في جمع الصحابة كتاب الله عز وجل في المصاحف، وأنهم كتبوا فيها البسملة على رأس كل سورة سوى براءة فكيف يتوهم متوهم أنهم كتبوا فيها مائة وثلاثة عشر أية ليست من القرآن، وقد علمنا بالرواية الصحيحة،

عن ابن عباس انه كان بعد البسملة آية من الفاتحة ويقول: انتزغ الشيطان منهم خير آية في القرآن. رواه الشافعي.

وقد أخرج النسائي في سننه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة أنه صلى فجهر في قراءته بالبسملة وقال بعد أن فرغ، إني لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ وصححه الدارقطني والخطيب والبيهقي وغيرهم.

وروى أبو داوود والترمذي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم، قال الترمذي: وليس إسناده بذاك.

وقد أخرجه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس بلفظ: كان رسول الله ﷺ يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ثم قال صحيح.

وأخرج البخاري في صحيحه عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: كانت قراءته مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله، ويمد الرحمن ويمد الرحيم.

وأخرج أحمد في المسند وأبو داوود في السنن وابن خزيمة في صحيحه والحاكم في مستدركه عن أم سلمة أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته ببسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، وقال الدارقطني إسناده صحيح، وبهذا قال من الصحابة أبو هريرة وابن عباس وابن عمر وابن الزبير، ومن التابعين فمن بعدهم سعيد بن جبير أبو قلابة الزهيري وعكرمة وعطاء وطاووس ومجاهد وعلى بن الحسين وسالم بن عبد الله ومحمد بن كعب بن القرطني وابن سيرين وابن المنكدر ونافع مولى بن عمر وزيد بن أسلم ومكحول وغيرهم، وإليه ذهب الشافعي.

وجوب قراءة فاتحة الكتاب في كل ركعة على الإمام والمأموم والمنفرد

عن عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال: لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب، رواه الجماعة، وفي لفظ لا تجزئ صلاة لمن لمن يقرأ بفاتحة الكتاب، رواه الدارقطني، وقال: إسناده صحيح.

لا إله إلا الله أشهد أن محمداً رسول الله حى على الصلاة حى على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله.

تسوية الصفوف

وكان عليه السلام يأمر بتسوية الصفوف ويبين ما في تركها من الوعيد بقوله: لتسون الصفوف أو ليطمسن الله على الوجوه، وكان يقول أيضاً: لا تختلفوا فتختلف قلوبكم فكان أصحابه يرصون صفوفهم حتى إن أحدهم ليلصق كعبيه بكعبي من يليه ويحاذيه بركبتيه ومنكبيه وكان عليه السلام يقول: لينوا في أيدي إخوانكم.

الإحرام

وكان عليه السلام إذا استوت الصفوف رفع يديه حتى يحاذي بهما أذنيه ثم قال: الله أكبر جهراً حتى يسمع من خلفه ولم يكن له مسمع ولا مبلغ وكان أصحابه يكبرون سراً.

وضع اليمنى على اليسرى

ثم كان يقبض بيده اليمنى ذراع يده اليسرى ويضعهما على صدره وكذلك كان أصحابه يفعلون.

دعاء الاستفتاح

وكان عليه الصلاة والسلام يسكت سكتة بعد إحرامه، يقول: اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد.

وورد عنه استفتاح آخر وهو مشهور عن عمر بن الخطاب ﷺ وهو: سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك.

التعوذ والبسملة

ثم يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يبسمل سراً وروى جهراً.

قراءة الفاتحة

كان رسول الله ﷺ يقرأ الفاتحة في كل ركعة جهراً في الجهرية وسراً في السرية وكان يأمر الناس بقراءتها ولو كانوا خلف الإمام، ولا صلاة لمن لم يقرأ بها ومن أدرك الركوع مع الإمام ولم يتمكن من قراءة الفاتحة فقد اختلف الصحابة فمن بعدهم هل يعتد

بتلك الركعة أم لا. وقد رجح البخاري في كتاب القرءة خلف الإمام إنه لا يعتد بها وبقوله نأخذ.

كيف قراءته

كان يرتل قراءته حتى لو شئت لعددتها حرفا حرفا وكان يقف على رأس كل آية وآيات الفاتحة سبع بالبسملة.

التأمين والسكتة الثانية

وكان عليه السلام إذا قال ولا الضالين قال آمين رافعا بها صوته وكان أصحابه يقولونها معه بلسان واحد رافعين أصواتهم حتى إن للمسجد لرجة ولا يوجد في الصلاة شيء يقوله المأموم مع الإمام إلا آمين وإلا الفاتحة إذا لم يقرأها في سكتات الإمام ثم كان يسكت بين التأمين وقراءة السورة سكتة لطيفة.

قراءة السورة

كان رسول الله ﷺ يقرأ سورة من القرآن يفتتحها بالبسملة وكان يقرأ في صلاة الصبح بطوال المفصل كـ «الحجرات، وق، والذاريات»، وما أشبه ذلك وكان يقرأ في صلاة الظهر دون صلاة الصبح وفي صلاة العصر على النصف من قراءة الظهر وفي صلاة المغرب غالباً بقصار المفصل كالضحى والإنشراح والتين وما أشبهها وكان يقرأ في صلاة العشاء بالسور المتوسطة كـ «سبح اسم ربك»، و«الشمس وضحاها»، و«والليل إذا يغشى»، وكان في بعض الأحيان يقرأ سورة واحدة في الركعتين يقسمهما بينهما.

صبح يوم الجمعة

كان رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة صبح يوم الجمعة بـ ألم السجدة في الركعة الأولى وهل أتى على الإنسان في الركعة الثانية.

قراءة صلاة الجمعة

وكان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين أو سبح اسم ربك وهل أتاك حديث الغاشية.

السكتة الثانية

كان عليه السلام يسكت في الركعة الأولى ثلاث سكتات الأولى بعد تكبيرة الإحرام والثانية بعد التأمين والثالثة بعد ختام السورة وفي الركعة الثانية السكتتين الآخيرتين فقط غير أن السكتة الأخيرة أقصر مما قبلها.

الركوع

ثم يركع رافعا يديه مكبرًا يطيل التكبير في حال هوية حتى يضع يديه على ركبتيه ولا يشرع المأمومون في الركوع حتى يستوى راكعاً وكذلك يقتدون به في جميع الأركان ولا يفعلون منها شيئاً معه ولا يساوقونه بل يفعلونها بعده، فإذا استوى عليه السلام راكعاً ركعوا كلهم مكبرين سرا دفعة واحدة، ثم يسبح في ركوعه سبحان ربى العظيم عشر مرات ويسبح المأمومون كذلك (وهذا أعلى التسبيح لمن كان إماماً، وأما الفذ فيزيد عليه إن شاء، وادناه ثلاث تسبيحات في الركوع ومثلها في السجود.

الرفع من الركوع

ثم يرفع رأسه من الركوع رافعاً يديه كما فعل في الإحرام وعند الركوع قائلاً: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيئ بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وكان يطيل هذا الركن حتى يقال إنه قد نسى.

السجود

ثم يهوى ﷺ ساجداً مكبراً جهراً غير رافع يديه ويطيل التكبير حتى يضع جبهته على الأرض ساجداً وكان يقدم ركبتيه على يديه في السجود في أرجح الروايتين، وكان يسجد على جبهته وأنفه ويديه وركبتينه ناصباً قدميه مستقبلاً بأطراف أصابعهما القبلة ولا يخر أحد من المأمومين ساجداً حتى يضع جبهته على الأرض ثم يخرون دفعة واحدة مكبرين سراً، وكان عليه الصلاة والسلام يقول في سجوده: سبحان ربي الأعلى، وكان يقول أيضاً: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي وقد قال عليه الصلاة والسلام: نهيت أن

أقرأ القرآن ساجداً أو راكعاً أما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم وكان أصحابه ﷺ يمتثلون أمره الكريم ويغتنمون فضله فكانوا يسألون الله في سجودهم كل شيء حتى ملح العجين، وكان يطيل هذا الركن مقدار عشر تسبيحات وكان قيامه لقراءة الفاتحة وركوعه وقيامه بعد الركوع وسجوده وجلوسه بين السجدتين كل ذلك قريباً من السواء.

الرفع من السجود

ثم يرفع ﷺ رأسه من السجود مكبراً ولا يرفع أحد رأسه من السجود حتى يستوى جالساً، ثم يرفع المأمومون رؤوسهم مكبرين سراً دفعة واحدة.

الجلوس بين السجدتين ودعاؤه

وكان رسول الله ﷺ يطيل الجلوس بين السجدتين حتى يقال أنه قد نسى وكان يجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى مستقبلة أصابعها القبلة وقد ورد أيضاً أنه كان يضجعها ولعله فعل هذا مرة وذاك أخرى وكان يقول في هذا الجلوس اللهم اغفر لى وارحمنى واسترنى وأجرني وارزقني وعافنى واهدنى وارفعنى وانصرنى واعف عني ثم يسجد السجدة الثانية مثلها.

جلسة الاستراحة

وكان يفرع رأسه من السجدة الثانية مكبراً ثم يستوى جالساً قبل أن ينهض للركعة الثانية.

النهوض للركعة الثانية

ثم ينهض للركعة الثانية مقدماً يديه على ركبتيه معتمداً على قدميه، وقد اختلف الذين وصفوا صلاته عليه الصلاة والسلام في جلسة الاستراحة فبعضهم أثبتها وبعضهم لم يذكرها، والذى نأخذ به هو فعلها لأن المثبت مقدم على غيره ومن لم يفعل جلسة الاستراحة ينهض بالتكبير من حين يرفع رأسه إلى أن يستوى قائماً، ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم، ويفعل مثل ما فعل في الركعة الأولى إلا السورة فإنها تكون غالباً أقصر من السورة التى قرأ في الركعة الأولى.

التشهد

وكان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من السجدة الأخيرة من الركعة الثانية يجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى كما كان يفعل بين السجدتين ثم يتشهد، وأصح التشهدات المروية عنه تشهد ابن مسعود وهو: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

القيام من التشهد الأول

ثم يقوم مكبراً مقدماً يديه على ركبتيه في أرجح الروايتين رافعاً يديه حذو أذنيه كما فعل في الإحرام وفي الركوع وفي الرفع منه، ثم يقرأ الفاتحة متعوذاً مبسملاً كما فعل في الركعة الثانية، غير أنه يسر بها، ويفعل في هذه الركعة مثل ما فعل في الركعة الثانية غير أنه لا يقرأ السورة، فإن كانت الصلاة رباعية لم ينهض للرابعة حتى يجلس جلسة الاستراحة ثم يصلي ركعة رابعة مثلها، فإذا جلس للتشهد الأخير في الصوات كلها لم يجلس على رجله اليسرى كما فعل في التشهد الأول بل افضى بوركه إلى الأرض ونصب قدمه اليمنى وجعل قدمه اليسرى تحتها، ثم يقول: التحيات لله فإذا وصل عبده ورسوله يقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، ثم يدعو الله بما شاء من حاجات الدنيا والآخرة ومن الدعاء الوارد اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم. اللهم إني أسألك من كل خير سألك منه محمد نبيك ورسولك وأعوذ بك من كل شر استعاذك منه محمد نبيك ورسولك ثم يسلم عن يمينه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وعن يساره السلام عليكم ورحمة الله وبركاته إماماً كان أم مأموماً أم منفرداً ثم

يقول[1] بالجهر: الله أكبر استغفر الله استغفر الله استغفر الله، اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيئ قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، ثم يقول: سبحان الله والحمد لله والله أكبر عشر مرات وإن شاء قالها ثلاثا وثلاثين مرة ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيئ قدير، ومن سنته أن يقال دبر كل صلاة اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ولا يلزم الإنسان بعد السلام أن يجلس لهذه الأذكار لأن أصحاب النبي ﷺ كان بعضهم ينصرف بعد سلامه مباشرة ويخرج من المسجد وبعضهم كانوا يبقون جالسين والأمر في ذلك واسع ولم يكن النبي ﷺ يرفع يديه للدعاء عقب الصلاة ويقتدى به المأمومون كما يفعله بعض الناس في هذا الزمان.

خاتمة الخشوع في الصلاة

قال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۝ ﴾ والفلاح: هو النجاة من المخلوقات والفوز بالمرغوبات وتلك السعادة وقد أخبر الله تعالى أن الفلاح إنما يكون للمؤمنين ووصف المؤمنين بالخشوع في صلاتهم، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ ، أي تنهى صاحبها وتمنعه من المعاصى، وإنما تنهى عن الفحشاء والمنكر إذا كان فيها خشوع.

وعن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من صلى صلاة لم يقرإ فيها بإم القرآن فهى خداج. رواه أحمد وابن ماجه.

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ أمره أن يخرج فينادنى: لا صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب، فما زاد، رواه أحمد وأبو داوود.

وعن عبادة قال: صلى رسول الله ﷺ الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال: آرانى أراكم تقرآون وراء إمامكم قال: قلنا يا رسول الله أي والله، قال: لا تفعلوا إلا

---

[1] تنبيه: قوله: ثم يفعل كذا وكذا، الضمير فيه تارة يعود على النبي ﷺ وتارة يعود على من يريد اتباع سنته.

بأم القرآن، فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها، رواه أبو داوود والترمذي، وفي لفظ: «ولا تقرأوا بشيء من القرآن إذا جهرت به إلا بأم القرآن»، رواه ابو داوود والنسائى والدارقطني، وقال كلهم ثقات.

وعن عبادة أن النبي ﷺ قال: لا يقرأن أحد منكم شيئاً من القرآن إذا جهرت بالقراءة إلا بأم القرآن، رواه الدارقطني وقال: رجاله كلهم ثقات، قال محمد تقي الدين، وقد ألف الإمام البخاري كتاب القراءة خلف الإمام، وأقام البراهين القاطعة فيه على وجوب قراءة الفاتحة على الإمام والمأموم والمنفرد في السرية والجهرية وألف الإمام البيهقي كتابا مثله.

التأمين والسكتة الثانية

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « إذا أمن الإمام فأمنوا، فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه، وقال ابن شهاب، كان رسول الله ﷺ يقول آمين »، رواه الجماعة إلا الترمذي لم يذكر قول ابن شهاب، وفي رواية: إذا قال الإمام، غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فقولوا: آمين، فإن الملائكة تقول: آمين وأن الإمام يقول: آمين، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه، رواه أحمد والنسائى.

وعن أبى هريرة قال: «كان رسول الله ﷺ إذا تلا غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال آمين، حتى يسمع من يليه من الصف الأول»، رواه أبو داوود وابن ماجه، وقال حتى يسمعها أهل الصف الأول فيرتج بها المسجد.

وعن وائل بن حجر قال: سمعت النبي ﷺ قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فقال: آمين: يمد بها صوته، رواه أحمد وابو داوود والترمذي.

عن الحسن بن سمرة عن النبي ﷺ، أنه كان يسكت سكتتين، إذا استفتح الصلاة، وإذا فرغ من القراءة كلها، وفي رواية، سكتة إذا كبر، وسكتة إذا فرغ من القراءة، غير المغضوب عليهم ولا الضالين، رواه أبو داوود، وكذلك أحمد والترمذي وابن ماجه بمعناه.

قراءة السورة بعد الفاتحة

عن أبي برزة قال: كان النبي ﷺ يصلى الصبح فينصرف الرجل فيعرف جليسه، وكان يقرأ في الركعتين أو إحداهما ما بين الستين إلى المائة رواه البخاري.

عن أبي سعيد الخدري قال: «كما نحرز قيام رسول الله ﷺ في الركعتين الأوليين من الظهر قدر ثلاثين آية وحرزنا قيامه في الآخريين قدر النصف من ذلك، وحرزنا قيامه في الركعتين الأوليين من العصر على قدر قيامه في الآخريين من الظهر وفي الآخريين من العصر على النصف من ذلك.

عن هشام بن عروة: أن أباه كان يقرأ في صلاة المغرب بنحو ما تقرأون، والعاديات، ونحوها من السور وعن أبى عثمان النهدي أنه صلى خلف ابن مسعود المغرب، فقرأ بقل هو الله أحد.

دليل القراءة في العشاء

قال النبي ﷺ لمعاذ هل لا قرأت بسبح اسم ربك والشمس وضحٰاها والليل إذا يغشى. رواه البخاري.

ما يقرأ في صبح يوم الجمعة

عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ، كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة ألم تنزيل السجدة وهل أتى على الإنسان حين من الدهر، وزاد أبو داوود وفي صلاة الجمعة بسورة الجمعة وإذا جاءك المنافقون، وأخرجه مسلم والنسائي بتمامه.

ما يقرأ به في صلاة الجمعة

عن النعمان بن بشير، أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة بسبح اسم ربك، وهل أتاك حديث الغاشية، أخرجه مسلم والأربعة.

عن ابن أبى رافع، واسمه عبيد الله، قال: صلى بنا أبو هريرة يوم الجمعة، فقرأ بسورة الجمعة، وفي الركعة الأخيرة، إذا جاءك المنافقون قال: فأدركت أبا هريرة حين انصرف، فقلت له: إنك قرأت بسورتين كان على يقرأ بهما بالكوفة، قال أبو هريرة: فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بهما يوم الجمعة.

دليل السكتات

عن سمرة قال: «سكتتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ: قال فيه: قال سعيد، قلنا لقتادة، ما هاتان السكتتان، قال: إذا دخل في صلاته، وإذا فرغ من القراءة، ثم قال بعد: وإذا قال: غير المغضوب عليهم ولا الضالين » أخرجه الأربعة إلا النسائى.

دليل رفع اليدين في الصلاة

وعن ابن عمر قال: «كان النبي ﷺ إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى يكونا بحذو منكبيه ثم يكبر، فإذا أراد أن يركع رفعهما مثل ذلك، وإذا رفع رأسه من الركوع رفعهما كذلك أيضاً وقال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، متفق عليه.

وللبخاري، ولا يفعل ذلك حين يسجد، ولا حين يرفع رأسه من السجود،

ولمسلم، ولا يفعله حين يرفع رأسه من السجود، وله ايضاً، ولا يرفعهما بين السجدتين.

وعن نافع أن ابن عمر كان إذا دخل في الصلاة كبر ورفع يديه وإذا ركع رفع يديه وإذا قال: سمع الله لمن حمده رفع يديه وإذا قام من الركعتين رفع يديه، ورفع ذلك ابن عمر إلى النبي ﷺ، رواه البخاري والنسائى وأبو داوود.

دليل مقدار الركوع والسجود

وعن أنس بن مالك قال: ما صليت وراء أحد بعد رسول الله ﷺ أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الفتى، يعنى عمر بن عبد العزيز — قال: فحزرنا في ركوعه عشر تسبيحات، وفي سجوده عشر تسبيحات وأخرجه ابو داوود والنسائى.

دليل ما يقال في الركوع

عن عقبة بن عامر قال: لما نزلت «فسبح باسم ربك العظيم» قال رسول الله ﷺ: اجعلوها في ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها في سجودكم (دليل آخر على مقدار الركوع والسجود).

وعن البراء قال: كان ركوع النبي ﷺ وسجوده وبين السجدتين وإذا رفع من الركوع، ما خلا القيام والقعود، قريبا من السواء متفق عليه.

دليل مقدار القيام من الركوع

وعن أنس: قال كان النبي ﷺ إذا قال «سمع الله لمن حمده» قام حتى نقول: قد أوهم، ثم يسجد ويقعد بين السجدتين حتى نقول قد أوهم، رواه مسلم.

دليل ما يقال بعد الرفع من الركوع

وعن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال: «اللهم ربنا لك الحمد، ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيئ بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطى لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، رواه مسلم.

قال محمد تقي الدين: إذا نظرنا بإمعان في قول النبي ﷺ صلوا كما رأيتمونى أصلى، رواه البخاري، وبهذين الحديثين الآخيرين وحديث البراء، نعلم يقينا مقدار ركوع النبي ﷺ وسجوده وقيامه بعد الركوع وجلوسه بين السجدتين، ثم نضيف إلى هذه الأحاديث حديث أنس فيتبين لنا من هذه الأحاديث أن مقدار هذه الأركان الأربعة لا يقل عن عشر تسبيحات، وأما حديث عون بن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: إذا ركع أحدكم فليقل – ثلاث مرات: سبحان ربى العظيم، وذلك أدناه، وإذا سجد فليقل سبحان ربى الأعلى – ثلاثاً – وذلك أدناه، أخرجه الأربعة إلا النسائي وقال أبو داوود هذا مرسل، عون لم يدرك عبد الله.

وكذلك حديث السعدي عن أبيه، أو عن عمه قال: « رمقت النبي ﷺ في صلاته، فكان يتمكن في ركوعه وسجوده قدر ما يقول: سبحان الله – ثلاثاً – »

قال أبو داود السعدي مجهول، فلا حجة في شيء من ذلك لضعف هذين الحديثين، وأما أحاديث إتمام هذه الأركان فهى كثيرة صحيحة كالشمس يضاف إليها ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثر وأمن الدعاء، ومن اقتصر على ثلاث تسبيحات لا يمكن أن يكثر من الدعاء ولذلك أقول إنى راجع عما أشرت إليه في المتن من أجزاء ثلاث تسبيحات.

دليل وضع اليدين على الركبتين في الركوع

عن مصعب بن سعد قال: صليت إلى جنب أبى فطبقت بين كفى ثم وضعتهما بين فخذى فنهاني أبى وقال كنا نفعل فنهينا عنه وأمرنا أن نضع أيدينا على الركب، رواه الستة.

دليل تقديم الركبتين على اليدين في السجود

عن وائل بن حجر قال: رأيت رسول الله ﷺ إذا سجد وضع ركبتيه قبل يديه، وإذا نهض رفع يديه قبل ركبتيه، رواه أبو داوود والترمذي، والنسائى، وابن ماجه، والدرامي، قال أبو سليمان الخطابي حديث وائل بن حجر أثبت من حديث أبي هريرة يعنى الذي يدل على تقديم اليدين على الركبتين.

دليل السجود على سبعة أعظم

عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أسجد على سبعة أعظم، على الجبهة، واليدين، والركبتين، وأطراف القدمين، متفق عليه.

وعن عبد الله بن مالك بن بحينة قال: كان النبي ﷺ إذا سجد فرج بين يديه حتى يبدو بياض ابطيه. متفق عليه.

دليل كيفية السجود

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «اعتدلوا في السجود، ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب ». متفق عليه.

وعن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: إذا سجدت فضع كفيك وارفع مرفقيك. رواه مسلم.

وعن أبي حميد في صفة صلاة رسول الله ﷺ قال: «إذا سجد فرق بين فخذيه غير حامل بطنه على شيء من فخذيه». رواه أبو داوود

وعن أبي حميد، أن النبي ﷺ كان إذا سجد أمكن أنفه وجبهته من الأرض ونحى يديه عن جبينه ووضع كفيه حذو منكبيه. رواه أبو داوود والترمذي وصححه.

دليل التكبير في كل خفض ورفع

عن ابن مسعود قال: رأيت النبي ﷺ يكبر في كل رفع وخفض، وقيام وقعود. رواه أحمد والترمذي والنسائئ وصححه الترمذي.

وعن عكرمة قال: قلت لابن عباس: صليت الظهر بالبطحاء خلف شيخ أحمق، فكبر اثنتين وعشرين تكبيرة (يكبر إذا سجد وإذا رفع رأسه، فقال ابن عباس: تلك صلاة ابى القاسم ﷺ. رواه أحمد والبخاري.

وعن أبى موسى: أن رسول الله ﷺ خطبنا فبين لنا سنتنا، وعلمنا صلاتنا فقال: إذا صليتم فأقيموا صفوفكم ثم ليؤمكم أحدكم، فإذا كبر فكبروا، وإذا قرأ فأنصتوا، وإذا قال: « **غير المغضوب عليهم والضالين** » فقولوا: آمين، يحبكم الله، وإذا كبر وركع فكبروا واركعوا فإن الإمام يركع قبلكم، ويرفع قبلكم، فقال رسول الله ﷺ فتلك بتلك وإذا قال: سمع الله لمن حمده، فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد، يسمع الله لكم، فإن الله تعالى قال على لسان نبيه، سمع الله لمن حمده، وإذا كبر وسجد فكبروا واسجدوا، فإن الإمام يسجد قبلكم ويرفع قبلكم، قال رسول الله ﷺ فتلك بتلك، وإذا كان عند القعدة فليكن من أول قول أحدكم التحيات الطيبات الصلوات لله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. رواه أحمد ومسلم والنسائى وأبو داوود، وفي رواية بعضهم وأشهد أن محمداً.

وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي يتأول القرآن. أخرجه الستة إلا الترمذي.

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يقول في سجوده: اللهم اغفر لي ذنبى كله، دقة وجله وأوله وآخره — زاد ابن السرج علانيته وسره. أخرجه مسلم وأبو داوود.

وعن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً او ساجداً فإما الركوع فعظموا الرب فيه وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء. فقمن أن يستجاب لكم. أخرجه مسلم والأربعة إلا الترمذي.

وعن عبد الله بن عمر: قال: سنة الصلاة أن تنصب رجلك اليمنى وتثنى رجلك اليسرى.

وعنه أيضا قال: من سنة الصلاة أن تضجع رجلك اليسرى وتنصب اليمنى. رواهما أبو داوود.

دليل الجلوس على القدم اليسرى ونصب اليمنى ما عدا الجلوس الأخير

عن عبد الله بن الزبير قال: كان رسول الله ﷺ إذا قعد في الصلاة جعل قدمه اليسرى بين فخذيه وساقه وفرش قدمه اليمنى ووضع يده اليسرى على ركبته اليسرى ووضع يده اليمنى على فخذه اليمنى وأشار بإصبعه. رواه مسلم.

وعن حذيفة: أن النبي ﷺ كان يقول بين السجدتين رب اغفر لي رب اغفر لى. رواه النسائى وابن ماجه.

وعن ابن عباس: أن النبي ﷺ كان يقول بين السجدتين: اللهم اغفر لي وارحمنى واجبرني واهدنى وارزقنى رواه الترمذي وأبو داوود، إلا أنه قال فيه: «وعافنى» مكان «واجبرني».

دليل جلسة الاستراحة

وعن مالك بن الحويرث أنه رأى النبي ﷺ يصلى فإذا كان في وتر من صلاته لم ينهض حتى يستوى قاعداً رواه الجماعة إلا مسلما وابن ماجه.

كيف ينهض للركعة الثانية

عن وائل بن حجر أن النبي ﷺ لما سجد وقعت ركبتاه إلى الأرض قبل أن يقع كفاه، فلما سجد وضع جبهته بين كفيه وجافى عن إبطه، وإذا نهض على ركبتيه، واعتمد على فخذيه. رواه أبو داوود.

دليل الاستعاذة عند قراءة الفاتحة في كل ركعة

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ ولا يجزئه التعوذ الأول لوقوع الفصل بين القرائتين بالركوع وما بعده وإلى هنا ذهب بن سيرين والشافعي وأحمد في إحدى الروايتين.

دليل كون السورة في الركعة الثانية أقصر منها في الأولى

وعن أبي قتادة قال كان النبي ﷺ يقرأ في الظهر في الأوليين بأم الكتاب وسورتين، وفي الركعتين الأخريين بأم الكتاب ويسمعنا الآية أحيانا ويطول في الركعة الأولى ما لا يطيل في الركعة الثانية وهكذا في العصر، وهكذا في الصبح. متفق عليه.

دليل التشهد

رواه البخاري ومسلم طبقا لما ذكرت في المتن إلا أنه ليس فيه وحده لا شريك له، فهي زيادة وقعت خطئا فيجب حذفها.

دليل التكبير مع القيام بعد التشهد الأول

قال البخاري في صحيحه: باب يكبر وهو ينهض من السجدتين وكان ابن الزبير يكبر في نهضته، عن سعيد بن الحارث قال صلى بنا أبو سعيد فجهر بالتكبير حين رفع رأسه من السجود وحين سجد وحين رفع وحين قام من الركعتين وقال:

هكذا رأيت النبي ﷺ ومن مطرف قال: صليت أنا وعمران صلاة خلف على بن ابى طالب ﷺ فكان إذا سجد كبر وإذا رفع كبر وإذا نهض من السجود وإذا نهض من الركعتين كبر فلما سلم أخذ عمران بيدى فقال: لقد صلى بنا هذا صلاة محمد ﷺ وقال: لقد ذكرنى هذا صلاة محمد ﷺ.

قال الكرماني في شرح البخاري: قال أكثرهم التكبير في القيام من الركعتين لسائر التكبيرات في المقارنة للأفعال فهو مع القيام وقال مالك يكبر بعد الاستواء.

دليل رفع اليدين بعد القيام من التشهد الأول

وعن نافع: أن ابن عمر كان إذا دخل في الصلاة كبر ورفع يديه، وإذا ركع رفع يديه وإذا قال: سمع الله لمن حمده رفع يديه، وإذا قام من الركعتن رفع يديه ورفع ذلك ابن عمر إلى النبي ﷺ رواه البخاري.

دليل هيئة الجلوس للتشهد الأخير

عن محمد بن عمر بن عطاء أنه كان جالساً من نفر من أصحاب النبي ﷺ فذكرنا صلاة النبي ﷺ فقال أبو حميد الساعدني إذا كنت أحفظكم لصلاة رسول الله ﷺ رأيته إذا كبر جعل يديه حذاء منكبيه، وإذا ركع أمكن يديه من ركبتيه ثم هصر ظهره فإذا رفع استوى حتى يعود كل قفار مكانه فإذا سجد وضع يده غير مفترش ولا قابضهما واستقبل بأطراف أصابع رجليه القبلة فإذا جلس في الركعتين جلس على رجله اليسرى ونصب اليمنى، وإذا جلس في الركعة الأخيرة قدم رجله اليسرى ونصب الأخرى وقعد على مقعدته. رواه البخاري.

دليل وجوب الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير

عن ابن مسعود قال: «أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد أمرنا الله أن نصلى عليك فكيف نصلى عليك؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله ﷺ: قولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم. وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم. رواه أحمد ومسلم والنسائى والترمذي وصححه ولاحمد في لفظ آخر نحوه وفيه «فكيف نصلى عليك إذا نحن صلينا في صلاتنا».

دليل التعوذ بالله من أمور في التشهد الأخير

عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يدعو في الصلاة يقول: اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات، اللهم إنى أعوذ بك من المأثم والمغرم فقال قائل ما أكثر ما تستعيذ من المغرم فقال إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف. متفق عليه.

عن أبى بكر الصديق أنه قال لرسول الله ﷺ علمنى دعاء أدعو به في صلاتي قال: قل اللهم أنى ظلمت نفسى ظلما كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم. رواه البخاري.

وعن عبد الله قال: إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده السلام على فلان وفلان فقال النبي ﷺ لا تقولوا السلام على الله فإن الله هو السلام ولكن قولوا التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنكم إذا قلتم أصاب كل عبد في السماء أو بين السماء والأرض أشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمداً عبده ورسوله ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعوا. رواه البخاري.

دليل الدعاء المذكور في التشهد الأخير

عن أبى إمامة قال: دعا رسول الله ﷺ بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئاً. قلنا يا رسول الله دعوت بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئاً، فقال ألا أدلكم على ما يجمع ذلك كله تقول اللهم أنى أسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد ﷺ ونعوذ بك من شر ما استعاذك منه نبيك محمد ﷺ وأنت المستعان وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة إلا بالله. رواه الترمذي. وقال حديث حسن.

دليل السلام وكيف يكون؟

عن وائل بن حجر قال صليت مع النبي ﷺ فكان يسلم عن يمينه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وعن شماله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، رواه أبو داوود بإسناد صحيح.

هذا الحديث صححه الحافظ بن حجر وذكر له عدة طرق فيجب العمل به لقول النبي ﷺ وصلوا كما رأيتمونى أصلى ومن أراد استقصاء البحث في هذا فلينظره في سبل السلام.

أدلة الذكر بعد الصلاة وكيف يكون؟

عن ابن عباس أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي ﷺ وقال ابن عباس: كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته.

وعنه أيضا قال: كنت أعرف انقضاء صلاة النبي ﷺ بالتكبير، رواهما البخاري.

وعن ثوبان قال رسول الله ﷺ: إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا، وقال: اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام. رواه مسلم.

عن المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيئ قدير. اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد. رواه البخاري.

وعن عبد الله بن الزبير أنه كان يقول في دبر كل صلاة حين يسلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل، وله الثناء الحسن لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، قال: وكان رسول الله ﷺ يهلل بهن دبر كل صلاة. رواه أحمد ومسلم وأبو داوود والنسائى.

وعن أبى هريرة قال: جاء الفقراء إلى النبي ﷺ فقالوا ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلا والنعيم المقيم يصلون كما نصلى، ويصومون كما نصوم ولهم فضل من أموالهم يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون قال: ألا أحدثكم بما إن أخذتم أدركتم من سبقكم ولم يدرككم أحد بعدكم وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه إلا من عمل مثله تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين فاختلفنا بيننا فقال بعضنا نسبح ثلاثا وثلاثين ونحمد ثلاث وثلاثين ونكبر أربعا وثلاثين فرجعت إليه فقال تقول سبحان الله والحمد الله والله أكبر حتى يكون منهن كلهن ثلاثاً وثلاثين. رواه البخاري.

عن أبي هريرة قال: من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين وثال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيئ قدير غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر. رواه مسلم.

عن أم سلمة أن النبي ﷺ كان إذا سلم يمكث في مكانه يسيرًا. قال ابن شهاب فنرى والله أعلم لكى ينفذ من ينصرف من النساء. رواه البخاري قال محمد تقي الدين: وبهذا تعلم يقينا أن ما أحدثه المتأخرون من الدعاء عقب المكتوبات بجماعة وإمام وألفاظ معلومة يفتتح بها ويختمونه بالصلاة على النبي ﷺ جماعة بلسان واحد ثم يقولون سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ويمسحون وجوههم بأيديهم بدعة لم يفعلها رسول الله ﷺ ولا من اتبعه بإحسان وقد استوفى الكلام في رد هذه البدعة الإمام أبو إسحاق الشاطبي في كتاب الاعتصام فجزاه الله خيراً ونقل في هذا الكتاب عن الإمام

مالك بن أنس إمام دار الهجرة في زمانه أنه قال من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة لأنى سمعت الله يقول: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ وما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا. قال محمد تقي الدين والدعاء بالهيئة المذكورة لم يكن في زمان النبي ﷺ دينا فلن يكون دينا إلى يوم القيامة.

وقد يسر الله بمنة وكرمه فله الحمد ذكر أدلة جميع المسائل المدرجة في كتاب الصراط المستقيم إلا مسألة واحدة أن الصحابة كانوا يسألون الله في صلاتهم كل شيء حى ملح العجين، فإنى لم أجده في شيء من الكتب التي بيدي وقد بقى في ذهني مما طالعته من قبل والله أعلم بصحته وأنا متوقف في نسبته إلى الصحابة حتى أجد له دليلاً أما الدعاء بكل ما يريد المصلى من خير الدنيا والآخرة ما لم يخرج إلى التنطع الذي لا يليق بالأدب كقول بعضهم اللهم إنى أسألك القصر الأبيض الذى على يمين الداخل إلى الجنة والدليل على ذلك حديث بن مسعود المتقدم، وفي رواية لمسلم «ثم ليتخير بعد من المسألة ما شاء أو ما أحب ».

وقد تم تأليفه في أقل من أربعة أيام وكان الفراغ منه يوم الأربعاء السابع والعشرين من ربيع الأول عند آذان المغرب سنة ١٣٩٥ هـ. أسأل الله بأسمائه الحسنى وبمحبتنا واتباعنا لنبيه محمد ﷺ أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به كما نفع بأصله ويختم لنا بالحسنى ويجعل أسعد أيامنا يوم لقائه والحمد لله رب العالمين.

أوقات

الصلاة عن النبي ﷺ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الشمس والقمر آيتين فمحا آية الله وجعل آية النهار مبصرة ليعلم عباده عدد السنين والحساب، وأوقات الصلوات التي يتقربون بها إلى الملك الوهاب، صل اللهم وسلم على محمد عبدك ورسولك الذي آتيته الحكمة وفصل الخطاب، وعلى آله وأصحابه أولى الألباب، الناصرين للسنة والكتاب، وعلى كل من اتبعهم بإحسان إلى يوم المآب.

أما بعد:

فيقول العبد الفقير إلى رحمة ربه الوالى، محمد تقي الدين الحسينى الهلالي:

رأيت المؤذنين في المغرب عامة وفي مكناس التي أقطن بها خاصة، لا يضبطون أوقات الصلوات الخمس، فالظهر والعصر تارة يقدمونهما على وقتيهما، وتارة يؤخرونهما، وتارة، وعلى سبيل المصادفة، يؤذنون لهما في وقتيهما، ومن بدعهم التي لا تحصى، أنهم يؤذنون للظهر مرتين، بينهما ربع ساعة، وللعصر مرتين، بينهما ربع ساعة كذلك، وسمعت أنهم يؤذنون للصبح عشر مرات، والعهدة على الراوي، ويجعلون في الصيف بين آذاني المغرب والعشاء ساعتين إلا ربعا، وكل ذلك ضلال وافتراء على الله ورسوله، أما الصبح فيؤذنون له قبل طلوع الفجر بنصف ساعة أو أكثر، وفي الحديث الصحيح أن بلالا أذن للصبح قبل طلوع الفجر خطأ ولم يتعمد ذلك، فأمره النبي ﷺ أن ينادى بأرفع صوته (ألا أن العبد قد نام) ليعلم الناس أن الفجر لم يطلع، ولينال عقابه على خطئه، أما في رمضان، فكان النبي ﷺ مؤذنان، أحدهما بلال، وكان يؤذن قبل طلوع الفجر ليعلم الناس أن الصبح قريب فيتسحرون، والثاني ابن أم مكتوم، وكان رجلاً أعمى لا يؤذن حتى يقال له (أصبحت أصبحت)، رواه البخاري ومسلم.

وقد التمس منى بعض الإخوان أن أبين لهم أوقات الصلوات كما علمنا إياها رسول الله ﷺ بعبارة سهلة يفهمهما كل قارئ، فأجبتهم إلى طلبهم راجياً منهم الدعاء ومن الله تعالى أحسن الجزاء، وسأقتصر على فاس ونواحيها كمكناس التي أسكن فيها، على أنى سأقدم بين يدي ذلك قاعدة تشمل جميع البلدان التي لا ينعدم فيها الليل والنهار، كالأراضى القطبية فأقول وبالله التوفيق وعليه توكلت وإليه أنيب: إذا أردت أيها الأخ المسلم،

أو الأخت المسلمة، أن تعرفا وقت الظهر ووقت العصر بغاية الضبط والإتقان، فاطلبا من نجار أن يصنع لكما لوحا مستدير الشكل، ويغرز في وسطه أي في مركز الدائرة قضيباً من حديد أو خشب ويخط حوله دوائر من مركزه إلى طرفه، فيوضع هذا اللوح على مائدة صغيرة

أو حجر أو على الأرض في الشمس ويراقب ظله طويلاً ولا يزال ينقص حتى ينعدم في بعض البلدان، فإذا صار له ظل ولو قليلاً يقاس ذلك الظل بمقياس يحفظ مقداره، وبهذه الزيادة يكون وقت الظهر قد حضر، وبستمر وقت الظهر الاختيارى إلى أن يصير ظل القضيب كطوله، فيزيد عليه مقدار الظل الذى حصل بعد الزوال كائنا ما كان ولو قدر أصبع أو أقل، وحينئذ يؤذن لصلاة العصر، أما المغرب فوقته حتى يغيب قرص الشمس في الأرض المستوية أو في البحر كما قال بعضهم:

وعند غروب الشمس قم صل مغربا

فذاك ابتداء الوقت يا صاح فاعقل

وصلاة العشاء يدخل وقتها عند مغيب الحمرة التي تبقى في ناحية المشرق بعد غروب الشمس، وتسمى الشفق، وهذا مذهب جمهور الأئمة، وقالت الحنفية حين يزول البياض الذي يعقب الحمرة وهو خطأ لان العرب تقول: ثوب أحمر كالشفق، ويمتد وقت العشاء الاختيارى إلى ثلث الليل يقينا، وقيل إلى نصف الليل، وصلاة الصبح أول وقتها عند طلوع الفجر الصادق لا الكاذب، وصفة الفجر الكاذب، أنه بياض في ناحية المشرق يصعد إلى سماء كذنب السرحان (وهو الذئب) والفجر الصادق نور يعترض في الأفق من اليمين إلى الشمال في ناحية المشرق ويزداد إشراقاً في كل لحظة، ويكون مشوبا بحمرة قليلة في أول ظهوره ولا تزال الحمرة تزداد حتى تطلع الشمس.

قال النبي ﷺ: «فكلوا واشربوا حتى تروا الأحمر» أي: الأبيض المشوب بحمرة [٢].

ومن صفة الفجر الصادق، أنه يملأ الحجرات (أي: الأحواش) والدروب والشوارع نوراً وتتفطن له الطير فتستيقظ من نومها وتسبح لله تعالى بأصواتها المختلفة، ويمتد وقت صلاة

(٢) انظر كتابي: الفجر الصادق وهو مطبوع.

الصبح إلى طلوع الشمس، ففي الحديث الصحيح (من أدرك ركعة من الصبح قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح ومن أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر). لكن تأخير العصر إلى اصفرار الشمس لا يجوز إلا بعذر، كالنوم والنسيان والإغماء والحائض التي تطهر في ذلك الوقت، ومن أخر صلاة العصر إلى الاصفرار بغير عذر، فقد أتى باباً من أبواب الكبائر، كقتل النفس التي حرم الله وعقوق الوالدين، والسرقة، والزنا، وما أشبه ذلك.

بيان وقت الظهر والعصر في فاس ونواحيها

بطريقة أخرى خاصة بتلك الناحية

تجدر هنا أيها القارئ كلمتين: كل كلمة منهما تشتمل على ستة أحرف: فالحرف الأول، وهو الياء، رمز عن عشرة أقدام، فيدخل وقت الظهر في أول يوم من يناير، إذا صار ظل الرجل عشرة أقدام، ويدخل وقت العصر على سبعة عشر قدماً، ومن أول يناير إلى آخره ينقص قدمان، مقدار كل قدم خمسة عشر أصبعا، تنقص كل يوم أصبعا.

وإذا دخل فبراير، ويرمز له بالحاء، وهي ثمانية أقدام، أقرأ هذا الرمز: يا حهجبا أبده حي.

فبينه وبين الشهر الذي يليه ثلاثة أقدام تساوى خمسا وأربعين أصبعا، تنقص في كل يوم أصبعا ونصفا، فإذا دخل مارس، يكون ظل الظهر خمسة أقدام يرمز لها بالهاء، وبين مارس وإبريل قدمان يساويان ثلاثين أصبعا، فتنقص في كل يوم أصبعا، فإذا دخل شهر أبريل يكون الظهر على ثلاثة أقدام يرمز لها بالجيم، وبين ابريل ومايو قدم واحدة فتنتقص كل يوم نصف أصبع، فإذا دخل مايو يكون الظهر على قدمين، وبين مايو ويونيو قدم واحدة، فتنقص في كل يوم نصف إصبع، فإذا دخل يونيه يكون الظهر على قدم واحدة، ويرمز لها بالألف وهي آخر الكلمة الأولى.

النصف الثاني من السنة وهو نصف الزيادة

أوله يوليه، يكون الظل فيه عند أول وقت الظهر على قدم واحدة يرمز لها بالألف المهموزة وهي أول الكلمة الثانية وبين يوليو وشهر غشت قدم واحدة، تزيد في كل يوم نصف إصبع، فإذا دخل غشت يكون الظهر فيه على قدمين، ويرمز له بالباء من الكلمة

الثانية، وبين غشت وشتنبر قدمان، تزيد في كل يوم أصبعا، فإذا دخل شتنبر يكون ظل الظهر على أربعة أقدام، ويرمز له بالدال من الكلمة الثانية، وبينه وبين أكتوبر قدم واحدة، تزيد في كل يوم نصف إصبع، فإذا دخل أكتوبر، يكون الظهر على خمسة أقدام، يرمز له بالهاء من الكلمة الثانية، وبينه وبين نونبر، ثلاثة أقدام، يزاد في كل يوم أصبع ونصف، فإذا دخل نونبر يكون وقت الظهر على ثمانية أقدام يرمز له بالحاء، وبينه وبين دجنبر قدمان، يزاد في كل يوم أصبع واحدة، فإذا دخل دجنبر، يكون وقت الظهر على عشرة أقدام، ويستمر على ذلك إلى آخر السنة بلا زيادة، اهـ.

وقد بدأ لي أن أزيد في آخر كل شهر حرفه فأقول: يناير‌ي – فبرايرح – مارسه – ابريلج – مايوب – يونيوا – يوليوا – غشتب – شتنبرد – أكتوبره – نونبرح – دجنبري.

تم التقويم بحمد الله، وصل اللهم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وكان الفراغ منه بعد عصر يوم الثلاثاء ٢٨ من جمادي الثانية سنة ١٣٩٧ بمدينة مكناس.

صان الله مؤلفه من كل بأس

إعلام الخاص والعام ببطلان الركعة لمن فاتته الفاتحة والقيام



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكرم هذه الأمة بأن أرسل إليها سيد الأنام محمدا ماحي الظلام ونبي الرحمة وبدر التمام، اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، أما بعد:

فيقول العبد الفقير إلى رحمة ربه الوالي محمد تقي الدين بن عبد القادر الحسيني الهلالي: اختلف الناس قديما وحديثا فيمن أدرك الركوع ولم يدرك الفاتحة والقيام لها هل يعتد بتلك الركعة أم لا والناس في ذلك ثلاث طوائف الأولى تقول بعدم وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة على المأموم والثانية تقول بوجوب قراءتها في كل ركعة إلا أنها تستثني المسبوق إذا أدرك الإمام راكعاً فتسقط عنه قراءة الفاتحة في تلك الركعة وتوجبها عليه في سائر الركعات والثالثة توجب قراءة الفاتحة على الإمام والمأموم والمنفرد في كل ركعة وإن كان مسبوقاً وقد شرح الله صدري لإتباع الطائفة الثالثة لما رأيته من قوة أدلتها ووضوح براهينها وحسبها شرفا وفضلا أن أمير المؤمنين في الحديث في القديم والحديث أبا عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري قدس الله روحه ونور ضريحه ينتمي إلى هذه الطائفة وينصرها نصرا مؤزراً، وهذا أوان الشروع في المقصود بعون الملك المعبود.



الباب الأول في وجوب قراءة الفاتحة على الإمام والمأموم والمنفرد

قال البخاري في صحيحه «باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر وما يجهر فيها وما يخافت».

ثم خرج بسنده إلى جابر بن سمرة قال: شكا أهل الكوفة سعدا إلى عمر ﷺ، فعزله واستعمل عليهم عماراً فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي، قال أبو إسحاق: أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرم منها، أصلى صلاة العشاء فأركد في الأوليين وأخف في الأخيرتين.

قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق فأرسل معه رجلا أو رجالا إلى الكوفة فسأل عنه أهل الكوفة ولم يدع مسجداً إلا سأل عنه ويثنون معروفاً حتى دخل مسجداً لبني عبس فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يكني أبا سعدة قال: أما إذا نشدتنا فإن سعداً كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية قال سعد أما والله لأدعون بثلاث اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً قام رياء وسمعة فأطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن وكان بعد إذا سئل يقول شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد.

قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن.

ثم خرج بسنده إلى أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فدخل رجل فصلى فسلم على النبي ﷺ فرد وقال أرجع فصل فإنك لم تصل فرجع يصلي كما صلي ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال ارجع فصل فإنك لم تصل (ثلاثا) فقال والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمني فقال إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم أقرأ ما يتيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ثم أسجد حتى تطمئن ساجداً ثم أرفع حتى تطمئن جالساً وأفعل ذلك في صلاتك كلها.

قال الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري في شرح هذين الحديثين ما نصه.

قوله: (جابر بن سمرة) هو الصحابي ولأبيه سمرة بن جنادة صحبة أيضا وأخرج هذا الحديث الإمام أحمد وغيره قوله (شكا أهل الكوفة سعدا) هو ابن أبي وقاص وهو خال ابن سمرة الراوي عنه وفي رواية عبد الرزاق عن معمر عن عبد الملك عن جابر بن سمرة قال كنت جالسا عند عمر إذ جاء أهل الكوفة يشكون إليه سعد بن أبي وقاص حتى قالوا أنه لا يحسن الصلاة، انتهى. وفي قوله أهل الكوفة تجاوز وهو من إطلاق الكل على البعض لأن الذين شكوه بعض أهل الكوفة لا كلهم ففي رواية زائدة عن عبد الملك في صحيح أبي عوانة جعل ناس من أهل الكوفة ونحوه لإسحق بن راهويه عن جرير عن عبد الملك وسمي منهم عند سيف والطبراني الجراح بن سنان وقبيصة وأربد الأسديون، وذكر العسكري في الأوائل أن منهم الأشعث بن قيس، قوله (فعزله) كان عمر بن الخطاب أمر سعد بن أبي وقاص على قتال الفرس في سنة أربع عشرة ففتح الله العراق على يديه ثم اختط الكوفة سنة سبع عشرة واستمر عليها أميراً إلى سنة إحدى وعشرين في قول خليفة بن خياط، وعند الطبري سنة عشرين فوقع له مع أهل الكوفة ما ذكر قوله (واستعمل عليهم عمارا) هو ابن ياسر قال خليفة: استعمل عماراً على الصلاة وابن مسعود على بيت المال وعثمان بن حنيف على مساحة الأرض انتهي. وكأن تخصيص عمار بالذكر لوقوع التصريح بالصلاة دون غيرها مما وقعت فيه الشكوى قوله (فشكوا) ليست هذه الفاء عاطفة على قوله (فعزله) بل هي تفسيرية عاطفة على قوله شكا عطف تفسير وقوله (فعزله واستعمل) اعتراض إذ الشكوى كانت سابقة على العزل وبينته رواية معمر الماضية قوله (حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي) ظاهره أن جهات الشكوى كانت متعددة ومنها قصة الصلاة وصرح بذلك في رواية أبي عون الآتية قريبا فقال عمر لقد شكوك في كل شي حتى في الصلاة وذكر ابن سعد وسيف أنهم زعموا أنه حابي في بيع خمس باعه وأنه صنع على داره بابا مبوبا من خشب وكان السوق مجاورا له فكان يتأذى بأصواتهم فزعموا أنه قال انقطع التصويت وذكر سيف أنهم زعموا أنه كان يلهيه الصيد عن الخروج في السرايا وقال الزبير بن بكار في كتاب النسب، رفع أهل الكوفة عليه أشياء كشفها عمر فوجدها باطلة اهـ. ويقويه قول عمر في وصيته فإني لم أعزله من عجز ولا خيانة، وسيأتي ذلك في مناقب عثمان، قوله (فأرسل إليه فقال) فيه حذف تقديره فوصل إليه الرسول فجاء إلى عمر وسيأتي تسمية

الرسول قوله: (يا أبا إسحاق) هي كنية سعد، كني بذلك بأكبر أولاده وهذا تعظيم من عمر له وفيه دلالة على أنه لم تقدح فيه الشكوى عنده.

قوله: (أما أنا والله) أما بالتشديد وهي للتقسيم والقسيم هنا محذوف تقديره وأما هم فقالوا ما قالوا وفيه القسم في الخبر لتأكيده في نفس السامع وجواب القسم يدل عليه قوله، فإني كنت أصلى بهم، قوله (صلاة رسول الله ﷺ) بالنصف أي مثل صلاة، قوله (ما أخرم) — بفتح أوله وكسر الراء — أي لا أنقص، قوله (أصلى صلاة العشاء) بفتح العين وفي رواية للبخاري صلاة العشي. ورواه غيره صلاتي العشي وهما الظهر والعصر وهذا هو الصحيح قوله: (فأركد في الأولين) قال القزاز: أركد أي أقيم طويلا، قوله: (أخفف في الأخريين) أي: اقتصر على الفاتحة، قوله (ذلك الظن بك) أي هذا الذي تقول هو الذي كنا نظنه زاد مسعر عن عبد الملك وابن عون معا فقال سعد أتعلمني الأعراب الصلاة، أخرجه مسلم وفيه دلالة على أن الذين شكوه لم يكونوا من أهل العلم وكأنهم ظنوا مشروعية التسوية بين الركعات فأنكروا على سعد التفرقة فيستفاد منه ذم القول بالرأي الذي لا يستند إلى أصل فيه أن القياس في مقابلة النص فاسد الاعتبار قال ابن بطال: وجه دخول حديث سعد في هذا الباب أنه لما قال: (أركد وأخف) علم أنه لا يترك القراءة في شيء من صلاته وقد قال أنها مثل صلاة رسول الله ﷺ واختصره الكرماني فقال ركود الإمام يدل على قراءته عادة قوله: (لا يسير بالسرية) الباء بمعني مع أي لا يسير مع السرية وهي قطعة من الجيش، قوله (ولا يعدل في القضية) أي لا يعدل إذا حكم بين الخصمين، قوله (ولا يقسم بالسوية) أي لا يسوى بين الناس في قسمة المال، قوله (قام رياء وسمعة) أي قام للطعن في الأمير ليراه الأشرار أمثاله وسمعة ليسمعوا كلامه ويرضوا عنه.

قال محمد تقي الدين: من إنصاف سعد ﷺ وعدله أنه علق الدعاء على كون الرجل مبطلا كاذبا وكما أنه وصفه بثلاث صفات كذبا وزورا دعا عليه بثلاث دعوات الأولى طول العمر في شقاء الثانية طول الفقر مع عدم الصبر والثالثة أشد منها وهي التعرض للفتن. وروي أنه عمي في آخر عمره فكان كلما سمع صوت امرأة أو فتاة أسرع إليها ولمس جسمها فإذا زجره الناس قال لهم أنا شيخ مفتون أدركتني دعوة العبد الصالح سعد بن أبي وقاص.

ثم خرج البخاري بسنده إلى عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب ، والنفي هنا للصحة لا للكمال قال الحافظ ويؤيده رواية الإسماعيلي من طريق العباس بن الوليد النومي أحد شيوخ البخاري عن سفيان بهذا الإسناد بلفظ «لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب» وتابعه على ذلك زياد بن أيوب أحد الأثبات أخرجه الدارقطني ، وله شاهد من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً بهذا اللفظ أخرجه ابن خزيمة وابن حبان وغيرهما. ولأحمد من طريق عبد الله بن سوادة القشيري عن رجل عن أبيه مرفوعاً، لا تقبل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن.

وقد أخرج ابن خزيمة عن محمد بن الوليد القرشي عن سفيان حديث الباب بلفظ لا صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب، فلا يمتنع أن يقال أن قوله لا صلاة نفي بمعني النهي أي لا تصلوا إلا بقراءة فاتحة الكتاب ونظيره ما رواه مسلم من طريق القاسم عن عائشة مرفوعا، لا صلاة بحضرة الطعام فإنه في صحيح ابن حبان بلفظ «لا يصل أحدكم بحضرة الطعام» أخرجه مسلم.

وقد قال بوجوب قراءة الفاتحة في الصلاة الحنفية لكن بنوا على قاعدتهم أنها مع الوجوب ليست شرطاً في صحة الصلاة لأن وجوبها إنما ثبت بالسنة والذي لا تتم الصلاة إلا به فرض والفرض عندهم لا يثبت بما يزيد علي القرآن.

وقد قال تعالى: ﴿ فَٱقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ فالغرض قراءة ما تيسر وتعيين الفاتحة إنما ثبت بالحديث فيكون واجباً يأثم من يتركه وتجزئ الصلاة بدونه وإذا تقرر ذلك لا ينقضي عجبي ممن يتعمد ترك قراءة الفاتحة منهم وترك الطمأنينة فيصلي صلاة يريد أن يتقرب بها إلى الله تعالى وهو يتعمد ارتكاب الإثم فيها مبالغة في تحقيق مخالفته لمذهب غيره.

قال محمد تقي الدين: وأما قوله لا ينقضي عجبي ممن يفرق بين طاعة الله وطاعة الرسول فيجعل طاعة الله تعالى في الدرجة الأولى تبطل بتركها الصلاة ويجعل طاعة الرسول ﷺ في الدرجة الثانية ولا تبطل بتعمد تركها الصلاة ولم يفرق الله تعالى قط بين طاعته وطاعة رسوله ومعصيته ومعصية رسوله وقال تعالى في سورة النساء (٨٠): ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾، وقال تعالى في سورة الفتح (١٧): ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ ، وقال تعالى في سورة

النساء (١٣،١٤): ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾.

ومن ترك حرفاً واحداً من الفاتحة ولو في ركعة واحدة سواء أكان إماماً أو مأموماً أو منفرداً فصلاته باطلة استدل على ذلك الحافظ في الفتح، بقول النبي ﷺ للمسيء في صلاته «وافعل ذلك في صلاتك كلها» وفي رواية لأحمد وابن حبان «ثم افعل ذلك في كل ركعة» واستدل به البخاري على وجوب قراءة الفاتحة على المأموم سواء أسر الإمام أو جهر.

واستدل من أسقطها عن المأموم مطلقاً كالحنفية بحديث «من صلي خلف الإمام(١) فقراءة الإمام له قراءة، لكنه حديث ضعيف عند الحفاظ، وقد استوعب طرقه وعلله الدارقطني وغيره. واستدل من أسقطها عنه في الجهرية كالمالكية بحديث «وإذا قرأ فأنصتوا» وهو حديث صحيح أخرجه مسلم من حديث أبي موسي الأشعري ولا دلالة فيه لإمكان الجمع بين الأمرين فينصت فيما عدا الفاتحة أو ينصت إذا قرأ الإمام ويقرأ إذا سكت وعلى هذا فيتعين على الإمام السكوت في الجهرية ليقرأ المأموم لئلا يوقعه في ارتكاب النهي حيث لا ينصت إذا قرأ الإمام وقد ثبت الأذن بقراءة المأموم الفاتحة في الجهرية بغير قيد وذلك فيما أخرجه البخاري في جزء القراءة والترمذي وابن حبان وغيرهما من رواية مكحول عن محمود بن الربيع عن عبادة، أن النبي ﷺ ثقلت عليه القراءة في الفجر فلما فرغ قال لعلكم تقرؤون خلف إمامكم؟ قلنا نعم. قال فلا تفعلوا إلا بفاتحة الكتاب فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها والظاهرة أن حديث الباب مختصر من هذا وكان هذا سببه والله أعلم.

ثم قال بعد كلام «وقد ورد في حديث المسيء صلاته تفسير ما تيسر بالفاتحة كما أخرجه أبو داود من حديث رفاعة بن رافع رفعه وإذا قمت فتوجهت فكبر ثم أقرأ بأم القرآن وبما شاء الله أن تقرأ، ثم قال: ويحتمل الجمع أيضا أن يقال المراد بقوله اقرأ ما تيسر معك من القرآن أي بعد الفاتحة ويؤيده حديث أبي سعيد عند أبي داود بسند قوي «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر».

وقال الكرماني في شرحه لصحيح البخاري في الجزء الخامس من المجلد الثالث ص ١٢٤ في شرح هذا الحديث ما نصه: «وفيه دليل على أن قراءة الفاتحة واجبة على الإمام والمأموم

والمنفرد في الصلوات كلها فهو صريح في دلالته على جميع أجزاء الترجمة فإن قلت هذا لا يدل على الوجوب لاحتمال أن يراد لإكمال الصلاة أولاً فضيلة له إلا بها قلت الذات غير منتفية بالاتفاق فلابد من تقدير فالحمل على نفي الصحة أولى من نفي الكمال ونحوه لأنه أشبه بنفي الشيء نفسه لأن ما لا يكون صحيحاً هو إلى العدم أقرب مما لا يكون كاملاً ولأن اللفظ يدل بالتصريح على نفي الذات وبالتبع على نفي جميع الصفات فلما منع الدليل دلالته على نفي الذات تعين حمله على نفي جميع الصفات.

ثم قال بعد كلام في الجزء نفسه عند قول النبي ﷺ «ارجع فصل» أي الصلاة وليس المراد فصل على النبي ﷺ، (فرد) أي النبي ﷺ الخطابي. فيه دليل على وجوب التكبير لأنه أمر به والأمر للوجوب وفيه دليل علي أن عليه أن يقرأ في كل ركعة كما أن عليه أن يركع ويسجد في كل ركعة لأنه قال ثم أفعل ذلك في صلاتك كلها ومعني «ما تيسر» أي الفاتحة فإن بيان النبي ﷺ قد عين ما لا تجزئ الصلاة إلا به من القرآن حيث قال لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب، الثيمي: هو مجمل وحديث عبادة مفسر والمفسر قاض على المجمل، النووي. أما حديث اقرأ ما تيسر فمحمول على الفاتحة فإنها متيسرة قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ أو على ما زاد على الفاتحة بعدها أو على من عجز عن الفاتحة فإن قيل لم يذكر فيه كل الواجبات كالسجدة الثانية والنية والقعود في التشهد الأخير والترتيب فالجواب أنها كانت معلومة عند السائل فلم يحتج إلى بيانها وفيه إيجاب الاعتدال والجلوس بين السجدتين والطمأنينة في الركوع والسجود ولم يوجبها أبو حنيفة والحديث حجة عليه وليس عنه جواب صحيح وفيه أن المفتي يرفق بالمستفتي وفيه الرفق بالجاهل وإيضاح المسألة والاقتصار على المهم دون المكملات التي لا يحتمل حالة حفظها واستحباب السلام عند اللقاء ووجوب رده وأنه يستحب تكراره إذا تكرر اللقاء وإن قرب العهد وأنه يجب رده في كل مرة وفيه أن من أخل ببعض واجبات الصلاة لا تصح صلاته ولا يسمي مصلياً.

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في كتابه المسمي كتاب القراءة خلف الإمام باب الدليل على أن لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب يجمع الإمام والمأموم والمنفرد.

ثم روي بسنده إلى عبادة بن الصامت. أن رسول الله ﷺ قال لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب، ثم روي عن عبادة بن الصامت أيضاً أن رسول الله ﷺ قال لا صلاة لمن لم يقرأ

فيها بفاتحة الكتاب ثم قال رواه البخاري ومسلم وبين طرق روايتهما ثم رواه من طريق سفيان بن عيينة بلفظ، لا تجزئ صلاة لا يقرأ الرجل فيها فاتحة الكتاب ثم روي بسنده عن عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال أم القرآن عوض من غيرها وليس غيرها منها عوض، ثم قال رواته كلهم ثقات، وبعد أن روي حديث عبادة بطرق كثيرة رواه بلفظ، قال رسول الله ﷺ لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن فصاعدا، ثم ذكر له طريقا آخر وقال رواه مسلم في صحيحه.

ثم روى بسنده إلى أبي سعيد الخدري قال أمرنا رسول الله ﷺ أن نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر ثم رواه بلفظ لا صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب فما زاد ثم رواه بلفظ «لا تجزئ صلاة إلا بفاتحة الكتاب ومعها غيرها».

ثم روى بطرق عن أبي هريرة قال أمرني رسول الله ﷺ أن أنادي أن لا صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب. ثم روي أحاديث كثيرة بالمعني المتقدم ثم قال باب الدليل على أن كل صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج، وبيان قسمة الله تبارك وتعالي صلاة العبد بينه وبين عبده نصفين وأن الذي قسمه منها هو قراءة فاتحة الكتاب وفي ذلك دلالة على كونها ركنا فيها حتى سماها باسمها ولم يفرق فيها بين الإمام والمأموم والمنفرد والذي حمل الحديث وهو أعرف بما روي حمل وجوب قراءتها على الجميع وأمر المأموم بقراءتها ثم روي من طرق عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج فهي خداج غير تمام فقلت يا أبا هريرة إني أكون أحيانا وراء الإمام وقال يا فارسي أقرأ بها في نفسك، وفي رواية القعنبي: أقرأها في نفسك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل» قال رسول الله ﷺ: «اقرؤوا يقول العبد: الحمد لله رب العالمين، يقول الله: حمدني عبدي، ويقول العبد: الرحمن الرحيم، يقول الله: أثني علي عبدي، يقول العبد: مالك يوم الدين، يقول الله: مجدني عبدي، يقول العبد: إياك نعبد وإياك نستعين، فهذه الآية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، يقول العبد: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل».

ثم قال: وقد أودعه مالك بن أنس الإمام كتابه الموطأ في باب القراءة خلف الإمام ورواه مسلم بن الحجاج في الصحيح عن قتيبة عن مالك ثم ذكر له طرقا أخرى، والمراد بقوله اقرأ بها في نفسك أن يتلفظ سرا دون الجهر بها ولا يجوز حمله على ذكرها بقلبه دون التلفظ بها لإجماع أهل اللسان على أن ذلك لا يسمي قراءة ولا جماع أهل العلم على أن ذكرها بقلبه دون التلفظ بها ليس بشرط ولا مسنون فلا يجوز حمل الخبر على ما لا يقول به أحد ولا يساعده لسان العرب وبالله التوفيق.

قال محمد تقي الدين: وقد روي الحافظ البيهقي حديث أبي هريرة هذا من ستة وعشرين طريقاً كلها عن عبد الرحمن مولي الحُرْقة عن أبي هريرة ولم يتفرد به عبد الرحمن المذكور فقد شاركه أبو السائب عن أبي هريرة في تسعة طرق أخرى. فهذه خمسة وثلاثون طريقاً ستة وعشرون عن عبد الرحمن مولى الحرقة عن أبي هريرة وتسعة عن أبي السائب عن أبي هريرة ثم رواه من طريق أبي سلمة وعبد الملك بن مروان وعبد الملك بن المغيرة ثلاثتهم عن أبي هريرة. ثم قال، وفي رواية عبد الرحمن بن يعقوب الحرقي وأبي السائب عن أبي هريرة كفاية، وعبد الرحمن من الثقات المعروفين وأبو السائب مدني مولي هشام بن زهرة كان من جلساء أبي هريرة، ورواه عنه أيضاً الزهوي وصفوان بن سليم ثم ذكر الحافظ البيهقى رجالاً آخرين رووا عن أبي هريرة، ثم قال الحافظ البيهقى.

باب سياق رواية من تابع أبا هريرة فيما رووه من قسمة الصلاة وأن صلاة من لم يقرأ فيها بأم القرآن خداج من غير فرق بين الإمام والمأموم والمنفرد ثم روي بأسانيده الحديث المتقدم عن أبي هريرة كل صلاة لم يقرأ فيها بأم الكتاب فهي خداج عن جماعة من الصحابة منهم جابر وعائشة وعلى وعبد الله بن عمرو فهؤلاء خمسة من الصحابة يضمون إلى أبي هريرة فيكون الحديث مرويا عن ستة من الصحابة بأسانيد وطرق متعددة فإن لم يكن هذا حجة على وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة على الإمام والمأموم والمنفرد فلا حجة توجد في الدنيا، ثم قال الحافظ البيهقى رحمه الله باب الدليل على افتتاح كل مصل قراءته بفاتحة الكتاب وأن لا فرق فيها بين الإمام والمأموم والمنفرد. ثم روي بسنده من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك سورة ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها قلت:

بلي قال: إني لأرجو أن تخرج من ذلك الباب حتى تعلمها فقام رسول الله ﷺ وقمت معه فجعل يحدثني ويدي في يده فجعلت أتباطأ كراهية أن يخرج قبل أن يخبرني بها فلما دنوت من الباب قلت: يا رسول الله السورة التي وعدتني قال: كيف تقرأ إذا قمت إلى الصلاة فقرأت فاتحة الكتاب فقال: هي هي، وهي السبع المثاني التي قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ الذي أعطيت»، ثم رواه من خمسة طرق أخرى كلها عن العلاء بن عبد الرحمن به. والأخير من رواية مالك في الموطأ، ثم قال الإمام أحمد رحمه الله وحين قال المصطفي ﷺ لأبي بن كعب ﷺ كيف تقرأ في صلاتك فأجابه بأم القرآن ولم يفصل بين أن يكون إماما أو مأموماً أو منفرداً دل على أن لا فرق بينهم في وجوب قراءتها على من أحسنها منهم في صلاته ودل على أنه كان مستفيضاً شائعاً فيما بينهم تعيين القراءة بالفاتحة حتى أحاله المصطفي ﷺ فيما أراد أن يعلمه من السورة على ما يقرأ في صلاته وأجابه أبي بها دون غيرها من القرآن مع استحباب قراءة غيرها فيها والله أعلم.

ثم قال باب ذكر أخبار خاصة دالة على وجوب قراءة فاتحة الكتاب على المأموم وبيان المصطفي ﷺ أن الصلاة لا تجزئ دون قراءتها سواء كان المصلي إماماً أو مأموماً أو منفرداً سواء كانت الصلاة مما يجهر الإمام فيها بالقراءة أو لا يجهر بها.

ثم روي بسنده إلى عبادة بن الصامت قال صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال إني أراكم تقرؤون وراء إمامكم قال قلنا أجل والله يا رسول الله قال فلا تفعلوا إلا بفاتحة الكتاب فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها، لفظ أحمد

ثم روي بسنده إلى عبادة بن الصامت قال صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح فثقلت عليه القراءة فأقبل علينا بوجهه فقال أني لأراكم تقرؤون خلف إمامكم إذا جهر قال قلنا أجل والله يا رسول الله قال فلا تفعلوا إلا بأم القرآن فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها.

قال محمد تقي الدين: وهذا الحديث لا يبقي شكا في أن قراءة الفاتحة خلف الإمام ركن من أركان الصلاة في السرية والجهرية بلا فرق، ثم روي هذا الحديث من طريق البخاري في كتاب القراءة خلف الإمام ومن طريق أبي داود في سننه وقال إنه حديث صحيح. ثم روي الحافظ البيهقى بسنده إلى عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب إمام وغير إمام.

قال محمد تقي الدين: وفي هذه الرواية نص من النبي ﷺ على وجوب قراءة فاتحة الكتاب على كل مصل إماما كان أو مأموما أو منفردا والحمد لله رب العالمين.

ثم رواه بلفظ آخر عن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت أن محموداً صلى إلى جانبه فسمعه يقرأ وراء الإمام فسأله حين انصرف عن ذلك فقال أن رسول الله ﷺ أمنا يوماً فانصرف إلينا وقد غلط في بعض القرآن فقال هل قرأ معي منكم أحد قلنا نعم قال قد عجبت من هذا الذي ينازعني القرآن إذا قرأ الإمام فلا يقرأ معه أحد منكم إلا بأم القرآن هكذا رواه جماعة عن عمرو بن عثمان الحمصى.

ثم روي الحافظ البيهقى حديث عبادة من طريق محمود بن الربيع وهو من صغار الصحابة من ثمانية طرق بألفاظ متقاربة وكلها تدل على أن عبادة بن الصامت قرأ الفاتحة خلف الإمام فيما يجهر به واحتج على ذلك بما سمعه من النبي ﷺ.

ثم روي الحديث نفسه باثني عشر طريقاً كلها تثبت أن قراءة الفاتحة ركن من أركان الصلاة في حق الإمام والمأموم والمنفرد بعضها مرفوع متصل وبعضها مرسل وبعضها موقوف والعمدة على ما تقدم من الطرق الصحيحة وهذه لا تزيدها إلا قوة وقد صرح بذلك الحافظ البيهقي في غير ما موضع.

قال الحافظ البيهقى في أثناء هذه الأحاديث، وإنما تعجب من تعجب من قراءته خلف الإمام فيما فيه بالقراءة لذهاب من ذهب إلى ترك القراءة خلف الإمام فيما يجهر الإمام فيه بالقراءة حين قال النبي ﷺ مالي أنازع القرآن ولم يسمع استثناء النبي ﷺ قراءة فاتحة الكتاب سراً وقوله ﷺ فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها وسمعه عبادة بن الصامت وأتقنه وأداه وأظهره فوجب الرجوع إليه في ذلك.

ولفظ الطريق الثاني عشر من الطرق المذكورة، من قبل، عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب خلف الإمام» وهذا في غاية الصراحة، قال الحافظ البيهقي هذا إسناد صحيح والزيادة التي فيه كالزيادة التي في حديث مكحول وغيره فهي من عبادة بن الصامت صحيحه مشهورة من أوجه كثيرة وعبادة بن الصامت رضي الله عنه من أكابر أصحاب رسول الله ﷺ وفقهائهم.

ثم روى بسنده إلى قتادة قال كان عبادة بن الصامت بدرياً عقبياً أحد نقباء الأنصار وكان بايع رسول الله ﷺ أن لا يخاف في الله لومة لائم.

وروى بسنده إلى أحمد بن حنبل قال سمعت سفيان بن عيينة فذكر الفقهاء وذكر فيهم عبادة بن الصامت ثم قال أحمد: قال سفيان: عبادة عقبي بدري واحدي شجري وهو نقيب.

ثم قال الحافظ البيهقي وروينا في كتاب المدخل عن جنادة بن أمية أنه قال دخلت على عبادة بن الصامت وكان قد تفقه في دين الله عز وجل.

ثم قال: باب ذكر الشواهد التي تشهد لرواية عبادة بن الصامت رضي الله عنه عنه في استثناء قراءة فاتحة الكتاب بالصحة مع استغنائها عن الشواهد.

ثم روى بسنده إلى أنس قال أن رسول الله ﷺ صلى بأصحابه فلما قضي صلاته أقبل على القوم بوجهه وقال أتقرؤون في صلاته والإمام يقرأ فسكتوا فقالها ثلاث مرات فقال قائل أو قائلون إنا لنفعل قال فلا تفعلوا وليقرأ أحدكم بفاتحة الكتاب في نفسه احتج به البخاري في جملة ما احتج به في كتاب القراءة خلف الإمام فرواة عن يحيى بن يوسف.

ثم روي أحاديث مرفوعة في معني ما تقدم. وهي ثلاثة وعشرون أكثرها مسند وقليل منها مرسل، وكلها بمعني ما تقدم، وفي أثناء ذلك قال الحافظ البيهقى ما نصه وفي إجماع هؤلاء الرواة الثقات عن عبيد الله بن عمرو على رواية هذا الحديث بتمامه دليل على تقصير يوسف بن عدي في روايته حيث انتهي بالرواية إلى قوله فلا تفعلوا ولم يذكر ما بعده من الأمر بقراءة فاتحة الكتاب في نفسه وهو فيما أخبرناه أبو عبد الله الحافظ وذكر السند إلى عبيد الله بن عمرو فذكر بنقصان هذا الاستثناء وهو تقصير منه وسهو منه فيه وليس هذا من النقصان الذي يتجوزه في الخبر بعض الرواة فإنه يغير الحكم الذي هو مقصود صاحب الشريعة ﷺ بالنهي عن القراءة خلف الإمام واستثناء قراءة الفاتحة سراً في نفسه ومثل هذا النقصان لا يجوز بحال وبالله التوفيق.

قال محمد تقي الدين: وإذا شذ أحد الرواة فترك الاستثناء فالحجة في رواية الجم الغفير والشاذ يطرح ثم قال الحافظ البيهقي.

باب ما يستدل به على أن النبي ﷺ إنما نهي المأموم عن الجهر بالقراءة لا عن أصل القراءة.

ثم روي بسنده إلى أبي هريرة أن عبد الله بن حذافة صلي فجهر بالقراءة فقال له النبي ﷺ: «يا ابن حذافة لا تسمعني وأسْمِع الله».

ثم ذكر أبواباً كثيرة تدل على قراءة المأموم الفاتحة خلف الإمام وأن قراءة الإمام الفاتحة لا تغني عنه شيئا لقوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾. إلى أن قال:

ذكر ما يؤثر عن أصحاب النبي ﷺ في قراءتهم خلف الإمام وأمرهم بها، ذكر ما روي عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب ﷺ في ذلك.

وروى بسنده إلى يزيد بن شريك التيمي قال قلت لعمر بن الخطاب ﷺ أقرأ وراء الإمام يا أمير المؤمنين قال نعم قال وإن قرأت يا أمير المؤمنين قال وإن قرأت ثم رواه بإسناد آخر ثم ذكر من طريقين ولفظه أن عمر قال أقرأ خلف الإمام وإن جهر وأقرأ فاتحة الكتاب وشيئا قلت وإن كنت خلفك قال وإن كنت خلفي، ورواه أبو كريب عن حفص وزاد قال قلت وإن جهرت قال وإن جهرت.

رواه عن يزيد بن شريك أنه سأل عمر ﷺ عن القراءة خلف الإمام قال أقرأ بفاتحة الكتاب قلت وإن كنت أنت قال وإن كنت أنا قلت وإن جهرت قال وإن جهرت، ورواته ثقات قاله الدارقطني.

ثم روى بسنده عن الحارث بن سويد ويزيد التيمي قالا أمرنا عمر بن الخطاب ﷺ أن نقرأ خلف الإمام.

ثم روي بسنده إلى عبابة رجل من بني تميم قال سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب وشيء معها قال قلت أرأيت إن كنت خلف الإمام قال أقرأ في نفسك.

ثم ذكر لهذا الخبر روايات أخرى، ثم قال:

ذكر رواية صحيحة عن أمير المؤمنين أبي الحسن على بن أبي طالب ﷺ ، ثم روي بسنده عن ابن أبي رافع عن أبيه عن على ﷺ أنه كان يأمر أن يقرأ خلف الإمام في الركعتين الأوليين بفاتحة الكتاب، ثم روي بسند آخر عن أشعث عن الحكم وحماد أن عليا ﷺ كان يأمر بالقراءة خلف الإمام.

ذكر الرواية فيه عن أبي بن كعب ﷺ.

ثم روي بسنده عن عبد الله بن أبي الهذيل قال سألت أبي بن كعب ﷺ أأقرأ خلف الإمام؟ قال: نعم.

قال الإمام أحمد بسنده إلى أبي المغيرة عن أبي بن كعب ﷺ أنه كان يقرأ خلف الإمام.

ذكر الرواية فيه عن معاذ بن جبل ﷺ.

ثم روي بسنده عن أبي شيبة المهري يقول سأل رجل معاذ بن جبل ﷺ عن القراءة خلف الإمام فقال إذا قرأ فاقرأ بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وإذا لم تسمع فاقرأ في نفسك ولا تؤذ من عن يمينك ولا من عن شمالك.

ذكر الرواية فيه عن عبادة بن الصامت ﷺ.

ثم روى بسنده عن محمود بن الربيع قال صلينا صلاة وإلى جنبي عبادة بن الصامت فسمعته يقرأ بفاتحة الكتاب فلما فرغنا قلت يا أبا الوليد ألم أسمعك قرأت بفاتحة القرآن قال أجل أنه لا صلاة إلا بها فكان يقال لرجاء أرأيت إن كان خلف الإمام فيما يجهر فيقول إن جهر وإن لم يجهر فلابد من قراءة.

ثم رواه بأسانيد أخرى ثم قال:

ذكر الرواية فيه عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

ثم روى بسنده عن عبد الله بن زياد الأسدي قال صليت إلى جنب عبد الله بن مسعود ﷺ خلف الإمام فسمعته يقرأ في الظهر والعصر.

ذكر الرواية فيه عن عبد الله بن عباس ﷺ.

وروي بسنده إلى العيزار بن حريث عن ابن عباس ﷺ قال اقرأ خلف الإمام بفاتحة الكتاب.

ثم روى بسند آخر عن عطاء عن ابن عباس ﷺ قال اقرأ خلف الإمام جهرا ولم يجهر.

ثم روى بسند آخر مثله ، ثم روى بسنده عن حنش قال سمعت ابن عباس يقول اقرأ بفاتحة الكتاب في كل ركعة خلف الإمام.

ذكر الرواية فيه عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ.

ثم قال: قال الإمام أحمد رحمه الله وقرأت في كتاب القراءة خلف الإمام لمحمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله وذكر سنده إلى يحيى البكاء قال سئل ابن عمر عن القراءة خلف

الإمام فقال ما كانوا يرون بأسا أن يقرأ بفاتحة الكتاب في نفسه.

ذكر الرواية فيه عن أبي هريرة الدوسي ﷺ.

تقدمت أحاديث صريحة عنه في ذلك.

ذكر الرواية فيه عن هشام بن عامر ﷺ.

ثم روى بسنده إلى حميد بن هلال أن هشام بن عامر قرأ فقيل أتقرأ خلف الإمام قال إنا لنفعل.

ذكر الرواية فيه عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

وروى بسنده إلى أبي نضرة قال سألت أبا سعيد الخدري عن القراءة خلف الإمام فقال بفاتحة الكتاب.

ذكر الرواية فيه عن أبي الدرداء ﷺ.

ثم روى بسنده عن حسان بن عطية أن أبا الدرداء قال لا تترك قراءة فاتحة الكتاب خلف الإمام جهرا ولم يجهر.

ذكر الرواية عن عمران بن حصين ﷺ.

ثم روى بسنده عن الحسن قال حدثني عمران بن حصين قال لا تزكو صلاة مسلم إلا بطهور وركوع وسجود وفاتحة الكتاب وراء الإمام أو غير الإمام.

ثم روى بسنده إلى مكحول قال اقرأ بها يعني بالفاتحة فيما جهر به الإمام إذا قرأ بفاتحة الكتاب وسكت سرا وإن لم يسكت اقرأ بها قبله ومعه وبعده لا تتركها على حال.

ثم روى بسنده إلى الحسن قال أنه كان يقول اقرأ خلف الإمام في كل صلاة بفاتحة الكتاب في نفسك.

ثم روى بسنده عن الشعبي قال اقرأ في خمس يعني في الصلوات الخمس وراء الإمام ثم قال قرأت في كتاب القراءة خلف الإمام للبخاري رحمه الله حكاية عن الحسن وسعيد بن جبير وميمون بن مهران وما لا أحصى من التابعين وأهل العلم أنه يقرأ خلف الإمام وإن جهر وقال مجاهد إذا لم يقرأ خلف الإمام أعاد الصلاة.

ثم روى بسنده عن الأوزاعي يقول يحق على الإمام أن يسكت سكتة بعد التكبيرة الأولى لاستفتاح الصلاة وسكتة بعد قراءة فاتحة الكتاب ليقرأ من خلفه بفاتحة الكتاب فإن لم يكن

قرأ معه بفاتحة الكتاب إذا قرأ بها وأسرع القراءة ثم استمع وقال في ص ٩٣ «وقال الإمام أحمد رحمه الله ومن قال بالقول الصحيح وهو أن القراءة واجبة خلف الإمام جهر الإمام بالقراءة أو خافت بها لهم أنا لا ننكر نزول هذه الآية في الصلاة أو في الصلاة والخطبة كما ذهب إليه من ذكرنا قوله من سلف هذه الأمة غير أنهم أو بعض من روى عنهم اختصروا الحديث فقالوا في الصلاة مطلقاً.

ورواه أبو هريرة ﷺ وهو أحفظ من روى الحديث في دهره ثم من تابعه من الصحابة والتابعين بتمامه مقيداً ومفسراً بذكر ما كانوا يفعلون في الصلاة قبل نزول هذه الآية حتى نزلت في النهي عن ذلك فوجب المصير إليه والاقتصار عليه دون السكوت عن القراءة التي وجبت بأصل المشرع في الصلاة مع إمكان الجمع بين قراءتها والاستماع لقراءة الإمام على ما نبينه إن شاء الله.

ثم روى بسنده إلى أبي عياض عن أبي هريرة قال كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.

ثم روى بسنده إلى ابن عباس في هذه الآية ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾. قال نزلت في رفع الأصوات وهم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة وفي الخطبة يوم الجمعة وفي العيدين فنهوا عن الكلام في الصلاة.

ثم روى بسنده عن قتادة في قوله ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾.

قال الرجل يأتي وهم في الصلاة فيسألهم كم صليتم كم بقي فأنزل الله عز وجل ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾.

ثم قال فهذه الأخبار تدل على أن الله تعالى إنما أمره في هذه الآية بالإنصات وهو السكوت عن الكلام الذي كانوا يتكلمون به في الصلاة وعن الأصوات التي كانوا يرفعونها بالقراءة خلف الإمام لا عن القراءة والذكر في أنفسهم.

ثم ذكر براهين كثيرة على أنه ليس المراد بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾ السكوت عن قراءة الفاتحة والذكر المشروع في الصلاة وإنما المراد كلام الناس ورفع الصوت بالقراءة خلف الإمام ثم روى عن زيد بن أسلم قال في قوله ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾. قال الذي خلف الإمام، قال الله: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ ﴾ قال: يقول ربك

وأنصت في نفسك فأخبر أنه مأمور بالإنصات والإنصات في اللغة هو السكوت وأنه في عرف الشريعة لا يطلق إلا على السكوت وترك النطق أصلا فقد وردت أخبار صحيحة في إطلاق اسم الإنصات وإسكات على ترك الجهر دون الإخفاء وعلى ترك كلام الناس دون الذكر في النفس.

ثم ذكر الحافظ البيهقي حديث إذا كبر الإمام فكبروا وفي بعض روايته وإذا قرأ فأنصتوا، وأقام الدليل على أن هذه الزيادة وهم من بعض الرواة ولم يقلها النبي ﷺ وقد تقدم أن الإنصات والسكوت لا يتنافيان مع قراءة الفاتحة سراً ثم قال وممن ضعف هذه الزيادة (يعني: وإذا قرأ فأنصتوا) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري وأبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمهم الله.

ثم قال البخاري بعد تضعيفه تلك الزيادة وإبطالها ولو صحت لكان يحتمل أن يراد بها غير فاتحة الكتاب ثم مضي إلى أن قال: قال الإمام رحمه الله ولا يترك الثابت عن أبي هريرة في الأمر بقراءة فاتحة الكتاب وراء الإمام برواية رجل مجهول مع احتمال روايته أن يكون المراد بها ما بعد الفاتحة من القرآن دون الفاتحة التي أمر أبو هريرة بقراءتها وراء الإمام وإن كان يجهر الإمام بالقراءة كما سبق ذكرنا له وهذا هو المراد بما عسى يصح مرفوعاً ما.

هذا آخر ما أردت نقله من كتاب القراءة خلف الإمام للحافظ البيهقي والآن انقل دليل المخالفين لنا الذين يفتون بأن من أدرك الركوع فقد أدرك الركعة.

قال أبو داود في سننه، باب الرجل يدرك الإمام ساجداً كيف يصنع، ثم روى بسنده إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إذا جئتم إلى الصلاة ونحن سجود فاسجدوا ولا تعدوها شيئا ومن أدرك الركعة فقد أدرك الصلاة.

قال أبو الطيب شمس الحق العظيم آبادي في كتابه عون المعبود شرح سنن أبي داود ما نصه، (ونحن سجود) جمع ساجد والجملة حالية (فاسجدوا) فيه مشروعية السجود مع الإمام لمن أدركه ساجداً (ولا تعدوها شيئا) بضم العين وتشديد الدال أي لا تحسبه شيئا والمعني وافقوه في السجود ولا تجعلوا ذلك ركعة (ومن أدرك الركعة) قيل المراد به ههنا الركوع فيكون مدرك الإمام راكعا مدركا لتلك الركعة وفيه نظر لأن الركعة حقيقة لجميعها وإطلاقها على الركوع وما بعده مجاز لا يصار إليه إلا لقرينة كما وقع عند مسلم من حديث

البراء بلفظ فوجدت قيامه فركعته فاعتداله فسجدته فإن وقوع الركعة في مقابلة القيام والاعتدال والسجود قرينة تدل على أن المراد بها الركوع وههنا ليست قرينة تصرف عن حقيقة الركعة فليس فيه دليل على أن مدرك الإمام راكعاً مدرك لتلك الركعة.

واعلم أنه ذهب الجمهور من الأئمة إلى أن من أدرك الإمام راكعاً دخل معه اعتد بتلك الركعة وإن لم يدرك شيئا من القراءة وذهب جماعة إلى أن من أدرك الإمام راكعاً لم تحسب له تلك الركعة وهو قول أبي هريرة وحكاه البخاري في القراءة خلف الإمام في القراءة عن كل من ذهب إلى وجوب القراءة خلف الإمام واختاره ابن خزيمة والضبعي وغيرهما من محدثي الشافعية وقواه الشيخ تقي الدين السبكي من المتأخرين ورجحه المقبلي قال: وقد بحثت في هذه المسألة وأحطتها في جميع بحثي فقها وحديثا فلم أحصل منها على غير ما ذكرت يعني من عدم الاعتداد بإدراك الركوع فقط.

واستدل الجمهور بحديث الباب لكن الاستدلال به موقوف على إرادة الركوع من الركعة وقد عرفت ما فيه وبحديث أبي بكرة حيث صلي خلف الصف مخافة أن تفوته الركعة فقال ﷺ: «زادك الله حرصاً ولا تعد» ولم يأمر بإعادة الركعة، قال الشوكاني في النيل ليس فيه ما يدل على ما ذهبوا إليه لأنه كما لم يأمره بالإعادة لم ينقل إلينا أنه اعتد بها، والدعاء له بالحرص لا يستلزم الاعتداد بها لأن الكون مع الإمام مأمور به سواء كان الشيء الذي يدركه المؤتم معتداً به أم لا كما في الحديث «إذا جئتم إلى الصلاة ونحن سجود فاسجدوا ولا تعدوها شيئا» على أن النبي ﷺ قد نهي أبا بكرة عن العود إلى مثل ذلك والاحتجاج بشيء قد نهي عنه لا يصح، وقد أجاب ابن حزم في المحلي عن حديث أبي بكرة فقال: أنه لا حجة لهم فيه لأنه ليس فيه اجتزاء بتلك الركعة انتهي وبحديث أبي هريرة من أدرك الركوع من الركعة الأخيرة في صلاته يوم الجمعة فليضف إليها ركعة أخرى، رواه الدراقطني لكن في إسناده ياسين بن معاذ وهو متروك فلا تقوم به الحجة.

واستدل من ذهب إلى أن من أدرك الإمام راكعاً لم تحسب له تلك الركعة بحديث «ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا» أخرجه الشيخان بأنه أمر رسول الله ﷺ بإتمام ما فاته ومن أدرك الإمام راكعاً فاته القيام والقراءة فيه وهما فرضان فلابد له من إتمامهما وبما روي عن أبي هريرة أنه ﷺ قال ومن أدرك الإمام في الركوع فليركع معه وليعد الركعة، وقد رواه

البخاري في القراءة خلف الإمام من حديث أبي هريرة أنه قال، إن أدركت القوم ركوعا لم تعتد بتلك الركعة قال الحافظ وهذا هو المعروف عن أبي هريرة موقوفاً وأما المرفوع فلا أصل له قال الشوكاني في النيل قد عرفت مما سلف وجوب الفاتحة على كل إمام ومأموم في كل ركعة، وعرفناك أن تلك الأدلة صالحة للاحتجاج بها على أن قراءة الفاتحة من شروط صحة الصلاة فمن زعم أنها تصح صلاة من الصلوات أو ركعة من الركعات بدون فاتحة الكتاب فهو محتاج إلى إقامة برهان يخصص تلك الأدلة ومن هنا يتبين لك ضعف ما ذهب إليه الجمهور أن من أدرك الإمام راكعاً دخل معه واعتد بتلك الركعة، وإن لم يدرك شيئا من القراءة ثم بين دلائل الفريقين ورجح خلاف ما ذهب إليه الجمهور وقال قد ألف السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير رسالة في هذه المسألة ورجح مذهب الجمهور وقد كتبت أبحاثا في الجواب عليها انتهي كلام الشوكاني في النيل ملخصاً محرراً، قلت حديث أبي هريرة سكت عنه أبو داود ثم المنذري في مختصره وفيه يحيى بن أبي سليمان المدني، قال أمير المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل البخاري في جزء القراءة، ويحيى هذا منكر الحديث روى عنه أبو سعيد مولي بني هاشم وعبد الله بن رجاء البصري مناكير ولم يتبين سماعه من زيد ولا من ابن المغيرة ولا تقوم به الحجة انتهي، وقال البيهقي: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إذا جئتم الصلاة ونحن سجود فاسجدوا ولا تعدوها شيئا ومن أدرك الركعة فقد أدرك الصلاة تفرد به يحيى بن أبي سليمان هذا وليس بالقوي انتهي، وفي الميزان والتهذيب يحيى بن أبي سليمان المدني روى عن المقبري وعطاء وعنه شعبة وأبو سعيد مولي بني هاشم وأبو الوليد قال أبو حاتم يكتب حديثه وليس بالقوي وذكره ابن حبان في الثقات ووثقه الحاكم وقال البخاري منكر الحديث انتهي.

والحديث أخرجه الدارقطني من هذه الطريق أي طريق نافع بن يزيد كما ذكره أبو داود سندا ومتنا ورواه الدارقطني أيضا من وجه آخر وهذا لفظه وذكر سنده إلى أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال من أدرك الركوع فقد أدركها قبل أن يقيم الإمام صلبه، قال في التعليق الذي في سنن الدارقطني الحديث فيه يحيى بن حميد قال البخاري لا يتابع في حديثه وضعفه الدارقطني وأما قرة بن عبد الرحمن فأخرج له مسلم في الشواهد وقال الجوزجاني سمعت أحمد يقول منكر الحديث وقال يحيى ضعيف الحديث وقال أبو حاتم: ليس بقوي. انتهي

كلام أمير المؤمنين في الحديث أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله المسلم أن اثنين من كبار الحفاظ كل منهما إمام زمانه ألفا في وجوب قراءة الفاتحة على الإمام والمأموم والمنفرد وكتاباهما مطبوعان وقد لخصت حجج الحافظ البيهقي والآن أنقل ما تمس إليه الحاجة من كتاب القراءة للإمام البخاري فيما يتعلق بمن أدرك الركوع مع الإمام هل يعتد بتلك الركعة أم لا، أما وجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام في السرية والجهرية فحسبك فيه ما تقدم.

قال البخاري في الصفحة السابعة من كتاب القراءة خلف الإمام، وتواتر الخبر عن رسول الله ﷺ لا صلاة إلا بقراءة أم القرآن وقال بعض الناس يجزيه آية في الركعتين الأوليين بالفارسية لا ويقرأ في الأخريين.

قال محمد تقي الدين: مراده بقوله بعض الناس، أبو حنيفة رحمه الله.

النقل الأول

قال البخاري في الصفحة نفسها، وقال أبو قتادة كان النبي ﷺ يقرأ في الأربع وقال بعضهم أنه إن لم يقرأ في الأربع جازت صلاته وهذا خلاف قول النبي ﷺ لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب فإن احتج وقال قال النبي ﷺ لا صلاة ولم يقل لم يجزئ، قيل له أن الخبر إذا جاء عن النبي ﷺ فحكمه على اسمه وعلى الجملة يجيء ثبتا عن النبي ﷺ قال جابر بن عبد الله لا يجزيه إلا بأم القرآن فإن احتج فقال إذا أدرك الركوع جازت فكما أجزأته في الركعة كذلك يجزيه في الركعات قيل له إنما أجاز زيد بن ثابت وابن عمرو اللذان لم يريا القراءة خلف الإمام.

قال محمد تقي الدين: هذه هي الفائدة الأولى نستفيدها من الإمام البخاري في هذا الكتاب وهي أن كل من قال بوجوب قراءة الفاتحة على الإمام والمأموم والمنفرد يقول بأن من أدرك الركوع مع الإمام ولم يدرك قراءة فاتحة الكتاب ولا القيام لها لا يعتد بتلك الركعة. فقد علمت فيما مضي أسماء الصحابة والتابعين الذين يوجبون قراءة الفاتحة على كل مصل فاحفظ هذه الفائدة، وقل رب زدني علما.

بعض من قال بوجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام من الصحابة

قال البخاري في ص ٩ وقال أبو هريرة وعائشة قال رسول الله ﷺ: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج».

وقال عمر بن الخطاب: اقرأ خلف الإمام قلت: وإن قرأت قال: نعم وإن قرأت وكذلك قال أبي بن كعب وحذيفة بن اليمان وعبادة ﷺ ويذكر عن على بن أبي طالب وعبد الله بن عمر وأبي سعيد الخدري وعدة من أصحاب النبي ﷺ نحو ذلك ثم قال البخاري رحمه الله وقال الحسن وسعيد بن جبير وميمون بن مهران وما لا أحصي من التابعين وأهل العلم أنه يقرأ خلف الإمام وإن جهر وكانت عائشة تأمر بالقراءة خلف الإمام.

قال محمد تقي الدين: فهؤلاء الذين لا يحصي البخاري عددهم كلهم يقولون بأن من أدرك الركعة ولم يدرك قراءة الفاتحة والقيام لها لا يعتد بتلك الركعة يضاف هذا إلى من تقدم ذكره من الصحابة فأين هذا من قول بعضهم أنه لم يقل بعدم الاعتداد بالركعة التي لم تدرك فيها قراءة فاتحة الكتاب إلا أبو هريرة وحده فما أبعد هذا الكلام من التحقيق والله ولي التوفيق.

ثم قال البخاري وقال مجاهد إذا لم يقرأ خلف الإمام أعاد الصلاة وكذلك قال عبد الله بن الزبير.

ثم قال وكان أبو سلمة بن عبد الرحمن وميمون بن مهران وغيرهم وسعيد بن جبير يرون القراءة عند سكوت الإمام لقول النبي ﷺ: لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب ثم قال: وإذا ترك الإمام شيئا من الصلاة فحق على من خلفه إن لم يتم الإمام اتمنا. وقال الحسين وسعيد ابن جبير وحميد بن هلال اقرأ بالحمد يوم الجمعة.

قال محمد تقي الدين: ومن سوء حظ المغاربة أن أكثر الأئمة يتركون التعوذ والبسملة ودعاء الاستفتاح ووضع اليمني على اليسري والتأمين والسكتات ورفع اليدين عند الركوع والرفع منه وعند القيام من التشهد الأول فهذا كل يجب على المأموم أن يفعله وإن تركه الإمام أما إذا ترك الاطمئنان في الركوع والسجود والقيام بعد الركوع والجلوس بين السجدتين فيجب على المأموم أن ينوي الانفراد فوراً ويتم صلاته وحده ومن لامه في ذلك فهو مليم.

ثم قال البخاري رحمه الله في الرد على المخالفين: وقال الآخرون من هؤلاء يجزيه أن يقرأ بالفارسية ويجزيه أن يقرأ بآية ينقض أخرهم على أولهم بغير كتاب ولا سنة وقيل له من أباح لك الثناء والإمام يقرأ بخبر أو قياس.

حظر على غيرك الفرض وهو القراءة ولا خبر عندك ولا اتفاق.

قال محمد تقي الدين: هذا الكلام يرد به الإمام البخاري على الحنفية الذين يبيحون للمأموم أن يقرأ دعاء الاستفتاح والإمام يقرأ في الجهرية ولا يبيحون له أن يقرأ فاتحة الكتاب التي هي ركن لا تتم الصلاة بدونها ثم قال البخاري وكان سعيد بن المسيب وعروة والشعبي وعبيد الله بن عبد الله ونافع بن جبير وأبو المليح والقاسم بن محمد وأبو مجلز ومكحول ومالك بن عون وسعيد بن أبي عروبة يرون القراءة، أي خلف الإمام.

ثم قال بسنده إلى أبي العالية فسألت ابن عمر: أقرأ في الصلاة؟ قال: إني لاستحي من رب هذا البيت أن أصلى صلاة لا أقرأ فيها ولو بأم الكتاب.

قال محمد تقي الدين: إلا أن ابن عمر لا يري القراءة إذا جهر الإمام كان تقدم وقول من رآها من الصحابة والتابعين هو الراجح وقد تقدم أن أباه عمر كان يراها ولو جهر الإمام.

ثم قال البخاري بسنده إلى أبي سعيد الخدري كان يقول لا يركعن أحدكم حتى يقرأ بفاتحة الكتاب، قال وكانت عائشة تقول ذلك.

ثم قال بسنده إلى عطاء قال إذا كان الإمام يجهر فليبادر بقراءة أم القرآن أو ليقرأ بعد ما يسكت فإذا قرأ فلينصت كما قال الله عز وجل.

ثم قال في ٣١ بسنده إلى أبي هريرة قال لا يجزيك إلا أن يدرك الإمام قائماً.

ثم قال في الصفحة نفسها وكانت عائشة تقول ذلك وقال على بن عبد الله إنما أجاز إدراك الركوع من أصحاب النبي ﷺ الذين لم يروا القراءة خلف الإمام منهم ابن مسعود وزيد بن ثابت فأما من رأي القراءة فإن أبا هريرة قال أقرأ بها في نفسك يا فارسي وقال لا تعتد بها حتى تدرك الإمام قائماً.

ثم روى بسنده عن أبي بكرة أنه انتهي إلى النبي ﷺ وهو راكع فركع قبل أني يصل إلى الصف فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال زادك الله حرصا ولا تعد.

ثم قال فليس لأحد أن يعود لما نهي النبي ﷺ عنه وليس في جوابه أنه اعتد بالركوع عن القيام، والقيام فرض في الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ وقال: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾، وقال النبي ﷺ ، صل قائماً فإن لم تستطع فقاعدا.

ثم قال في ص٣٥ فإن احتج فقال: قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَمِعُواْ﴾ فليس لأحد أن يقرأ خلف الإمام ونفي سكتات الإمام قيل له ذكر عن ابن عباس وسعيد بن جبير أن هذا في الصلاة إذا خطب الإمام يوم الجمعة وقد قال النبي ﷺ لا صلاة إلا بقراءة ونهي عن الكلام وقال إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب فقد لغوت ثم أمر من جاء والإمام يخطب أن يصلي ركعتين ولذلك لم يخطئ أن يقرأ فاتحة الكتاب ثم أمر النبي ﷺ وهو يخطب سليكا الغطفاني حين جاء أن يصلي ركعتين وقد قال إذا جاء أحدكم والإمام يخطب فليصل ركعتين وقد فعل ذلك الحسن والإمام يخطب.

ثم قال في ص٣٧ قال البخاري وقال عدة من أهل العلم أن كل مأموم يقضي فرض نفسه والقيام والقراءة والركوع والسجود عندهم فرض فلا يسقط الركوع والسجود عن المأموم وكذلك القراءة فرض فلا يزول فرض عن أحد إلا بكتاب أو سنة وقال أبو قتادة وأنس وأبو هريرة عن النبي ﷺ إذا أتيتم الصلاة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا. فمن فاته فرض القراءة والقيام فعليه إتمامه كما أمر النبي ﷺ.

ثم روى البخاري حديث أبي هريرة تارة بلفظ «ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا» وتارة بلفظ ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاقضوا، من ستة وعشرين طريقا، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ومراد بذلك أن الركعة مؤلفة من قيام وقراءة الفاتحة وركوع واعتدال بعد الركوع وسجدتين وجلوس بينهما وهذه كلها أركان من فاته شيء منها فاتته الركعة ووجب عليه إعادتها.

ثم قال في ٤٤ إن اعتل معتل فقال إنما قال النبي ﷺ لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب ولم يقل في كل ركعة قيل له قد بين حين قال اقرأ ثم أركع ثم ارفع ثم اسجد ثم ارفع فإنك إن أتممت صلاتك على هذا فقد تمت وإلا كان ما تنقصه من صلاتك فبين له النبي ﷺ في كل ركعة قراءة وركوع وسجود وأمره أن يتم صلاته على ما بين له في الركعة الأولى وهذا حديث مفسر للصلاة كلها لا ركعة دون ركعة.

وقال أبو قتادة: كان النبي ﷺ يقرأ في الأربع كلها.

ثم قال البخاري في ص ٤٨: مع أن الأصول في هذا وغيره عن الرسول ﷺ مستغنية عن مذاهب الناس ثم قال في الصفحة نفسها قال النبي ﷺ من أدرك من الصلاة ركعة فقد أدرك الصلاة ولم يقل من أدرك الركوع أو السجود أو التشهد.

ثم قال في الصفحة نفسها وقال النبي ﷺ: صلاة الليل مثني مثني فإذا أراد أن ينصرف فليوتر بركعة، فالذي لا يدرك القيام والقراءة في الوتر صارت صلاته بغير قراءة وقال النبي ﷺ لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب.

ثم قال في ص ٥٤

باب لا يجهر خلف الإمام بالقراءة

ثم قال بسنده إلى أنس قال أن النبي ﷺ صلى بأصحابه فلما قضى صلاته أقبل عليهم بوجهه فقال أتقرؤون في صلاتكم والإمام يقرأ فسكتوا فقالها ثلاث مرات فقال قائل أو قائلون إنا لنفعل قال: فلا تفعلوا، ليقرأ أحدكم بفاتحة الكتاب في نفسه.

وفي ص٦٠ روى عن أبي هريرة قال إذا أدركت القوم ركوعا لم تعتد بتلك الركعة.

قال محمد تقي الدين: وقد تبين لكل من قرأ هذا الكتاب بإمعان وإنصاف وسلم من التقليد والتعصب أمر أن يتفرغ ثانيهما عن أولهما. فأولهما أن قراءة فاتحة الكتاب ركن في كل ركعة في الفريضة والنافلة لا تتم الصلاة إلا بها والثاني أن من أدرك الإمام راكعاً وفاتته قراءة الفاتحة القيام لها لا يعتد بتلك الركعة والناس صنفان مبصرون ومقلدون فالمبصرون هم الذين يعرفون الأدلة من الكتاب والسنة والمقلدون هم الذين لا يعرفون الأدلة وقال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، فالمبصر إذا قرأ هذا الكتاب وفهمه ثم خالف ما فيه نكله إلى دينه وإيمانه وربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا، والمقلد يجب عليه أن يسأل أهل العلم بالكتاب والسنة لا أهل التقليد ويختار من يثق بدينه فإذا أفتاه يسأله سؤالاً أخر هل هذا الذي أفتيتني به عن الله ورسوله فإذا قال نعم فليعمل به فإن كان المفتي مقصراً فعليه الإثم قال النبي ﷺ من أفتى بغير ثبت أثمه على من أفتاه ولا نقول إن من خالفنا من الصحابة والتابعين

والأئمة المجتهدين صلاتهم باطلة ولا ننتقصه لأنهم مجتهدون والمجتهد دائر بين الأجر والأجرين.

غير أننا نعتقد أن الصواب في هذه المسألة مع من اتبعناهم من الصحابة والتابعين.

أبيات مختارة من نونية الحافظ ابن القيم

يا من يريد نجاته يوم الحساب من الجحيم وموقد النيران

اتبع رسول الله في الأقوال والأعمال لا تخرج عن القرآن

وخذ الصحيحين اللذين هما لعقد الدين والإيمان واسطتان

واقرأهما بعد التجرد من هوى وتعصب وحمية الشيطان

وأجعلهما حكما ولا تحكم على ما فيهما أصلا بقول فلان

وأنصر مقالته كنصرك للذي قلدته من غير ما برهان

قدر رسول الله عندك وحده والقول منه إليك ذو تبيان

ماذا ترى فرضا عليك معينا إن كنت ذا عقل وذا إيمان

عرض الذي قالوا على أقواله أو عكس ذاك فذانك الأمران

قدر مقالات العباد جميعهم عدما وراجع مطلع الإيمان

فالرب رب واحد وكتابه حق وفهم الحق منه دان

ورسوله قد أوضح الحق المبين بغاية الإيضاح والتبيان

ما ثم أوضح من عبارته فلا يحتاج سامعها إلى تبيان

والنصح منه فوق كل نصيحة والعلم مأخوذ عن الرحمن

لا شيء يعدل كل باغ للهدي عن قوله لولا عمي الخذلان

قال محمد تقي الدين: هذا آخر ما يسره الله تعالى في هذا الكتاب المبارك نسأل الله أن ينفعنا به وينفع به خلقاً كثيراً من عباده وكان الفراغ منه قبل الظهر يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ست وتسعين وثلاثمائة وألف من هجرة النبي الأكرم صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

الصبح السافر
في حكم صلاة المسافر



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أوجب على جميع العالمين اتباع رسوله المصطفي، وأصحابه التابعين أهل الصَّفَاء والوَفَاء، وحذرنا من مخالفته، وأوعد أهلها بالفتنة والعذاب الأليم في آخر سورة النور من كتابه الكريم، وصلاته وسلامه على مُحمد وآله ومن قفا نهجه القويم.

أما بعد، فقد التمس مني تلامذتي المقيمون في البلاد الألمانية. أخص منهم الشاب الصالح قُصى شَنْشَل ورفقاءه، من طُلَّاب الهندسة في جامعة (آخن) ومُثني شَنْشل ومن معه من المسلمين في جامعة (شتوتكارت) أن أكتب لهم رسالة يعتمدون عليها في حكم صلاة المسافر. فأجبتهم إلى ما طلبوا. ومن الله استمد الإعانة، وهو حسبي ونعم الوكيل.



الفصل الأول

في حكم صلاة المسافر

اعلم أيدك الله بتوفيقه أن أئمة الإسلام قد اختلفوا في هذه المسألة، أهي رخصة أم عزيمة فالذين قالوا أنها عزيمة، اختلفوا في قصر الرباعية. أهو فرض، أم سنة مندوب إليها، والذين قالوا إن القصر رخصة، اختلفوا أيضاً في وجوب قبول هذه الرخصة وجوازه. وسأنقل لك من كلامهم ما يروي الغليل. ويشفي العليل من غير إطناب ولا تطويل، وعلى الله قصد السبيل.

قال صاحب فتح العلام، شرح بلوغ المرام[٣]: عن عائشة قالت: أول ما فرضت الصلاة ركعتين فأقرت صلاة السفر، وأتمت صلاة الحضر متفق عليه (يعني اتفق علي روايته البخاري ومسلم) وللبخاري، ثم هاجر ففرضت أربعا. وأقرت صلاة السفر على الأول، زاد أحمد إلا المغرب فإنها وتر النهار، وإلا الصبح فإنها تطول فيها القراءة.

قال شارحه: في الحديث دليل على وجوب القصر في السفر لأن فرضت بمعني وجبت ووجوبه مذهب الحنفية وغيرهم وقال الشافعي وأحمد وجماعة. إنه رخصة، والتمام أفضل.

قال مؤلف هذه الرسالة: كيف يكون التمام أفضل ويتركه النبي ﷺ في جميع أسفاره ولا يفعله ولا مرة واحدة ثم قال الشارح: أخرج الطبراني في الصغير من حديث ابن عمر موقوفاً «**صلاة السفر ركعتان نزلتا من السماء فإن شئتم فردوهما**». قال الهيثمي: رجاله موثقون، وهو توقيف لا مسرح فيه للاجتهاد وأخرج عنه أيضا في الكبير برجال الصحيح: صلاة السفر ركعتان، ومن خالف السنة كفر وفي قوله السَّنة دليل على رفعه كما هو معروف.

قال ابن القيم في الهدي النبوي: كان ﷺ يقصر الرباعية فيصليها ركعتين من حين يخرج مسافراً إلى أن يرجع إلى المدينة ولم يثبت عنه أنه أتم الرباعية في السفر البتة. وفي قولها إلا المغرب دلالة على أن شرعيتها في الأصل ثلاث لم تتغير. وقولها أنها وتر النهار أي صلاة النهار كانت شفعاً والمغرب أخرجها[٤] لوقوعها في جزء من النهار فهي وتر لصلاة النهار،

---

(٣) فتح العلام (١/ ١٩٠).

(٤) قوله: أخرجها غير منسجم، ولعل صوابه: آخرها.

كما إنه شرع الوتر لصلاة الليل. والوتر محبوب إلى الله تعالى كما تقدم في الحديث «**إن الله وتر يحب الوتر**». وقولها إلا الصبح تريد أنه لا تغيير في صلاتها وأنها ركعتان حضراً وسفراً. وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب أن تؤتي رخصه كما يكره أن تؤتي معصيته**». رواه أحمد وصححه ابن خزيمة وابن حبان. وفي رواية، «كما يحب أن تؤتي عزائمه». فسرت محبة الله برضاه وكراهيته بخلافها. وعن أنس قال خرجنا مع رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة وكان يصلي ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة. متفق عليه، واللفظ للبخاري. ثم قال الشارح: وفيه دليل على أن نفس خروجه من البلد بنية السفر يقتضي القصر، ولو لم يجاوز من البلد ميلا ولا أقل، وأنه لازال يقصر حتى يدخل البلد، ولو صلي وبيوتها بمرأى منه. قال مؤلف هذه الرسالة: الحديث يدل على أن المسافر يقصر الرباعية من حين خروجه من بلده الذي يستوطنه أي يقيم فيه إقامة غير محدودة حتى يرجع إلى بلده.

وقال القنوجى في شرحه للدرر البهية تأليف الإمام الشوكاني ما نصه: — المتن ممزوج بالشرح — (يجب القصر) لحديث عائشة الثابت في الصحيح فرضت الصلاة ركعتين فزيدت في الحضر وأقرت في السفر فهذا يشعر بأن صلاة السفر باقية على الأصل، فمن أتم فكأنه صلى في الحضر الثنائية أربعاً، والرباعية ثماني عمداً. وثبت أيضا في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**صدقة تصدق الله بها عليكم فأقبلوا صدقته**» وكان النبي ﷺ يقتصر في أسفاره على القصر.

وقال الإمام أبو محمد على بن حزم الأندلسي[٥]: مسألة: ومن خرج عن بيوت مدينته أو قريته. أو موضع سكناه فمشى ميلاً فصاعداً صلى ركعتين ولابد إذا بلغ الميل: فإن مشي أقل من ميل صلى أربعاً. وقال ابن القيم في زاد المعاد[٦]: وكان ﷺ يقصر الرباعية فيصليها ركعتين من حين يخرج مسافراً إلى أن يرجع إلى المدينة. ولم يثبت عنه أنه أتم الرباعية في سفره البتة وأما حديث عائشة: أن النبي ﷺ كان يقصر في السفر ويتم ويفطر ويصوم فلا يصح، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: هو كذب على رسول الله. ومما يؤكد ما تقدم عن ابن حزم من أن المسافر فور انفصاله عن بلده يقصر الصلاة وإن كان يرى بيوت بلده،

---

(٥) المحلي (١/ ٥).

(٦) زاد المعاد (١٠/ ١٢٨).

ما جاء في صحيح البخاري في أبواب التقصير قال: باب يقصر إذا خرج من موضعه. وخرج علي فقصر وهو يرى البيوت. فلما رجع قيل له هذه الكوفة، قال لا حتى ندخلها. قوله: لا حتى ندخلها، أي لا ندع التقصير حتى ندخل الكوفة. وفيه إشارة إلى ما يأتي إن شاء الله في الفصل الثالث من هذه الرسالة، وهو أن المسافر لا يصلي الرباعية إلا ركعتين من حين يخرج من بلده حتى يعود إليه. وأن الإقامة الطارئة في أثناء السفر لا ترفع حكم التقصير وإن كانت طويلة ومقصودة.

وقال ابن حزم[٧]: مسألة: وكون الصلوات المذكورة في السفر ركعتين فرضاً، سواء كان سفر طاعة أو معصية، أو لا طاعة ولا معصية أمناً كان أو خوفاً. فمن أتمها أربعاً عامداً. فإن كان عالماً بأن ذلك لا يجوز بطلت صلاته، وإن كان ساهياً سجد للسهو بعد السلام فقط. ثم قال: وقال أبو حنيفة: قصر الصلاة في كل سفر طاعة أو معصية فرض فإن أتمها فإن لم يقصد بعد الاثنتين مقدار التشهد بطلت صلاته وأعاد أبداً. وعن كعب بن عجرة قال عمر بن الخطاب: «صلاة الأضحى ركعتان، وصلاة الفطر ركعتان، وصلاة الجمعة ركعتان وصلاة المسافر ركعتان، تمام غير قصر على لسان نبيكم ﷺ، وقد خاب من افتري»، رواه النسائي، وابن حزم وغيرهما. وصح عن ابن عمر أنه قال: من صلى أربعا في السفر كمن صلى ركعتين في الحضر. وأخرج ابن حزم بسنده إلى ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلاة السفر ركعتان، من ترك السنة كفر**». هكذا رواه مرفوعاً ورواه هو والطبراني من قول ابن عمر وهو في حكم المرفوع. لأن المراد بالسنة. سنة النبي ﷺ قال ابن حزم[٨] فصح أن الصلاة فرضها الله تعالى ركعتين ثم بلغها في الحضر بعد الهجرة أربعاً، وأقر صلاة السفر على ركعتين. وصح أن صلاة السفر ركعتان بقوله ﷺ فإذا قد صح هذا فهي ركعتان لا يجوز أن يتعدى ذلك، ومن تعدا فلم يصل كما أمر، فلا صلاة له، إذا كان عالما بذلك. ولم يخص ﷺ سفراً من سفر، بل عم فلا يجوز لأحد تخصيص ذلك ولم يجز رد صدقة الله تعالى التي أمر ﷺ بقبولها فيكون من لا يقبلها عاصياً. وأخرج ابن حزم بسنده عن ابن عباس[٩]

---

(٧) المحلي (٤/ ٢٦٤).

(٨) المحلي (٤/ ٢٦٧).

(٩) المحلي (٤/ ٢٧٠).

أنه قال: من صلى في السفر أربعاً كمن صلى في الحضر ركعتين ثم روي ابن حزم عن على بن أبي طالب أنه دعي ليصلي بالناس في مني نيابة عن عثمان لمرضه أربع ركعات فأبي وقال لا أصلى إلا ركعتين صلاة رسول الله ﷺ قال: وروينا عن عمر بن عبد العزيز وقد ذكر له الإتمام في السفر لمن شاء فقال لا، الصلاة في السفر ركعتان حتمان لا يصح غيرهما وروي ابن حزم عن ابن عباس قال: فرض الله الصلاة على لسان نبيكم ﷺ في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة.

الفصل الثاني

في مسافة القصر

قال مؤلف هذه الرسالة: متى انفصل المسافر البدوي عن حيه أي مجموعة الخيام التي يسكنها قومه أو عن قريته وبساتينها المحيطة بها إن كان قروياً وعن مدينته إن كان من سكان المدن، وإن كانت كبيرة كلندن ونيويورك متى أنفصل على نية أن يسير ثلاثة أميال (الميل: اثنا عشر ألف قدم وقيل ألف باع) صلي الرباعية ركعتين حتماً وأفطر في رمضان إن شاء ويسمي ذلك سفراً لغة وشرعاً.

قال ابن قدامة في المغني[١٠] **بعد ما ذكر اختلاف السلف من مسافة القصر:** روى عن جماعة من السلف ما يدل على جواز القصر في أقل من يوم فقال الأوزاعى كان أنس يقصر فيما بينه وبين خمسة فراسخ. وكان قبيصة بن ذؤيب وهانئ بن كلثوم وابن مُحَيْريز يقصرون فيما بين الرملة وبيت المقدس وروي عن على أنه خرج من قصره بالكوفة حتى أتي النخيلة فصلي بها الظهر والعصر ركعتين ثم رجع من يومه فقال: أردت أن أعلمكم سنتكم. وعن جُبَّير بن نُفير قال: خرجت مع شرحبيل بن السمط إلى قرية على رأس سبعة عشر ميلاً أو ثمانية عشر ميلاً فصلى ركعتين فقلت له فقال: رأيت عمر بن الخطاب يصلي بالحُلَيفة ركعتي، وقال إنما فعلت كما رأيت رسول الله ﷺ يفعل، رواه مسلم. ورُوي أن دحية الكلبي خرج من قرية من دمشق مرة إلى قدر ثلاثة أميال في رمضان ثم إنه أفطر وأفطر معه أناس وكره آخرون أن يفطروا فلما رجع إلى قريته قال: والله لقد رأيت اليوم أمراً ما كنت أظن أني أراه أن قوماً رغبوا عن هدي رسول الله ﷺ، يقول ذلك للذين صاموا. رواه أبو داود.

وروى سعيد حدينا هاشم عن أبي هارون العَبْدي عن أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله ﷺ إذا سافر فرسخاً قصر الصلاة. وقال أنس كان رسول الله ﷺ إذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ صلي ركعتن شعبة الشاكّ. رواه مسلم وأبو داود، ثم قال ابن قدامة[١١] ولا أرى لما صار إليه الأئمة حجة لأن أقوال الصحابة متعارضة مختلفة

---

(١٠) المغني (٢/ ٢٥٦).

(١١) المغني (٢/ ٢٥٧).

ولا حجة فيها مع الاختلاف. وقد روي عن ابن عباس وابن عمر خلاف ما احتج به أصحابنا. ثم لو لم يوجد ذلك لم يكن في قولهم حجة مع قول النبي ﷺ وفعله وإذا لم تثبت أقوالهم امتنع المصير إلى التقدير الذي ذكروه لوجهين:

أحدهما: أنه مخالف لسنة النبي ﷺ التي رويناها ولظاهر القرآن لأن ظاهره إباحة القصر لمن ضرب في الأرض لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ وقد سقط شرط الخوف بالخبر المذكور عن يعلي بن أمية فبقي ظاهر الآية متناولاً كل ضَرْب في الأرض. وقول النبي ﷺ «**يمسح المسافر ثلاثة أيام**» جاء لبيان أكثر مدة المسح. فلا يصح الاحتجاج به هاهنا. وعلى أنه يمكنه قطع المسافة القصيرة في ثلاثة أيام. وقد سماه النبي ﷺ سفراً فقال. «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم إلا مع ذي محرم**».

والثاني: أن التقدير بابه التوقيت، فلا يجوز المصير إليه برأي مجرد. سيمَا، وليس له أصل يُرَد إليه ولا نظير يقاس عليه. والحجة مع من أباح القصر لكل مسافر.

وقد اختلف السلف من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين في مسافة القصر اختلافاً كثيراً، أكثره يزيد على مائة وخمسين ١٥٠ ميلاً وأقله ميل واحد. ولا نريد أن نطيل بذكر الأقوال المخالفة لما نختاره. لذلك نقتصر على ذكر الأقوال التي توافق اختيارنا. وقد اختلفت الروايات عن مالك رحمه الله من ثمانية وأربعين ميلاً إلى ثلاثة أميال. قال الإمام ابن حزم[١٢] ناقلاً عن إسماعيل القاضي صاحب المبسوط عن مالك أنه رأي لأهل مكة خاصة أن يَقْصروا الصلاة إذا ساروا إلى منى. وبينها وبين مكة أربعة أميال وروى عنه ابن القاسم أنه قال: فيمن خرج ثلاثة أميال – كالرعاء وغيرهم – فتأول فأفطر في رمضان فلا شيء عليه إلا القضاء فقط. وروي ابن حزم بسنده إلى عاصم قال: خرجت مع عبد الله بن عمر إلى ذات النصب، وهي على ثمانية عشر ميلاً من المدينة فصلي ركعتين وروي أيضاً في الجزء نفسه (ص٧) الخبر المتقدم عن النزَّال ابن سَبْرة أن علياً خرج إلى النخيلة فصلي بها الظهر ركعتين والعصر ركعتين. ثم رجع من يومه وقال أردت أن أعلمكم سنة نبيكم ﷺ. ثم روي عن أنس بن سيرين قال: خرجت مع أنس بن مالك إلى أرضه ببذق سيرين – وهي

---

(١٢) المحلي (٥/ ٥).

على رأس خمسة فراسخ – فصلي بنا العصر في سفينة، وهي تجري بنا في دجلة قاعداً على بساط ركعتين ثم صلي بنا ركعتين ثم سلم.

قال تقي الدين الهلالي مؤلف هذه الرسالة: الفرسخ ثلاثة أميال وقد وجدت في كلام السلف ما يدل على أن الميل ألف وخمسمائة ١٥٠٠ متر لأنهم نصوا على أن المسافة بين جدة ومكة أربعون ميلاً. وهي محصاة الآن ومعلومة فهي ستون كيلومتراً تقطعها السيارة في أقل من ساعة بدون استعجال. وكانت تقطعها الإبل في الزمان الماضي في ليلتين وهي محملة بالحجاج وأثقالهم وكان يقطعها الحمار الفاره في أقل من ليلة يبدأ سيره بعد العشاء فيصبح في مكة. وهذه المسافة من المسافات المنصوص عليها أنها مسافة القصر عند المالكية والشافعية ومن وافقهم كالليث بن سعد وغيره مع أنهم حدوها بثمانية وأربعين ميلاً وليس فيها إلا أربعون ميلا كما علمت. وقال صاحب فتح العلام في شرح بلوغ المرام – وهذا الشرح نسخة من سبل السلام للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني تقريباً – تحت حديث أنس قال: كان رسول الله ﷺ إذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو فراسخ صلي ركعتين رواه مسلم. المراد من قوله إذا خرج إذا كان قصد مسافة هذا القدر لا أن المراد أنه كان إذا أراد سفراً طويلاً فلا يقصر إلا بعد هذه المسافة. وقوله أميال أو فراسخ شك من الراوي وليس التخيير في أصل الحديث. قال الخطابي: شك فيه شعبة. قيل في حد الميل: أن ينظر إلى الشخص في أرض مستوية فلا يدري أهو رجل أو امرأة أو غير ذلك، وقال النووي هو ستة آلاف ذراع والذراع أربعة وعشرون إصبعاً معترضة متعادلة، والإصبع ست شعيرات معترضة متعادلة، وقيل: هو اثنا عشر ألف قدم بقدم الإنسان، وقيل: هو أربعة ألاف ذراع، وقيل: ألف خطوة للجمل، وقيل: ثلاثة ألاف ذراع بالهاشمي، وهو اثنان وثلاثون إصبعاً، وهو الذراع العمري المعمول عليه في صنعاء وبلادها، وأما الفرسخ فهو ثلاثة أميال وهو فارسي معرب. واعلم أنه قد اختلف العلماء في المسافة التي تقصر فيها الصلاة على نحو عشرين قولاً حكاه ابن المنذر فذهبت الظاهرية إلى العمل بهذا الحديث فقالوا مسافة القصر ثلاثة أميال وأجيب عليهم بأنه مشكوك فيه فلا يحتج به على التحديد بالثلاثة الأميال، نعم يحتج به على التحديد بالثلاثة الفراسخ إذ الأميال داخلة فيها فيؤخذ بالأكثر احتياطاً، نعم يصح الاحتجاج للظاهرية بما أخرجه سعيد بن منصور من حديث

أبي سعيد أنه قال كان رسول الله ﷺ إذا سافر فرسخاً يقصر الصلاة، وقد عرفت أن الفرسخ ثلاثة أميال وأقل ما قيل في مسافة القصر ما أخرجه ابن أبي شيبة من حديث ابن عمر موقوفاً أنه كان يقول: إذا خرجت ميلا قصرت الصلاة وإسناده صحيح. وقد روي هذا في البحر عن داود، ويلحق بهذين القولين قول الباقر والصادق وغيرهما أنه يقصر في مسافة بريد فصاعداً مستدلين بقوله ﷺ في حديث أبي هريرة مرفوعاً «**لا يحل لامرأة تسافر بريدًا إلا ومعها محرم**». أخرجه أبو داود وقالوا: نسمي مسافة البريد سفراً قلت: ولا يخفي أنه لا دليل على أنه لا يسمي أقل من هذه المسافة سفراً، وإنما هذا التحديد للسفر الذي يجب فيه المحرم ولا تلزم بين مسافة القصر وبين مسافة وجوب المحرم لجواز التوسعة في إيجاب المحرم تخفيفاً على العباد وقال ابن القيم[١٣]: ولم يحد ﷺ لأمته مسافة محدودة للقصر والفطر بل أطلق لهم ذلك في مطلق السفر والضرب في الأرض كما أطلق لهم التيمم في كل سفر وأما ما يروي عنه من التحديد باليوم أو يومين أو الثلاثة فلم يصح عنه منها شيء البتة والله أعلم.

وقال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية في الفتاوي في الاختيارات العلمية[١٤]: وتقصر الصلاة في كل ما يسمي سفراً سواء قل أو كثر ولا يقدر حدّه وهو مذهب الظاهرية، ونَصَرَه صاحبُ المُغني فيه، وسواء كان مباحاً أو مُحرماً ونصره ابنُ عقيل في موضع، وقاله بعض المتأخرين من أصحاب أحمد والشافعي، وسواء نوي إقامة أكثر من أربعة أيام أو لا. وروي هذا عن جماعة من الصحابة وقرر أبو العباس قاعدة نافعة وهي: ما أطلعه الشارع بعمل، يطلق مُسَمَّاه ووجوده، ولم يَجُزْ تقديره وتحديده بمُدَّة.

قال مؤلف هذه الرسالة: توضيح ذلك أن ما شرعه الله ورسوله مطلقاً لا يجوز تقييده إلا بنص من الوحي صريح لأن التقييد شرع، والشرع خاص بالله تعالى وتبليغه خاص بالنبي ﷺ، وقد أطلق الله ورسوله القصر في صلاة السفر ولم يقيد مسافته ولا نهايته بإقامة طارئة في أثنائه فلا يجوز لأحد أن يقيد ذلك برأيه ولا برأي غيره. قال القنوجي في شرح الدرر البهية للشوكاني ما نصه: وإيجاب القصر على من خرج من بلد قاصراً للسفر

---

(١٣) زاد المعاد (١/ ١٣٣).

(١٤) الاختيارات العلمية (ص ٤٣).

وإن كان دون بريد ووجهه أن الله تعالى قال: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ والضَرْب في الأرض يَصْدُق علي كل ضَرْب لكنه خرج الضَرْب – أي المشي – لغير السفر لما كان يقع منه ﷺ من الخروج إلى بقيع الغرقد ونحوه ولا يقصر، ولم يأت فيه تعيين قَدْر السفر الذي يقصر فيه المسافر شيء، فوجب الرجوع إلى ما يسمي سفراً لغة وشرعاً. ومن خرج من بلده قاصداً إلى محل يُعَدّ في مسيره إليه مسافراً قصر الصلاة، وإن كان ذلك المحل دون البريد، ولم يأت من اعتبر البريد واليوم واليومين والثلاثة وما زاد على ذلك بحجة نيرة. وغاية ما جاءوا به حديث: «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر ثلاثة أيام بغير ذي محرم**». وفي رواية: «**يوما وليلة**»، وفي رواية، بريداً وليس في هذا الحديث ذِكْر القصر ولا هو في سياقه، والاحتجاج به مجرد تخمين.



الفصل الثالث

في الإقامة الطارئة على المسافر أثناء سفره

اعلم – وفقك الله – أن الإقامة تطلق ويراد بها الاستيطان غير المحدود. قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ﴾ وقالت العرب: منا ظعن ومنا أقام، أي بعضنا سافر وبعضنا لم يسافر. فالإقامة غير المحدودة والاستيطان معناهما واحد وتطلق الإقامة على الفَتْرة التي تعرض للمسافر أثناء سفره للاستراحة أو لإصلاح آلة يتوقف عليها سفره في البر والبحر، كإصلاح سفينة مثلاً في الزمان الماضي. وإصلاحها وإصلاح سيارة وطائرة وغيرهما في الزمان الحاضر، وهذه الإقامة الطارئة المؤقتة المحدودة لا ترفع عن المسافر اسم السفر ولا تقطع حكمه، سواء أكانت ساعة، أم ساعات، أم شهورًا، أم سنين حتى ينوي الاستيطان غير المحدود كما نواه في وطنه الأصلي. وقد اختلف أهل العلم في مثل هذه الإقامة، فمنهم من جعلها مساوية للاستيطان قسيمة للسفر، سواء أكانت قليلة أم كثيرة، ومنهم من حدها بثلاثة أيام يجري على المسافر فيها حكم السفر فيقصر الصلاة ويفطر إن شاء. فإن زاد على ذلك صلى أربعاً وارتفع عنه حكم السفر، ومنهم من حدها بأربعة أيام ومنهم من حدها باثني عشر يوما، ومنهم من حدها بخمسة عشر يوماً، ومنهم من حدّها بتسعة عشر يوما، ومنهم من حدّها بعشرين يوماً، ومنهم من لم يحدها وهو الصواب، وسترى برهانه.

قال ابن قدامة في المغني[١٥]: وعن الحسن عن عبد الرحمن بن سَمُرَة قال: أقمت معه سنين بكابل يقصر الصلاة، وفي ص٢٩٢: قال نافع: أقام ابن عمر بأذربيجان ستة أشهر يصلي ركعتين. وعن حفص بن عبد الله: أن أنس بن مالك أقام بالشام سنين يصلي صلاة المسافر. وقال أنس: أقام أصحاب رسول الله ﷺ برَامَهُرْمُز سبعة أشهر يقصرون الصلاة. وقال إبراهيم كانوا يقيمون بالرَيّ السنة وأكثر من ذلك وبسَجِسْتَان السنتين لا يُجَمَّعُون ولا يصومون. **قال تقي الدين الهلالي**: قوله: لا يُجَمِّعُون أي لا يصلون الجمعة.

---

(١٥) المغني (٢/ ٣٣٨).

وفي المحلي لابن حزم[١٦]: وعن مَعْمَر عن الأعمش عن أبي وائل قال: كنا مع مسروق بالسلسلة سنتين وهو عامل عليها فصلي بنا ركعتين ركعتين حتى انصرف. وعن وكيع عن شعبة عن أبي التَّياح الضبُّعي عن أبي المنْهال العَنَزَى، قلت لابن عباس إني أقيم بالمدينة حولاً لا أشد على سير، قال صلي ركعتين. قال ابن حزم بعد ذكر الأثرين: الوالي لا ينوي رحيلاً قبل خمس عشرة ليلة بلا شك. وذكر ابن حزم الأثر المتقدم عن ابن عمر أنه أقام بأذربيجان ستة أشهر يصلي ركعتين ارتجّ عليه الثلج، ثم قال: ومن ارتجّ عليه الثلج فقد أيقن أنه لا يَنْحلّ إلى أول الصيف، قال ابن حزم وقد أمر ابن عباس من أخبره أنه مقيم سنة لا ينوي سيراً بالقَصْر.

وفي نيل الأوطار[١٧] **وعن ثُمَامة بن شَرَاحِيل قال:** خرجت إلى ابن عمر فقلت ما صلاة المسافر؟ فقال: ركعتين ركعتين إلا صلاة المغرب ثلاثاً. قلت أرأيت إن كنا بذي المَجَاز؟ قال: وما ذي المَجَاز؟ قلت مكان نجتمعُ فيه ونبيعُ فيه ونمكث فيه عشرين ليلة أو خمس عشرة ليلة، فقال يا أيها الرجل كنت بأذربيجان، لا أدري قال أربعة أشهر أو شهرين، فرأيتهم يصلون ركعتين ركعتين. رواه أحمد في مسنده. وقد تقدمت رواية هذا الخبر، أن المدة كانت ستة أشهر بلا شك.

وقوله: رأيتهم يصلون، يعني المجاهدين من أصحاب رسول الله ﷺ. وذلك يدلنا على أن ذلك الجيش كان كله متفقاً على صلاة ركعتين في تلك المدة كلها ولم يكن بينهم خلاف. وفي نيل الأوطار ص ٢٢٤ أخرج البيهقي عن ابن عباس أن النبي ﷺ، أقام بحُنَيْن أربعين يوماً يقصر الصلاة.

قال مؤلف هذه الرسالة: ليس مع المحددين للإقامة التي تبطل حكم السفر دليل صحيح صريح، وأدلتهم بعضها لا يدل على مرادهم أصلاً ولا علاقة بينه وبينه كالذين احتجوا على أن المسافر إذا نوي إقامة ثلاثة أيام قصر الصلاة. وإذا نوي إقامة أكثر منها صلي أربعاً، احتجوا، بأن النبي ﷺ نهي المهاجرين أن يقيموا بمكة وهي دار هجرتهم، أكثر من ثلاثة أيام، وإنما نهاهم عن ذلك، لأنهم تركوا وطنهم لله فلا ينبغي لهم أن يعودوا إليه لئلا يحرموا

---

(١٦) المحلي (٥/ ٢٨).

(١٧) نيل الأوطار (٣/ ٢٢٢).

من أجر الهجرة وفضلها، كما قال النبي ﷺ: «**لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار**»، أي: لولا أني احتسب ثواب هجرتي عند ربي لتخليت عن كوني من مكة وصرت من أهل المدينة، ولكني احتسب ثواب تركي لوطني الأصلي عند الله. فأي علاقة لذلك الحديث بتحديد الإقامة، وأما الذين حدودها بأربعة أيام فاحتجوا بأن النبي ﷺ أقام في حجة الوداع بمكة ونواحيها عشرة أيام وكانت إقامته بمكة نفسها أربعة أيام ومن أين لهم أنه لو أقام أكثر من ذلك صلي أربعاً. وقد أقام النبي ﷺ بمكة عام الفتح تسعة عشر يوماً على أصح الروايات، فبطل تحديدهم بأربعة أيام. وأجابوا عن ذلك بأنه كان متردداً، يقول غداً أسافر، غداً أسافر، ولم نرهم جاءوا بدليل على ذلك ولو كان ما ذكروه صحيحاً لما بقي أولئك الصحابة كأنس وعبد الرحمن بن سَمُرة سنين يصلون ركعتين ركعتين. والصحابة الذين كانوا مع أنس في رَامَهُرْمُز سبعة أشهر، والصحابة الذين كانوا مع عبد الله بن عمر في أذربيجان ستة أشهر فكل هؤلاء أو جُلّهم كانوا مع النبي ﷺ في مكة عام الفتح وفي حجة الوداع وفي تبوك، ولم يفهموا من تلك الإقامة تحديداً، وإنما حملوها على المصادفة، وأيقنوا أن النبي ﷺ لو زاد على ذلك لاستمر يصلي ركعتين، لأنهم يعلمون أن صلاة السفر ركعتان نزلتا من السماء، وأن صلاة المسافر فرضت ركعتين في أول الأمر وبقيت كذلك إلى أن توفي رسول الله ﷺ. وما دام المسافر لم يستوطن بلداً بأن ينوي الإقامة غير المحدودة فيه أو يعود إلى وطنه، فهو مسافر وصلاته ركعتان إلا المغرب ويقال لمن حدد الإقامة نستزيدكم صلاة واحدة بعد ما حددتموه، فإن أبوا قلنا لهم بأي دليل فرقتم بين خمسة عشرة صلاة وبين ست عشرة صلاة إن كانوا من القائلين بثلاثة أيام، وإن كانوا من القائلين بأربعة أيام نقول لهم بأي دليل فرقتم بين عشرين صلاة وإحدى وعشرين صلاة، وإن كانوا من القائلين بخمسة عشر يوماً كالحنفية، قلنا لهم بأي دليل فرقتم بين خمس وسبعين صلاة وست وسبعين صلاة، وهكذا يقال للقائلين بتسعة عشر يوما، وللقائلين بعشرين يوما، وهيهات أن يجدوا على ذلك دليلا، وإن قبلوا زيادة صلاة واحدة استزدناهم صلاة أخرى، ثم لا نزال نستزيدهم حتى يقفوا ويمتنعوا وحينئذ نطالبهم بالدليل الذي أوجب عليهم الفرق بين ما قبلوه وما امتنعوا من قبوله، وبالله التوفيق.



الفصل الرابع

اقتداء المقيم بالمسافر وعكسه

قال ابن حزم في المحلي[١٨]: مسألة: - فإن صلى مسافر بصلاة مقيم قصر ولابد، وإن صلي مقيم بصلاة مسافر أتم ولابد، وكل أحد يصلي لنفسه، وإمامة كل واحد منهما للآخر جائزة ولا فرق.

روينا من طريق عبد الرازق عن سعيد بن السائب عن داود بن أبي عاصم قال: سألت ابن عمر عن الصلاة في السفر، فقال: ركعتان، قلت: كيف ترى ونحن هاهنا بمني؟ قال: ويحك سمعت برسول الله ﷺ وآمنت به؟ قلت نعم، قال فإنه كان يصلي ركعتين، فصل ركعتين إن شئت أو دَعْ، وهذا بيان جلي بأمر ابن عمر المسافر أن يصلي خلف المقيم ركعتين فقط.

ومن طريق شعبة عن المغيرة بن مقسم عن عبد الرحمن بن تميم بن حذلم قال: كان أبي إذا أدرك من صلاة المقيم ركعة وهو مسافر صلي إليها أخرى، وإذا أدرك ركعتين اجتزأ بهما.

قال علي: تميم بن حذلم من كبار أصحاب ابن مسعود ﷺ، وعن شعبة عن مطر بن فيل عن الشعبي قال إذا كان مسافراً فأدرك من صلاة المقيم ركعتين اعتد بهما.

وعن شعبة عن سليمان التيمي قال: سمعت طاووساً وسألته عن مسافر أدرك من صلاة المقيمين ركعتين، قال تجزيانه، قال علي: برهان صحة قولنا ما قد صح عن رسول الله ﷺ من أن الله تعالى فرض على لسانه ﷺ صلاة الحضر أربعاً وصلاة السفر ركعتين.

حدثنا عبد الله بن ربيع حدثنا محمد بن معاوية حدثنا أحمد بن شعيب حدثنا عَبْدة بن عبد الرحيم عن محمد بن شعيب أنبأنا الأوزاعي عن يحيى، هو ابن أبي كثير، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف حدثني عمرو بن أمية أن رسول الله ﷺ قال له: «**إن الله وضع عن المسافر الصيام ونصف الصلاة**»، ولم يخص ﷺ مأموماً من إمام من منفرد ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ﴾.

---

(١٨) المحلي (٥/ ٣١).

قال علي: والعجب من المالكين، والشافعين، والحنفيين القائلين: بأن المقيم خلف المسافر يتم ولا ينتقل إلى حكم إمامه في الإتمام، وهم يدّعون أنهم أصحاب قياس بزعمهم ولو صح قياس في العالم لكان هذا أصح قياس يوجد، ولكن هذا مما تركوا فيه القرآن والسنن والقياس. وما وجدت لهم حجة. إلا أن بعضهم قال: إن المسافر إذا نوي في صلاته الإقامة لزمه إتمامها، والمقيم إذا نوي في صلاته السفر لم يقصرها قال: فإذا خرج بنيته إلى الإتمام فأحرى أن يخرج إلى الإتمام بحكم إمامه. قال علي: وهذا قياس في غاية الفساد، لأنه لا نسبة ولا شَبَه بين صرف النية من سفر إلى إقامة وبين الإتمام بإمام مقيم. بل التشبيه بينهما هوس ظاهر. واحتج بعضهم بقول النبي ﷺ: «**إنما جعل الإمام ليؤتم به**»، فقلنا لهم فقولوا المقيم خلف المسافر أن يأتم به إذن، فقال قائلهم قد جاء: أتموا صلاتكم فإن قومُ سفر. فقلنا لو صح هذا لكان عليكم، لأن فيه أن المسافر لا يتم. ولم يفرق بين مأموم ولا إمام، فالواجب على هذا أن المسافر جملة يُقْصر، والمقيم جملة يُتمّ، ولا يراعي أحد منهما حال إمامه وبالله تعالى التوفيق.

قال مؤلف هذه الرسالة: إذا علم ذلك فلا يجوز لمسافر أن يصلي إلا ركعتين ولو اقتدي بإمام مقيم، فإن شاء انتظر أن سلامه وإن شاء لم ينتظر، بل يتم تشهده بعد قيام الإمام للثالثة ويسلم بنية الانفراد، فإن قلت كيف يسوغ له أن يدخل الصلاة بنية الإقتداء بالإمام ثم ينفصل عنه، **أقول:** لو كانت فريضتهما واحدة بأن كانا مقيمين جاز للمأموم أن ينوي الانفراد وينفصل عن الإمام فيتم صلاته وحده، فكيف إذا كان فرضهما مختلفاً.

برهان ذلك ما ثبت في صحيح البخاري: أن معاذاً كان يصلي العشاء الآخرة خلف النبي ﷺ ثم يصليها في مسجد قومه إماماً، فصلي بهم ذات ليلة فقرأ بسورة البقرة فاستعجل أحد المؤتمين به فتجوز في صلاته وانصرف. فلما فرغ معاذ من صلاته سأل عن الرجل فقيل له، إنه تجوز في صلاته وانصرف. فقال ذلك منافق، فلما أصبح الرجل سمع ما قال معاذ فيه فذهب إلى النبي ﷺ فأخبره، فلما جاء معاذ إلى النبي ﷺ غضب عليه وقال له، «**أفتَّانٌ أنت يا معاذ، هلاّ قرأت بسبح اسم ربك، والشمس، وضحاها، والليل إذا يغشي**»، وبوّب البخاري لهذا الحديث بقوله: باب الغضب عند الموعظة، ولم يقل النبي ﷺ للرجل الذي نوى الانفراد وخفف صلاته وانصرف أَعدْ صلاتك، بل أقره على ذلك، وإذا جاز ذلك

للمقيم مع الإمام المقيم فجوازه للمسافر أولي.

قال تقي الدين الهلالي: هذا ما أردت جمعه من مسائل صلاة المسافر جواباً على سؤال السيد قُصّي شَنْشَل وقد كتب إلى ابن عمه السيد مُثَنّى شَنْشَل يسألني قائلاً: إن معي جماعة من المسلمين يبلغ عددهم مائة وقد اكْتَرَيْنَا مكاناً لصلاة الجماعة فهل يجوز لنا أن نصلي الجمعة ونحن مسافرون؟ فأردت أن اختم هذه الرسالة بالإجابة عن سؤاله.

قال الإمام ابن حزم[١٩]: مسألة: - وسواء فيما ذكرناه من وجوب الجمعة — المسافر في سفره، والعبد والحر، والمقيم، كل من ذكرنا يكون إماماً فيها، راتباً وغير راتب، ويصليها المسجونون والمختفون ركعتين في جماعة بخطبة كسائر الناس، وتصلي في كل قرية صغرت أم كبرت كان هنالك سلطان أو لم يكن، وإن صليت الجمعة في مسجدين في القرية فصاعداً جاز ذلك. ورأي أبو حنيفة ومالك، والشافعي، أن لا جمعة على عبد ولا مسافر. واحتج لهم من قلدهم في ذلك بآثار واهية لا تصح. أحدها مرسل، والثاني فيه هُرَيْم وهو مجهول، والثالث فيه الحكم بن عَمْرو، وضِرَار بن عَمْرو وهما مجهولان، ولا يحل الاحتجاج بمثل هذا. ولو شئنا لعارضناهم بما رويناه من طريق عبد الرزاق عن ابن جريج قال: (بلغني أن رسول الله ﷺ جمع بأصحابه في سفره، وخطبهم يتوكأ على عصا). ولكننا ولله الحمد في غني بالصحيح عما لا يصح، واحتجوا بأن رسول الله ﷺ لم يجهر في صلاة الظهر بعرفة وكان يوم جمعة، قال علي: وهذه جرأة عظيمة، وما روي أحد قط أنه ﷺ لم يجهر فيها. والقاطع بذلك كاذب على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ قد قَفَا ما لا علم له به، وقد قال عطاء وغيره: إن وافق يوم عرفة يوم جمعة جهر الإمام، قال علي: ولا خلاف في أنه ﷺ خطب وصلي ركعتين. وهذه صفة صلاة الجمعة، وحتى لو صح لهم أنه ﷺ لم يجهر لما كان لهم في ذلك حجة أصلا، لأن الجهر ليس فرضا. ومن أسر في صلاة جهر أو جهر في صلاة سر فصلاته تامة، لما قد ذكرنا قبل. ولجأ بعضهم إلى دعوى الإجماع على ذلك، وهذا مكان هان فيه الكذب على مدَّعِيةِ. ورويناعن أحمد بن حنبل أنه قال: من ادعي الإجماع كذب، ثم روي بسنده إلى أبي هريرة أنهم كتبوا إلى عمر بن الخطاب يسألونه عن الجمعة وهم بالبحرين،

---

(١٩) المحلي (٥/٤٩).

فكتب إليهم، أن جَمِّعُوا حيثما كنتم، وقال وكيع: أنه كتب. ثم روي بسنده عن صالح بن سعد المكي، أنه كان مع عُمر بن عبد العزيز وهو مُتَبَدٍّ بالسويداء. في إمارته على الحجاز فحضرت الجمعة فهيأوا له مجلساً من البَطحَاء، ثم أذن المؤذن بالصلاة، فخرج إليهم عمر بن عبد العزيز، فجلس على ذلك المجلس، ثم أذنوا أذانا آخر، ثم خطبهم، ثم أقيمت الصلاة، فصلي بهم ركعتين وأعلن فيهما بالقراءة ثم قال لهم، إن الإمام يُجَمِّعُ حيثما كان، ومن طريق حماد بن سلمة عن أبي مكين عن عكرمة قال: إذا كانوا سبعة في سفر فجمعوا، يحمد الله ويثني عليه ويخطب في الجمعة والأضحى والفطر.

قال مؤلف هذه الرسالة محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي الحسيني: هذا ما أردت جمعه في هذه الرسالة ولم أرد تطويلها بكثرة النقول التي يمكن الاستغناء عنها عملاً بالمثل حسبك من السوار ما أحاط بالمعصم، لأن نشر مثل هذه الكتب يرغب عنه تجار الكتب، ولا يرغب فيه إلا الغرباء، المتمسكون بدين الحق وهم قليل، وإطالة الكتاب تقتضي كثرة النفقة. وأسأل الله أن ينفع بها من قرأها. وعمل بها أو سعي في نشرها، وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وكان الفراغ من تبيضها ظهر يوم الأحد لإحدى وعشرين ليلة ٢١ خلون من جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة وألف ١٣٨٢ من هجرة النبي الأكرم ﷺ بالمنزه من مدينة مكناس، صانها الله من كل ضر وباس.

الفجر الصادق
وامتيازه عن الفجر الكاذب



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل السعادة في الدنيا والآخرة خاصة لمن اتبع صراطه المستقيم متمسكاً بكتابه وسنة نبيه الكريم، اللهم صلِّ عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين، واجعلنا منهم يا رب العالمين.

أما بعد فيقول أفقر العباد إلى رحمة الكبير المُتعال محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي:

قضيت شبابي وكهولتي وبعض شيخوختي في الشرق ولما رجعت إلى المغرب بسبب الفتنة التي صارت في العراق سنة (١٣٧٩هـ) اكتشفت بما لا مزيد عليه من البحث والتحقيق والمشاهدة المتكررة من صحاح البصر وأنا معه لأني كنت في ذلك الوقت أبصر الفجر بدون التباس أن التوقيت المغربي لأذان الصبح لا يتفق مع التوقيت الشرعي، وذلك أن المؤذن يؤذن قبل تبين الفجر تبينا شرعياً، فأذانه في ذلك الوقت لا يحل صلاة الصبح ولا يحرم طعاماً على الصائم، وصرت أفتي بذلك وأعمل به إلى يومنا هذا، وفى رمضان من هذه السنة (١٣٩٤ هـ) حدث تشويش عند إخواننا، وسببه أن بعض الإخوان من أهل الوعظ والإرشاد زار المغرب في رمضان، فزعم قوم ممن رافقوه أنه شاهد الفجر الشرعي مطابقاً للتوقيت المغربي، وحدثني الثقة عنه أنه وجد بين الفجر الشرعي المشاهد بالعيان وبين التوقيت المغربي وكان في الفضاء خارج المدينة (١٣) دقيقة أو (١٥) دقيقة شك هو نفسه، فهذا الخبر متناقض من شخص واحد، فإن كان ما حدثوا به صحيحاً من مطابقة تبين الفجر الشرعي التوقيت المغربي فهو خطأ عند كل من يعرف الفجر الشرعي وله بصر يبصر به، ولا يخفى أن أهل البلاد التي يكثر فيها الغيم والضباب لا يعرفون الفجر وكذلك لم يعنوا به من أهل الصحراء، ومن أراد معرفة الفجر الشرعي فلابد من له من أمرين، أحدهما أن يدرس الأحاديث النبوية التي تفرق بين الفجر الكاذب والفجر الصادق، وأقوال الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، الثاني: أن يكون ممن اعتاد رؤية الفجر لكونه مؤذنا أو لكثرة أسفاره في البراري. ولبيان الأمر الأول، أشرع في تأليف هذا الكتاب وأسميه بيان الفجر الصادق وامتيازه عن الفجر الكاذب، وذلك يظهر في شواهد:

الأول: تفسير قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ فسر هذه الآية ابن كثير رحمه الله بأحاديث:

الأول:

ورد في الصحيحين من حديث القاسم عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يسمعنكم أذان بلال من سحوركم فإنه ينادى بليل فكلوا واشربوا حتى أذان ابن أم مكتوم فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر » (لفظ البخاري).

نفهم من هذا الحديث وغيره مما في معناه أن النبي ﷺ كان له في رمضان مؤذنان أحدهما بصير وهو بلال والآخر أعمى وهو ابن أم مكتوم، فجعل النبي ﷺ المؤذن البصير الذي ينبه الناس على قرب الصباح يؤذن بليل أي قبل طلوع الفجر، وجعل المؤذن الأعمى يؤذن بعدما يطلع الفجر، فما مقصوده ﷺ بذلك؟ لو فكرنا بعقولنا الناقصة لظهر لنا أن المؤذن البصير وهو بلال، أولى بالأذان الأخير وأحق به من المؤذن الأعمى ليتحرى طلوع الفجر ببصره وعند أول بصيص من نور الفجر يؤذن حتى يمتنع الناس من الأكل والشرب عن أول طلوع الفجر، ويكون المؤذن الأعمى هو الذي يؤذن بليل ليعلم الناس أن الصبح قريب، ولكنه عليه الصلاة والسلام عكس فجعل الأعمى هو الذي يؤذن الأذان الذي يحرم به الطعام والشراب وتحل به الصلاة، إذا أراد بذلك التوسيع على أمته ولا شك، ولا يريد التضييق، فمن ضيق ما وسعه الله ورسوله فقد أخطأ وقوله تعالى::﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ﴾ . مطابق للحديث فإنه لم يقل حتى يطلع الفجر بل قال حتى يتبين لكم أيها الناس، أي لجميع الناس بحيث لا يشك فيه أحد وسيأتي ما يوضح هذا إن شاء الله.

وفي رواية البخاري ومسلم: «فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم، وكان رجلاً أعمى لا يؤذن حتى يقال له أصبحت، أصبحت». فأفهم هذا المعنى إن كنت من أهله.

الحديث الثاني:

ثم قال ابن كثير، وقال الإمام أحمد وذكر سنده عن قيس بن طلق عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الفجر المستطيل في الأفق ولكن المعترض الأحمر». ورواه الترمذي

ولفظه: «كلوا واشربوا ولا يهيدنكم الساطع المصعد فكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الأحمر». ثم ذكر ابن كثير روايات ابن جرير إمام المفسرين، لهذا الحديث.

الرواية الأولى: عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يغرنكم نداء بلال وهذا البياض، حتى ينفجر الفجر أو يطلع الفجر».

الرواية الثانية: عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يغرنكم أذان بلال ولا هذا البياض العمود الصبح حتى يستطير».

الرواية الثالثة: رواه مسلم في صحيحه باللفظ الذي رواه به ابن جرير.

الرواية الرابعة لابن جرير أيضا: عن محمد بن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «الفجر فجران فالذي كأنه ذنب السرحان لا يحرم شيئاً، وإنما المستطير الذي يأخذ الأفق، فإنه يحل الصلاة ويحرم الطعام » وهذا مرسل جيد.

قال محمد تقي الدين: ذنب السرحان معناه ذنب الذئب لأنه يرفعه فيصير صاعداً إلى فوق، فشبه الفجر الكاذب به.

رواه عبد الرزاق بسنده عن ابن عباس قال: « هما فجران فأما الذي يسطع في السماء فليس يحل ولا يحرم شيئاً، ولكن الفجر الذي يستنير على رؤوس الجبال هو الذي يحرم الشراب »، وقال عطاء: «فأما إذا سطع سطوعاً في السماء، وسطوعه أن يذهب في السماء طولا فإنه لا يحرم به شراب للصائم، ولا تحل به صلاة ولا يفوت به الحج ولكن إذا انتشر على رؤوس الجبال حرم الشراب للصيام وفوات الحج »، وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس وعطاء وهكذا روي عن غير واحد من السلف رحمهم الله. معنى فوات الحج أن الحاج إذا فاته الوقوف بعرفة نهاراً يوم التاسع من ذي الحجة، وأدركه قبل طلوع الفجر الصادق الموصوف بهذه الصفات فحجه صحيح فإن وصل إلى عرفة بعد طلوع الفجر الصادق فلا حج له في تلك السنة.

أحاديث جامع الترمذي وشرحه

لشيخنا عبد الرحمن المباركفوري رحمه الله

الحديث الأول:

قال الترمذي بسنده إلى زيد بن ثابت: قال: «تسحرنا مع رسول الله ﷺ ثم قمنا إلى الصلاة قال: قلت كم كان قدر ذلك، قال: قدر خمسين آية ».

قال محمد تقي الدين الهلالي: أخبرنا العالم السلفي أبو على الحبيب بن على العلوي أنه قرأ خمسين آية في دقيقتين فيكون على هذا بين سحور النبي ﷺ وبين صلاة الصبح دقيقتان فقط وهب أنها خمس دقائق فالجاهلون بالسنة يحكمون على من فرغ من أكله قبل صلاة الصبح بخمس دقائق أن صيامه غير صحيح، وستزداد المسألة وضوحاً بعد هذا إن شاء الله.

ثم قال الترمذي وفي الباب عن حذيفة – قال أبو عيسى حديث زيد بن ثابت حديث حسن صحيح، وبه قال الشافعي وأحمد وإسحاق، استحبوا تأخير السحور.

الحديث الثاني:

قال الترمذي بسنده إلى طلق عن على أن رسول الله ﷺ قال: «كلوا واشربوا ولا يهيدنكم الساطع المصعد، وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الأحمر.).

قال محمد تقي الدين الهلالي: علمنا من هذا الحديث أن الفجر الكاذب الذي يتقدم الفجر الصادق، أبيض خالص البياض ومرتفع من الأرض إلى السماء، وهذا لا يحرم طعاماً على صائم ولا يحل صلاة الصبح، والفجر الصادق معترض في الأفق مشرب بالحمرة التي تتقدم طلوع الشمس فهذا هو الذي يحرم الطعام ويحل الصلاة. قال شيخنا في الشرح عند قوله: قدر خمسين آية، أي متوسطة لا طويلة ولا قصيرة وقراءتها تكون متوسطة، لا سريعة ولا بطيئة ونسب ذلك إلى الحافظ.

الحديث الثالث:

قال شيخنا: حديث حذيفة أخرجه الطحاوي في شرح الآثار عن رواية زر بن حبيش قال: «تسحرت ثم انطلقت إلى المسجد فمررت بمنزل حذيفة فدخلت عليه فأمر بلقحة — اللقحة: الناقة الحلوب- فحلبت وبقِدْرٍ فسخنت، ثم قال: كل، قلت إني أريد الصوم، قال: وأنا أريد الصوم، فأكلنا ثم شربنا ثم أتينا المسجد فأقيمت الصلاة، قال: هكذا فعل بى النبي ﷺ أو صنعت مع رسول الله ﷺ، قلت: بعد الصبح ؟ قال: بعد الصبح غير أن الشمس لم تطلع »، وأخرجه النسائي وأحمد.

قال محمد تقي الدين الهلالي: نقول للقاصرين والمقصرين ماذا في صيام النبي ﷺ وصيام حذيفة وزر بن حبيش، هل كان صحيحاً أو باطلاً ؟ فإن قلتم كان صحيحاً تبين لكم فساد ما ظننتموه من وجوب القضاء على من أكل بعد الصفارة المغربية، مع أنها تصفر بليل قبل طلوع الفجر الكاذب والصادق، ثم قال: وذهب معمر، وسليمان الأعمش، وأبو مجلز، والحكم بن عتبة إلى جواز التسحر ما لم تطلع الشمس واحتجوا في ذلك بحديث حذيفة الذي أشار إليه الترمذي، وعن ابن جريج قلت لعطاء: أيكره أن أشرب وأنا في البيت لا أدرى لعلى أصبحت ؟ قال: لا بأس بذلك، هو الشك. وقال ابن ابي شيبة حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم، قال: لم يكونوا يعدون الفجر فجركم، إنما كانوا يعدون الفجر الذي يملأ البيوت والطرق.

وعن معمر أنه كان يؤخر السحور جداً حتى يقول الجاهل لا صوم له. وروى سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر من طرق عن أبي بكر أنه أمر بغلق الباب حتى لا يرى الفجر. وروى ابن المنذر بإسناد صحيح عن علي ﷺ أنه صلى الصبح ثم قال: «الآن حين يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود ». وقال ابن المنذر: ذهب بعضهم إلى أن المراد بتبين بياض النهار من سواد الليل أن ينتشر البياض في الطرق والسكك والبيوت. وروى بإسناد صحيح عن سالم بن عبيد الأشجعي وله صحبة أن أبا بكر ﷺ قال له: «أحرج فانظر هل طلع الفجر، قال: فنظرت ثم أتيته فقلت: قد إبيض وسطع، ثم قال اخرج فانظر هل طلع الفجر فنظرت قلت: قد اعترض فقال: الآن ابلغني شرابي. وروى من طريق وكيع

عن الأعمش أنه قال: لولا الشهرة لصليت الغداة ثم تسحرت. كذا في عمدة القاري وفتح الباري. وقال الحافظ ابن حزم في المحلى: ولا يلزم في رمضان ولا في غيره إلا بتبين طلوع الفجر الثاني وأما ما لم يتبين فالأكل والشراب والجماع مباح كل ذلك كان على شك من طلوع الفجر أو على يقين من أنه لم يطلع، ثم ذكر آية البقرة المتقدم ذكرها، وقال بعدها ما نصه: أنه تعالى أباح الوطء والأكل والشراب إلى أن يتبين لنا الفجر ولم يقل تعالى حتى يطلع الفجر ولا قال حتى تشكوا في الفجر فلا يحل لأحد أن يقوله ولا يوجب صوماً بطلوع ما لم يتبين للمرء، ثم قال أبو محمد: فقد صح أن الأكل صباح بعد طلوع الفجر ما لم يتبين لمريد الصوم طلوعه، ثم قال بسنده إلى زر بن حبيش: قلت لحذيفة: "أي وقت تسحرتم مع النبي ﷺ ؟ قال: هو النهار: إلا أن الشمس لم تطلع».

وروى بسنده إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سمع أحدكم النداء والإناء على يده فلا يضعه حتى يقضى حاجته منه »، ثم قال ابن حزم بسنده إلى أبي بكر الصديق أنه قال: «إذا نظر الرجلان إلى الفجر فشك أحدهما فليأكلا حتى يتبين لهما». وروى بسنده إلى سالم بن عبيد قال: كان أبو بكر يقول لى: «قم بينى وبين الفجر حتى نتسحر » سالم بن عبيد هذا أشجعي كوفي من أصحاب رسول الله ﷺ وهذه أصح طريق يمكن أن تكون. ثم روى بسنده عن أبي قلابة أن ابا بكر الصديق كان يقول: «أجفوا الباب حتى نتسحر». ثم روى من طريق حماد بن سلمة عن أبي هريرة أنه سمع النداء والإناء على يده فقال: « أحرزتها ورب الكعبة». ثم روى من طريق ابن جرير عن ابن عباس قال: « أحل الله الشراب ما شككت، يعنى في الفجر » ثم روى عن عكرمة قال: قال ابن عباس: « أشك لعمر الله اسقني، فشرب». ثم روى بسنده عن مكحول الأزدي قال: رأيت ابن عمر أخذ دلواً من زمزم فقال لرجلين: «أطلع الفجر ؟ قال أحدهما قد طلع، فقال الآخر: لا، فشرب ابن عمر». وروى بسنده عن حبان بن الحارث أنه تسحر مع على بن أبي طالب وهما يريدان الصيام فلما فرغ قال للمؤذن أقم الصلاة. وروى بسنده من طريق ابن أبي شيبة عن عامر بن مطر قال: «أتيت عبد الله بن مسعود في داره فأخرج لنا فضل سحوره فتسحرنا معه فأقيمت الصلاة، فخرجنا فصلينا معه ». وعن خبيب بن عبد الرحمن قال: سمعت عمتي وكانت قد صحبت النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ يقول: «إن ابن أم مكتوم ينادى بليل

فكلوا واشربوا حتى ينادى بلال، وأن بلال يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى ينادى ابن أم مكتوم، قالت: وكان يصعد هذا وينزل هذا، قالت: فكما نعلق به فنقول كما أنت حتى نتسحر). وعن محمد بن على بن الحسين كل حتى يتبين لك الفجر، وعن الحسن كل ما إمتريت. وعن ابن مجلز: « الساطع ذلك الصبح الكاذب، ولكن إذا انفضح الصبح في الأفق " . وعن إبراهيم النخعي: « المعترض الأحمر يحل الصلاة ويحرم الطعام. وعن ابن جريج قلت لعطاء: «أتكره أن أشرب وأنا في البيت لا أدرى لعلى قد أصبحت، قال: لا بأس بذلك هو شك «. ومن طريق ابن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية عند الأعمش عن مسلم قال: «لم يكونوا يعدون الفجر فجركم، إنما كانوا يعدون الفجر الذي يملأ البيوت والطرق». وعن أبي وائل أنه تسحر وخرج إلى المسجد فأقيمت الصلاة، وعن معمر أنه كان يؤخر السحور جداً حتى يقول الجاهل لا صوم له، قال على وقد ذكرنا في باب: من تسحر فإذا به نهار وهو يظن أنه ليل من لم ير في ذلك قضاء. فهؤلاء أبو بكر وعمر وعلى وابن عمر وابن عباس وأبو هريرة وابن مسعود وحذيفة وعمة خبيب وزيد بن ثابت وسعد بن أبى وقاص فهم أحد عشر من الصحابة لا يعرف لهم مخالف من الصحابة ﷺ ، إلا رواية ضعيفة من طريق مكحول عن ابن سعيد الخدرى ولم يدركه، ومن طريق يحيى الجزاري عن ابن مسعود ولم يدركه، ومن التابعين محمد ابن على وأبو مجلز وإبراهيم ومسلم وأصحاب ابن مسعود وعطاء والحسن والحكم بن عتيبة ومجاهد وعروة بن الزبير وجابر بن زيد.

سنن أبي داود وشرحه:

قال أبو داود: عن عبد الله ابن سوادة القشيرى عن أبيه قال: سمعت سمرة ابن جندب يخطب وهو يقول: قال رسول الله ﷺ: «لا يمنعن من سحوركم أذان بلال ولا بياض الأفق الذي هكذا حتى يستطير» وأخرجه مسلم والنسائي. وقال الخطابي: قوله يستطير معناه يعترض في الأفق وينشر ضوءه هناك.

قال الشاعر:

وهان على سراة بني — حريق بالبويرة مستطير

وروى أبو داود عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يمنعن أحدكم أذان بلال من سحوره فإنه يؤذن، – قال أو ينادي – ليرجع قائمكم وينتبه نائمكم) وليس الفجر أن يقول هكذا، وجمع يحي يعني القطان كفينة حتى يقول هكذا، ومد يحيى بأصبعيه السبابتين. وأخرجه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه.

وروى عن عدي بن حاتم لما نزلت هذه الآية::﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ ﴾ . قال: أخذت عقالا أبيض وعقالاً أسود، فوضعتهما تحت وسادتى فنظرت فلم أتبين، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فضحك، فقال: «إن وسادك إذن لعريض طويل إنما هو الليل والنهار»، وقال عثمان وهو ابن أبي شيبة إنما هو سواد الليل وبياض النهار، وأخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

قال الشيخ شمس الدين ابن القيم رحمه الله: «هذا الحديث أعله ابن القطان بأنه مشكوك في اتصاله، قال: لأن ابن داود قال: أنبأنا عبد الأعلى بن حماد أظنه عن حماد عن محمد بن عمرو عن أبي هريرة فذكره، وقد روى النسائى عن زر قال: قلنا لحذيفة أي ساعة تسحرت مع رسول الله ﷺ قال: « هو النهار إلا أن الشمس لم تطلع». وقد اختلف في هذه المسألة فروى إسحاق بن راهوية عن وكيع أنه سمع الأعمش يقول: «لولا الشهرة لصليت الغداة ثم تسحرت».

ثم ذكر إسحاق عن أبي بكر الصديق عن حذيفة نحو هذا، ثم قال: وهؤلاء لم يرو فرقاً بين الأكل وبين الصلاة المكتوبة، هذا آخر كلام إسحاق. وقد حكى عن ابن مسعود أيضاً. وذهب الجمهور إلى امتناع السحور بطلوع الفجر، وهو قول الأئمة الأربعة وعامة فقهاء الأمصار، وروى معناه عن عمر وابن عباس.

واحتج الأولون بقول النبي ﷺ: «فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم، ولم يكن يؤذن إلا بعد طلوع الفجر»، كذا في البخاري، وفي بعض الروايات » وكان رجلاً أعمى لا يؤذن حتى يقال له أصبحت، أصبحت »، قالوا أن النهار إنما هو من طلوع الشمس.

واحتجوا بقوله تعالى::﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ ، وبقول النبي ﷺ: « كلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم»، وبقوله: « الفجر فجران، فأما الأول فإنه لا يحرم الطعام ولا يحل الصلاة، أما الثاني فإنه يحرم الطعام ويحل الصلاة ». رواه البيهقي في سننه. قالوا: وأما حديث حذيفة فمعلول، وعلته الوقف، وأن زراً هو الذي تسحر مع حذيفة. ذكره النسائي.

قال محمد تقي الدين الهلالي: في هذا نظر ؟! لأن حذيفة قال: هكذا صنعت مع رسول الله ﷺ، وهذا مرفوع وأوسط الأقوال الذي نفتى به ونعمل به أخذاً من هذه الأحاديث كلها: أن الفجر الصادق الذي يحرم الطعام على الصائم ويحل الصلاة هو كما قال النبي ﷺ الفجر الأحمر أي الذى يشوب بياضه حمرة المعترض في الأفق الذي يملأ البيوت والطرقات ولا يختلف فيه احد من الناس، يشترك في معرفته جميع الناس، وأما غير ذلك كالفجر الذي يعنيه الموقت المغربي فإنه باطل لا يحرم طعاماً على الصائم ولا يحل صلاة الصبح، ونحن نتأخر بعده أكثر من نصف ساعة حتى يتبين الفجر الصادق. فهذا الذى ندين الله به والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

ونسأل الله أن يرينا الحق حقا ويعيننا على إتباعه وأن يرينا الباطل باطلاً ويعيننا على اجتنابه، والحمد لله رب العالمين.

وكان الفراغ منه ضحى يوم السبت ٤ شوال سنة ١٣٩٤ هـ من هجرة النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله — انتهى.



مناظرتان
بين سني وشيعيين



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل كل في إتباع كتابه وسنة نبيه. وجعل الشر كله في مخالفتهما. وأوجب على المسلمين محبة آل النبي وأصحابه الكرام.فمن جمع بينهما فهو على صراط مستقيم. ومن فرق بينهما لم يسلك النهج القويم. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله. وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها. وكل بدعة ضلالة.

ويقول محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي الحسيني: إن الناس بعد عصر خلفاء الراشدين رضوان الله عليهم صاروا ثلاث فرق بالنسبة إلى آل النبي ﷺ ، فأهل السنة – جعلنا الله منهم – يجمعون حب النبي ﷺ وحب أصحاب النبي ﷺ ، متبعين في ذلك لكتاب الله وسنة رسوله الكريم ولا يرون أي مانع من الجمع بينهما. والشيعة على اختلاف بين فرقهم ، يرون حب آل النبي ﷺ لا يجتمع مع حب أصحاب النبي ﷺ كلهم فينتقصون الصحابة حتى الخلفاء الراشدين والعشرة المبشرين بالجنة ، وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان ، وهم مختلفون في هذا التنقص. فالزيديون – وهم من سكان اليمن – ينتسبون إلى زيد بن على الحسين بن على وفاطمة عليهم السلام. ويثبتون خلافة الخلفاء الأربعة مع اعتقادهم أن علياً هو أفضلهم ، ويعتقدون أن مذهب زيد وأبيه وجده.

والإمامية الاثنا عشرية يرون ويعتقدون أن حب آل النبي ﷺ لا يجتمع مع حب الخلفاء الراشدين الثلاثة ، أبى بكر وعمر وعثمان وأكثر الصحابة. يدعون أن من أحبهم فقد أبغض آل النبي ﷺ. والفرقة الثالثة هم الخوارج على علي ؓ ، ينتقصون علياً وآل بيت النبي ﷺ. والذي ندين الله به ونعتقد أنه الحق الذي لا شك فيه هو الجمع بينهما. ونحن لا ننكر لفظ التشيع لعلى ؓ ، ولا معناه. لأن الحق مع على ، وكل من خالفه فهو مخطئ ويتفاوت خطأ المخالفين له. والدليل على أن التشيع لآل بيت النبي ﷺ حق – إذا خلا من الغلو – قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ۝ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ قال ابن كثير رحمه الله: «من شيعته، أي نوح المذكور سابقاً يقول مـ[illegible] دينه . وقال مجاهد على منهاجه وسنته. أى إبراهيم

على منهاج نوح وسنته» ودين الأنبياء واحد وإن اختلفت شرائعهم. لأن الشرائع التي قبل محمد ﷺ كانت مؤقتة. وشريعة محمد ﷺ نسختها كلها وهى باقية إلى قيام الساعة، إلى أن تهب ريح تأخذ أرواح المؤمنين جميعاً قبل قيام الساعة بقليل كما ثبت في الحديث فالأنبياء متفقون في توحيد الله تعالى ، في ربوبيته وعبادته ، وفى ذاته وأسمائه وصفاته ، وفى إقامة العدل بين الناس، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ورحمة الضعيف إلى غير ذلك.

قال تعالى في سورة الشورى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾.

والدلائل على أن الحق هو الجمع بين حب آل النبي ﷺ وأصحابه كثيرة ، منها قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

وقوله تعالى في سورة الحشر بعد ذكر المهاجرين والأنصار: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

أقتصر على هذين البرهانين من القرآن الكريم ، وأذكر برهانين من الحديث الشريف، أولهما: ما رواه مسلم وغيره عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربى فأجيب. وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»** ، فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: **«أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي...** الحديث».

وثانيهما: عن العرباض بن سارية ﷺ قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع ، فأوصنا قال: **«أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد. وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور. فإن كل بدعة ضلالة»** رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجة، وابن حبان في صحيحة. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وهذا أوان الشروع في المقصود بعون الملك المعبود.

المناظرة الأولى

مناظرة بين المؤلف وبين مجتهد الشيعة في المحمرة

لما استقررت في الدورة، أدرت أن أجتمع مع بعض علماء الشيعة بعدها قرأت شيئا من كتبهم ووجدت فيها عجائب وغرائب. فاتفقت مع أحد الفلاحين وهو الحاج غلام حسين، ومعنى غلام حسين عبد الحسين ، والشيعة يسمون عبد على ، وكلب على ، وعبد الزهراء ، وعبد الأمير ، وأمثال ذلك من الأسماء الشركية ومن اغرب ما وقع لي في ذلك، أنني سافرت من جدة إلى بومباي ورأيت الحجاج يقتتلون على الماء ، فاستأجرت شاباً فارسياً يأتيني بالماء من مستقى الباخرة من جدة إلى بومباي بربيتين أي: درهمين هنديين ، اسم ذلك الشاب عبد على. فكنت أتجاهل اسمه وأناديه يا عبد العلى ، فيغضب ويقول: (عبد العلى أنا)، ونا بالفارسية: هي حرف النفي ترادف لا بالعربية ثم يكرر عبد على عبد على. فإذا نسبته إلى الله العلى يغضب ويريد أن ينسب إلى العبد وهو على: سافر معي غلام حسين إلى المحمرة وهى على الجانب الشرقي من شط العرب ، وقد انتزعتها الدولة الفارسية التي تسمى في هذا الزمان إيران ، من الأمير الشيخ خزعل الذي كان يحكم تلك الناحية وسكنها عرب من بنى تميم ، وألحقتها بمملكتها فقلت لغلام حسين: اختر لي عالماً من علمائكم أزوره لا يكون متعصباً ، فقال لي: أفضل علمائنا في هذا البلد هو الشيخ عبد المحسن الكاظمى فقصدناه في الحسينية والحسينية مبنى للشيعة يجتمعون فيه لقراءة قصة مقتل الحسين ﷺ ، وقصة حرب على مع عائشة وطلعة الزبير في وقعة الجمل. وكان ذلك اليوم يوم جمعة وهذا الشيخ من الاثنا عشرية الإخباريين ، فإن الاثنا عشرية فرقتان ، فرقة إخبارية وفرقة أصولية وآراء فقهائهم. والأصولية بعكسهم يعرضون المرويات على الأصول ، والإخباريون يصلون الجمعة والجماعة بخلاف الأصوليين ، فإنهم لا يصلون جمعة ولا جماعة. فلما دخلت على الشيخ عبد المحسن قام لي وصافحني وأجلسني بقربه وكان الحاضرون كثيراً يقدر عددهم بثلاثمائة ، فقال أحدهم للروضخون وهم ينطقون بالضاد زايا. والروضخون هو الذي يقرأ لهم قصة الحسين وقصة عائشة مع على ، قال له: عجل بقراءة القصتين ، نريد أن نسمع كلام العالمين. لأنهم من عادتهم أن يقرؤوا القصتين في ضحى يوم الجمعة. وحثه على أن لا يطول وسيتبين لك مقصده بذلك ، فصعد الروضخون

المنبر وبدأ يقرأ في قصة الحسين فلما بلغ مقتله وما صنع به أعداؤه ، وضعوا طيا لسهم على وجوههم وأخذوا يبكون ويتباكون ،رافعين أصواتهم واحسيناه ! واأبا عبد الله ! والظاهر أن بكاءهم كان كاذباً، وإنما هو تصنع لأن هذه القصة يسمعونها في كل أسبوع مراراً فقلما تؤثر فيهم. ولما فرغ من قصة الحسين شرع في قصة عائشة ، وذكر إنها بعثت رسولها إلى البصرة إلى على ، وقالت له: إنه سيعرض عليك طعامه وشرابه ، فإياك أن تأكل من طعامه أو تشرب من شرابه فإن فيه السم. فلما سمع ذلك الحاضرون ، قالوا بصوت عال ونغمة تدل على الحقد: (لا يا ملعونة) وأخذوا يكررونها في كل فقرة يسمعونها فاستعجل بعض الحاضرين الروضخون، وقال له اختتم نريد أن نسمع كلام العالمين فغضب الروضخون، وقال قد اختصرت القصتين وما ذكرت إلا ربعهما ولما فرغ القاص أخذت أتحدث مع الشيخ بالحديث التالي: حسب ما بقى في ذاكرتي فقد مضى على هذه القصة زهاء ٤٨ سنة ، فإنها كانت السنة ١٣٤٣. سألت الشيخ ما أهم كتب الحديث عندكم فذكر لي أربعة كتب لا أذكر الآن منها إلا كتاب الكليني وأثنى عليه وقال كل أحاديثه صحيحة فهو عندنا بمنزلة ... ثم سكت وأخذ يفكر فقلت لعلك تقصد البخاري عندنا فقال: نعم هو عندنا بمنزلة البخاري عندكم والبحث عن صحة الحديث وضعفه في هذا الزمان عبث ، لأن الأحاديث الصحيحة معلومة يقينا فقلت له وكيف تعرف صحتها يقينا فقال لي تعرف بنص الأئمة المعصومين على صحتها ثم قال: دونك حديثا متوترا عندنا وعندكم فقلت له: قل فقال: قال رسول الله ﷺ: أنا مدينة العلم وعلى بابها فقلت له: أما عندنا فليس هذا الحديث صحيحا ولا حسنا عند المحققين فضلا عن أن يكون متوترا وإنما هو حديث ضعيف ، هكذا قلت له من حفظي والآن أثبت ما قاله الأئمة في هذا الحديث قال السخاوي في المقاصد الحسنة صـ ٩٧ ، ما نصه باختصار: أنا مدينة العلم وعلى بابها. رواه الحاكم في المناقب من مستدركه والطبراني في مجمعه الكبير وأبو الشيخ في السنة وغيرهم كلهم من حديث أبى معاوية الضرير عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعا به زيادة فمن أتى العلم فليأت الباب ورواه الترمذي في المناقب من جامعه وأبو نعيم في الحلية وغيرهما من حديث على أن النبي ﷺ قال: أنا دار الحكمة وعلى بابها ، قال الدارقطنى في العلل عقب ثانيهما (يعنى حديث الترمذي) أنه حديث مضطرب غير ثابت وقال الترمذي: أنه منكر وكذا قال

شيخه البخاري وقال: إنه ليس له وجه صحيح، وقال ابن معين فيما حكاه الخطيب في تاريخ بغداد: أنه كذب لا أصل له ، وقال الحاكم عقب أولهما أنه صحيح الإسناد وأورده ابن الجوزى من هذين الوجهين في الموضوعات ووافقه الذهبي وغيره على ذلك وأشار إلى هذا ابن دقيق العيد بقوله ، هذا الحديث لم يثبتوه ، وقيل: إنه باطل ، ثم قلت له: وعلى فرض ثبوته فإن أريد أن هذه المدينة لها أبواب كثيرة وعلى من أفضل أبوابها فهو صحيح ، وإن أريد أن هذه المدينة ليس لها إلا باب واحد وهى على ، فهذا باطل يكذبه القرآن والواقع ولا يختلف فيه العقلاء لأن النبي ﷺ حين بعث كان على صغيرا دون البلوغ فلو كان هو الباب الوحيد لهذه المدينة ما استطاع النبي ﷺ أن يبلغ شيئاً ولا أن يؤدى رسالته وكان يقول لكل من سأله عن مسألة اذهب إلى على وخذ منه الجواب وهذا لا يقوله أحد يحترم نفسه وقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ ﴾.

وحذف المعمول هنا يدل على العموم أي بلغة جميع الناس كما قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ ولما وصلت إلى هذه المسألة أشترك مع الشيخ في المناظرة نحو عشرة أشخاص فقال لي أحدهم قوله تعالى: ﴿ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾ معناه بلغه علياً فقلت له هذه زيادة في القرآن فلو قلت لك أنا معناه بلغه أبا بكر لكان القولان متساويين، فبأي دليل ترجح أحدهما على الآخر وكلاهما دعوى بلا دليل، فغضب الشيخ، وقال أبو بكر: (يأكل خراه) وهذا شتم قبيح مستعمل في تلك البلاد والعراق ونجد ومعناه يأكل العذرة التي تخرج منه كيف تقارن بينه وبين أمير المؤمنين عليه السلام وهو جاهل لا يعرف الأَبّ المذكور في سورة عبس ، والعرب كلها تعرف الأَبّ وهو العشب فقلت له أيها الشيخ إن علماء المناظرات يقولون إن الشتم سلاح العاجز لأن القادر على المناظرة بالدليل والبرهان لا يلجأ إلى الشتم وأبو بكر لم يكن يجهل الأَبّ لأنه كان من شيوخ العرب وحكمائهم وإنما قال ذلك تورعا وخوفا من الله تعالى وتعظيما لكتابه وعملا بقول النبي ﷺ من قال في القرآن برأيه فقد كفر وقد خاف أبو بكر رضي الله عنه أن يراد بالأَبّ معنى خاص يجيء فيه تفسير عن النبي ﷺ فتوقف وهذا من فضائله ومناقبه ثم قلت له: إذا أراد الله أن تبليغ النبي ﷺ إنما هو لعلى فلماذا لم يسمه كما سمى زيداً في سورة الأحزاب فقال لي: إن قريشا حذفت كثيرا من القرآن فقلت له: قال تعالى في سورة الحجر: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ

﴾ ولا شك أن الله تعالى لا يخلف الميعاد وقد حفظ هذا القرآن من التبديل والزيادة والنقص وهذه مزية وفضيلة خص الله بها هذا القرآن الكريم من بين سائر الكتب السماوية وقد أجمع المسلمون وغير المسلمين إلا من شذ من أعداء الإسلام على هذا فأنت تجد القرآن في جميع أنحاء العالم على اختلاف أديان أهل تلك البلدان لا يستطيع أحد أن يزيد حرفا ولا نقطة ولا أن يغير منه حركة وحتى صفات الحروف كالتفخيم والترقيق مثلا محفوظة وإذا سلمنا أن القرآن قد حذفت منه قريش كثيرا فلابد أن تكون قد زادت فيه أيضا فقال لي: أما الزيادة فلم تقع فقلت: وكيف عرفت ذلك قال: عرفناه من أقوال الأئمة المعصومين فإنهم أخبروا بأن الزيادة لم تقع وإنما وقع الحذف فقلت: هذا مخالف لنص القرآن الذي ذكرته أنفا ومخالف للعقل والله المستعان ثم قلت له: فهل عندكم قرآن سالم من التغيير ليس فيه زيد ولا نقص فقال لي: لما رأى أمير المؤمنين على عليه السلام قريشا تحذف أشياء من القرآن وتكتبه على غير الوجه المتفق مع تاريخ النزول دخل بيته وعكف فيه أربعين يوما فكتب القرآن من أوله إلى أخره على ترتيب نزوله من أول آية إلى أخر آية فقلت: وأين هذا المصحف ؟ فقال: بقى عند الأئمة يتوارثونه أخرهم عن أولهم حتى وصل إلى الأمام المنتظر محمد بن الحسن العسكري عجل الله بخروجه فلما غاب في سرداب سامراء أخذه معه فقلت له: ولماذا لم يكتب على رضي الله عنه إلا مصحفا واحدا ثم لم ينسخ أحد منه في تلك الأزمنة المتطاولة ولا نسخة واحدة وقد كان لعلى كما تعلمون من الأنصار وآل البيت الحريصين على الخير وحفظ العلم ولاسيما كتاب الله وخصوصا قبل خلافته خلق كثيرا أما بعد خلافته فكان ينبغي أن يكون أول شئ يبدأ به هو إظهار هذا القرآن الصحيح وإحراق ما سواه من المصاحف فإن لم يفعل ذلك على سبيل التسليم الجدلي فلابد أن يفعله شيعته وأنصاره وقد جمع أبو بكر الناس على هذا المصحف ثم جمعه عثمان طبقا لمصحف أبى بكر وأحرق جميع المصاحف المشتملة على القراءة الشاذة وعلى رضي الله عنه ليس دونهما في العلم والقدرة على إحقاق الحق فكيف أهمل هذا الواجب العظيم؟ فقال لي: تأدب فإن الأئمة لا يفعلون شيئا إلا بأمر الله وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام مشغولا بأمور أخرى من حروب المرتدين وتدبير شؤون المسلمين فقلت له: هذا الاعتذار لم يقنعني ولا أراه يقنع أحدا من خصومكم ثم لماذا أخذ الإمام المنتظر محمد بن الحسن العسكري المصحف الوحيد السالم من التغيير معه حينما دخل

السرداب وانتم تعتقدون أنه معصوم وأنه يحفظ القرآن ولا يحتاج إلى مصحف فكيف يترك شيعته على مصحف ناقص غير مرتب ويأخذ النسخة الوحيدة المشتملة على القرآن الصحيح معه إلى عالم الغيب فقال لي: تأدب فإن الأئمة معصومون ولا يفعلون إلا ما آمرهم الله به ثم قال لي أحدهم: سأورد عليك آية من القرآن تحجك وتسكتك فقلت: هات ، فقال: قال الله تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ ومن هو الإمام المبين أليس على بن أبى طالب عليه السلام ؟ فقلت: ذلك قولك أما أنا فأقول: إن الإمام المبين هو اللوح المحفوظ المكتوب عند الله تعالى وهذا القرآن الذي بأيدينا مطابق له فقال لي: كيف يكون الكتاب إماما وكيف يكون مبينا فقلت له: قال الله تعالى في سورة الأحقاف: ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ۝ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾.

فوقف حماره في العقبة ولم يستطع جوابا فقال لي شيخهم: أليس على نفس النبي بنص القرآن فقلت: وضح لي ما تقول كيف يكون على نفس النبي فأخذ يتعتع ويكرر أنفسنا وأنفسكم ولم يعرف أحد منهم آية المباهلة لا الشيخ ولا غيره فعلمت أنه لا يحفظ القرآن أحد منهم فقلت لهم: أنا أذكر لكم الآية التي تريدون قال الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ فقالوا جميعا: هذه الآية التي نريد وهى حجة عليكم فإن قوله تعالى وأنفسنا المراد به على بن أبى طالب فقلت لهم: إن نفس النبي ﷺ هي النبي ولا تتحمل الدلالة اللغوية غير ذلك فما هو دليلكم من جهة النقل أو اللغة على أن علياً هو نفس النبي ﷺ فقالوا: هذا ثابت في التفاسير فقلت: أنا لا أسلمه إلا إذا ثبت عن النبي ﷺ بسند صحيح هكذا قلت لهم مع أنى أعلم أنه روى في خبر بسند ضعيف أن معنى أنفسنا هو النبي ﷺ وعلى معنى نساءنا فاطمة ومعنى أبناءنا الحسن والحسين ثم راجعت الآن وأنا أكتب هذا تفسير ابن كثير، فوجدت الخبر قد رواه ابن مردويه والحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه قال ابن كثير هكذا قال الحاكم وقد رواه أبو داود الطيالسى عن شعبة عن المغيرة عن الشعبي مرسلا وهذا أصح. ا هـ.

قال محمد تقي الدين: ومن العلوم أن المرسل من قسم الضعيف ولو كان القوم أهل أنصاف لذكرت لهم هذا الخبر واعترفت به وبينت ضعفه وأنه لا حجة لهم في ذلك لأن فضل على وقربه من رسول الله ﷺ لا ينكره إلا ضال وذلك يدل على أنه هو الإمام بعد النبي ﷺ ولا يدل البتة على بطلان خلافة الخلفاء الثلاثة قبله ولا يحط من قدرهم شيئا فإن الأئمة الثقات رووا أحاديث كثيرة صحيحة كالشمس تدل على صحة خلافتهم وفضلهم ولكن لكل مقام مقال ، ثم قال الشيخ ما تقول في أحاديث صحيح البخاري أصحيحة عندكم أم لا فقلت هي صحيحة لا نتوقف في قبول شئ منها فقال الآن أورد لك حديثا من صحيح البخاري يثبت صحة اعتقادنا وفساد اعتقادكم فقلت ما هو فقال روى البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: «**فاطمة بضعة منى يؤذيني ما آذاها**» وأبو بكر آذاها فقد آذى النبي ﷺ ومن آذى النبي فهو كافر فكيف يكون الكافر خليفة فقلت له: هذا الحديث صحيح ولكن لمعرفة معناه على التحقيق يجب أن تذكره كاملا حتى لا تكون مثل ذلك النصراني الذي احتج على المسلمين بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ فقال: هذا كتابكم ينهاكم عن الصلاة ، قال: فاذكر أنت الحديث كاملا فقلت له: إن على بن أبى طالب أراد أن يتزوج بابنة أبى جهل على فاطمة فقام النبي ﷺ خطيبا في الناس فقال: إن ابن أبى طالب يريد أن يتزوج بابنة أبى جهل على فاطمة ولا أحرم حلالاً ولكن أخاف أن تفتن في دينها فوالله لا تجتمع ابنة نبي الله وابنة عدو الله في بيت واحد، فإن أراد ابن أبى طالب أن يتزوج بابنة أبى جهل فليطلق ابنتي فإن فاطمة بضعة منى يؤذيني ما آذاها هذا معنى الحديث فلما سمع القوم هذا الحديث ثاروا ثورة عظيمة وكثر ضجيجهم، فقال لي شيخهم: (رافعا صوته: كفرتم كفرتم أنتم كفرتم كل واحد حتى محمد بن عبد الله) وسمعت من كان بقربى من الحاضرين يقولون بصوت ملؤه الحنق: (لا يا ملاعين الوالدين اشلون يكذبون على أمير المؤمنين) ومعنى ذلك اخسأوا يا ملاعين الوالدين كيف يكذبون على أمير المؤمنين يعنون عليا فقلت له: كيف تكفروننا ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ونؤمن بكل ما جاء به الرسول ﷺ وعلى ﷺ لسعة علمه وفضله لم يكفر الخوارج الذين كفروه وقاتلوه، فقد روى ابن أبى شيبة بسنده إلى على أنه سئل عن الخوارج أكفار هم؟ فقال: لا من الكفر فروا فإن لم تقبلوا على عادتكم في رد أحاديث أهل السنة فدونكم برهانا

نظريا لا تستطيعون رده أبدا قالوا: ما هو؟ فقلت: إن عليا ﷺ قاتل الخوارج ولم يغنم أموالهم ولا سبى ذريتهم كما فعل هو وسائر أصحاب رسول الله ﷺ في قتال المرتدين من بني حنيفة وأم ولده محمد سبية من بني حنيفة واسمها خولة وأنتم تعلمون ذلك فقال: أنا لا أكفرك أنت فقلت: لو كفرتني أنا وتركت البخاري ورجاله لكان ذلك أهون على لأن كل ما نعتقده ونعمله من أمور الدين فهو إما من القرآن أو من رواية هؤلاء الرواة فقال لي: وأنا لا أكفر البخاري أيضا فقد كان رجلا صالحا ولكن معاوية كان يبذل الأموال للوضّاعين فيضعون الأحاديث في تنقص على ويكذبون عليه وقد توهم البخاري فأدخل في كتابه هذا الحديث فقلت له: إن رجال هذا الحديث كلهم أئمة ثقات وقد رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة هذا ما قلته له والآن أسوق هذا الحديث بألفاظه ليعرفه القارئ على وجهه. أخرج البخاري بسنده عن المسور بن مخرمة في باب الخمس أن على بن أبى طالب خطب ابنة أبى جهل على فاطمة عليها السلام فسمعت رسول الله ﷺ يخطب الناس في ذلك على منبره هذا وأنا يومئذ محتلم فقال: إن فاطمة منى وأنا أتخوف أن تفتن في دينها ثم ذكر صِهراً لهُ من بنى عبد شمس فأثنى عليه في مصاهرته إياه قال حدثني فصدقني، ووعدني فوفى لي، وإني لست أحرم حلالا، ولا أحل حراماً، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله أبدا ، ورواه البخاري في كتاب النكاح في باب ذب الرجل عن ابنته في الغيرة عن المسور بن مخرمة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: إن بنى هشام بن المغيرة استأذنوا في أن ينكحوا ابنتهم على ابن أبى طالب فلا آذن، ثم لا آذن، ثم لا آذن، إلا يريد أن ابن أبى طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فإنما هي بضعة منى يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها.

وفى إحدى الروايات أن فاطمة عليها السلام ذهبت إلى النبي ﷺ فقالت له: إن الناس يقولون إنك لا تغضب لبناتك وأخبرته الخبر فخرج إلى المسجد وخطب الناس، ثم قلت: وأبو بكر الصديق لم يؤذ فاطمة وإنما نفذ ما أمره به النبي ﷺ في قوله: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا من صدقة**» وفاطمة غير معصومة من الخطأ فإن كان هذا هو سبب تكفيركم لأبى بكر الصديق فهو سبب واه. وقد تبين بطلانه فلماذا كفرتم عمر مع أنه حين جاء على والعباس بعد وفاة فاطمة يطالبان بأرض فدك التي طالبت بها فاطمة أحضر عشرة

من الصحابة فشهدوا كلهم أن النبي ﷺ قال: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث**» ثم قال لعلى والعباس: إن التزمتما أن تعملا في هذه الأرض بما كان يعمل رسول الله ﷺ سلمتها لكما فالتزما ذلك فسلمهما لهما ثم اختلف على والعباس فجاء العباس عمر يشتكى عليا فأبى عمر أن يغير ما حكم به ... ومما ذكرته لهم في تلك المناظرة وإنما أمليها من حفظي أن مما يدل على أن أهل بيت على ﷺ لم يكونوا يعتقدون عصمته أن عبد الله بن عباس أنكر عليه إحراق الغلاة والذين اعتقدوا ألوهية على فأحرقهم بالنار فخطأه ابن عباس، وقال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يعذب بالنار إلا رب النار**» فقال الشيخ: هذا من وقاحته وقلة حيائه كيف يعترض على إمامه، ولما أخذوا يناظرونني وهم جماعة كما ذكرت أراد رفيقي أن يظهر دفاعه عنى قال لهم: أيها القوم إن كانت هذه مناظرة بين عالمين فدعوهما يتناظران وأنصتوا وإن كانت حمية وعصبية فأنا أيضا أدافع عن صاحبي ولما رجعنا إلى الدورة قال لأهل السنة أشهد بالله أن عالمكم غلب عالمنا.

المناظرة الثانية

مناظرة بين المؤلف وبين شيعي آخر

اجتمعت في البصرة بمجتهد الشيعة الشيخ مهدى القزوينى فأخبرته بأن عبد المحسن الكاظمى يقول إن قريشا حذفت كثيرا من القرآن فهل هذا صحيح فقال أما نحن فلا نقول بذلك ونؤمن بأن القرآن هو ما بين دفتي المصحف لم ينقص منه شيء ولم يزد فيه شيء وأظن أن الشيخ القزوينى من الفرقة الأصولية ثم بعد ذلك قرأت مقالا في مجلة المنار الشهيرة التي كان يصدرها الشيخ رشيد رضا رحمه الله كاتبه عالم من بلاد فارس أثبت فيه بالأدلة والبراهين المروية عن النبي ﷺ من طرق الشيعة الاثنا عشرية كلما بينه شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب من توحيد العبادة وتوحيد الربوبية فمن ذلك تحريم البناء على القبور روى فيه أحاديث عن أئمة الشيعة مرفوعة وغير مرفوعة إلى النبي ﷺ تثبت النهى عن البناء على القبر وتجصيصه حتى ذكر عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال: كل ما وضع على القبر من غير تراب القبر فهو ثقل على الميت ، ومنها تحريم الذبح والنذر ودعاء الأموات والاستغاثة بهم فكتبت كتابا إلى الشيخ مهدى المذكور وقلت له: نرجو أن تبين لنا هل هذه الأحاديث التي ذكرها صاحب المقال صحيحة عندكم أو غير صحيحة فإن كانت صحيحة فما الذي يمنعكم من العمل بها؟ وكيف سكتم على القباب المشيدة المزخرفة في النجف وكربلاء والكاظم وهى مخالفة لما رواه أئمة آل البيت الذين تدعون الناس إلى اتباعهم؟ فكتب إلى رسالة طويلة مدحني فيها ولم ينكر شيئاً من تلك الأحاديث ولكنه عمد إلى تحريفها ففسر البناء على القبر بأن يبنى على القبر نفسه أما بناء قبة حوله لتقي زائريه من الحر والقر فلا بأس به ومضى في تحريف تلك الأحاديث كلها حتى أتى عليها ثم قال لي: ونحن نتخذك حكما تحكم بيننا وبين صاحب المنار هذا بعدما ذمَّ صاحب المنار وكاتب المقال وغمرهم بالشتم، والقدح، والطعن فألفت في ذلك جزءًا سميته القاضي العدل في حكم البناء على القبور وبعثته إلى الشيخ رشيد رضا رحمة الله عليه فجزأه سبعة أجزاء ونشره في مجلة المنار وكان ذلك في أغلب الظن سنة ١٣٤٤هـ ولما استقررت في المملكة السعودية أعدت تأليف الكتاب بأسلوب أخشن وقدمته

للملك عبد العزيز رحمة الله عليه هدية وأنشدته في ذلك القصيدة التالية جالسا إلى جنبه فلم يعب على ذلك لا هو ولا أحد من جلسائه وذلك برهان قاطع على تواضعه واختياره سلوك أمراء السلف فلا غرابة أن رفع الله قدره ومكن له في الأرض حتى أنشأ دولة عظيمة عصرية على أنقاض الدولة السعودية التي قضى عليها آل رشيد كما شهدت بذلك إذاعة لندن وهذه القصيدة من بحر الكامل:

يا أيها الملك الذي سعدت به
أرجاء مكة والحطيم وزمزم

وكسى الإله به بلاد العرب ثو
ب أمانه فغدت به تتنعم

وأشاع نور العلم والإيمان في
أرجائها والجهل فيها مظلم

وغدت بحكمته أهليها وهم
بعد العداوة في أخا لا يصرم

كان التقاطع بينهم من قبله
حتى القريب قريبه لا يرحم

والبغي والعدوان شيمتهم وهم
شتى العقائد شركهم مستحكم

ما عندهم من حرمة للشرع بل
طاغوتهم بالجهل فيهم يحكم

قطع الطريق وقتل سالكه لهم
خيم وخيم عندهم لا يحرم

شن الإغارة دأبهم وطعامهم
وشرابهم منه وبئس المطعم

فغـدوا تقـاة صـالحين وخـوفهم

لله لـيس يـزال دومـا يعظـم

بسياسـة الملـك الإمـام المرتضـى

عبـد العزيـز الفـارس المستلئم

هذى الكرامـات العظـام حقيقـة

لا مـا يقـول مشـعوذ يتـوهم

هـذا هـو القطـب الكـبير ديانـة

وشـجاعة وعدالـة إذ يحكـم

قطب السياسـة والمكـارم والعـلا

حامى الحقيقة في الوغى لا يحجم

يلقى العداة إذا الجيوش تلاطمت

أمواجهـا مستبشـرا يتبسـم

يلقـى الوفـود ووجهـه متهلـل

رائيـه مغتـبط بـه متـنعم

ذا الجـزء أرفعـه إليـك هديـة

ولانـت أفضـل مـن إليـه يقـدم

ألفتـه ردًّا علـى شـيخ الـروا

فـض بالأدلـة مـبطلا مـا يـزعم

زعم البناء على القبور وقصـدها

مـن كـل أفـق للـدعا لا يحـرم

هـذا ودم شمسـا الـدين في

أوج السـعادة بالمكـارم تـنعم

فتقبله بأحسن قبول وأمر بطبعه فأخذه رئيس القضاة الشيخ عبد الله بن حسن رحمه الله وسلمه إلى الشيخ ماجد الكردي مدير المعارف فطبع منه ألف نسخة ووزعت. ولابد أن يكون الشيخ مهدى القزوينى قد اطلع على هذا الكتاب وقد بلغني أنه ألف كتابا في الرد علي ولكني لم أره وهذا هو سبب ما ذكرته من قبل أنه يوجد في المحفظة الخاصة بي التي يسمونها بالعجمية دوسيا أنني عدو لأبناء الشيعة هكذا سجلوا على ذلك لجهلهم وضلالهم وإلا فهل كان أئمة آل البيت الذين نقل عنهم ذلك الكتاب أحاديث النهى عن البناء على القبور كحديث الصحيحين لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ونحوه هل كان أولئك الأئمة رضوان الله عليهم أعداء لأبناء الشيعة ومنهم جعفر الصادق الذي ينتسبون إليه إذا فمن هو وليهم.

كيف يربي
يهود الولايات المتحدة أولادهم



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل النصر مقرونا بأولوية الإيمان وجعل الذلة والصغار على من أعرض عن دينه وقابله بالكفران وصل اللهم على محمد الذي اصطفيته من بنى عدنان وعلى آله وأصحابه ليوث الوغى وأسود الطعان وعلى من تبعهم بإحسان أما بعد: فيقول العبد الفقير إلى رحمة ربه محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي وقعت في يدي قصة باللغة العبرانية وهى مقررة للتعليم في رياض الأطفال بالولايات المتحدة فرأيت أن اليهود يربون أولادهم على التمسك بدينهم وتاريخهم وسائر مقوماتهم وأن المسلمين والعرب بخلاف ذلك يهملون أولادهم أو يربونهم تربية أثمها أكثر من نفعها فترجمت لهم هذه القصة ليقفوا عليها ويعرفوا سر ما أدركه اليهود في هذا الزمان من القوة والنجاح فأقول وبالله التوفيق.



الكعكات المقدسة، دانى يحب القصص

صلصل الجرس مؤذنا بفسحة الاستراحة فخرج الصبيان من روضة الأطفال للعب في ساحة الروضة إلا دانى، فإنه بقى في مكانه جالسا فناداه أمنون يا دانى قم فاخرج، لماذا بقيت في مكانك حالما ؟ فرفع دانى بصره ونظر إلى أمنون شزرا كأنه رآه للمرة الأولى في حياته ، فقال دانى: أنا ، لا لست حالما ، اسمع يا أمنون، لعلك تعرف أين الكعكات الثلاث ، فقال أمنون أي الكعكات ؟ فقال دانى: أنسيت الكعكات الثلاث التي صنعتها أمنا سارة للملائكة ، وأنت تعلم أن الملائكة لا يأكلون إذا فأين الكعكات ومن أكلها والملائكة لا يأكلون ولا يجوعون، أين الكعكات الثلاث المقدسة ومن من التلاميذ لا يحب مثل هذه القصة ؟ كلهم يحبونها ولكن دانى يحبها أكثر منهم جميعاً يسمعها ثم يطلب إعادتها مراراً وتكراراً ويقرأ آياتها المسطورة في التوراة ثم يقرأها ولا يشبع من قراءتها، حتى في الليل وهو مضطجع على سريره يفكر فيها بقلبه، نعم لا ينقطع عن التفكير في هذه الحكاية الجميلة دائما يفكر فيما كتب في التوراة وما تفسره له المعلمة وللتلاميذ من أخبار سفينة نوح وعوج بن عناق الذي كان إلى جانبها سابحا في المياه الطوفانية وتشرح لهم المعلمة قصة إبراهيم « الخليل » عليه الصلاة والسلام حين كان صغير السن مع نمرود ملك العراق المجرم كل ذلك كان يستولى على لب دانى ويفهمه أكثر من غيره إلا أن الكتاب الذي بيده لا يفسر له كل شيء وكذلك المعلمة لا تستطيع أن تبلغ الغاية في شرح كل ما في ذلك الكتاب فينظر دانى إلى أن يحاول بنفسه أن يفهم تفاصيل ذلك، لكنه لا يصل إلى فهم كل ما يريده، وفى ذات يوم وصل التلامذة إلى حكاية الأشخاص الثلاثة الذين جاؤوا إلى إبراهيم وسارة برسالة فرحت بها سارة فرحاً عظيماً وهى أنها ستحمل وتلد أبناً وفرح الصبيان كلهم باستقبال الضيوف في خيمة إبراهيم وكان دانى أكثر التلاميذ فرحا بسماع هذه الحكاية لأنه يحب الضيوف في المدرسة وفى مكان وهؤلاء ليسوا ضيوف عاديين بل هم ملائكة نزلوا من السماء فضحك دانى في نفسه لأن إبراهيم الرجل الصالح وسارة المرآة الصالحة لم يعرفا هؤلاء الضيوف أنهم ملائكة من السماء ففسرت لهم المعلمة الطيبة هذا السر الذي قرأوه في الكتاب ولم يفهموه وكان إبراهيم عليه السلام كريما مضيافا فرحب بضيوفه في خيمته، وكان

لهذه الخيمة أربعة أبواب في كل جهة من جهاتها الأربع باب، وحتى إذا جاء ضيف جائع من أي جهة لا يحتاج أن يبحث عن الباب وكلما رأى أبونا إبراهيم ضيوفا فرح بهم وقامت أمنا سارة في الحال لتضع لهم طعاما، فلما قدم إبراهيم الكعكات لضيوفه أخذوها بأيديهم ولمسوا بها شفاههم كأنهم يريدون أن يأكلوا لكنهم لم يأكلوا شيئاً. (٢٠)

ولما بشروا سارة بأنها تلد ابنا ضحكت لأنها لم تصدق أنها تستطيع أن تحمل وتلد ابنا «لتقدمها في السن» فسألها إبراهيم لم ضحكت فاستحيت واعتذرت فانصرف الملائكة قالت المعلمة للصبيان هل قرأتم قط حكاية جميلة مثل هذه ؟ ثم أجابت طبعا لا ، وكذلك داني رأى هذه القصة أحسن قصة قرأها في حياته ، فلما تمت القصة ارتفعت أيدي التلاميذ أشارة إلى أن لهم أسئلة كثيرة ، وكذلك داني رفع يده ، يريد أن يسأل سؤالاً مهماً وإذا بالجرس يصلصل إيذانا بانتهاء الدرس ، فحزن داني لان الجرس قطع عليه مراده ، فقام الصبيان وخرجوا للعب في ساحة المدرسة ووقفوا في دائرة يغنون ويرقصون إلا داني بقي جالساً لا يريد إلا شيئاً واحد يريد معرفته وهو أين الكعكات الثلاث المقدسة ؟ وكيف لا تكون مقدسة وأبونا إبراهيم أخذ الدقيق بيده وأمنا سارة صنعت الكعكات بيدها والملائكة لم يأكلوا الكعكات المقدسة يقينا بل تركوها على المائدة في خيمة إبراهيم وهذه الكعكات المقدسة لا تيبس ولا تتغير فأين هن ومن أكلهن ؟ لم يزل هذا السؤال يتردد في ذهن داني ولم يجد له جوابا ، سأل المعلمة عنه وسأل أباه وجده فكلهم قالوا لا ندرى قالوا لا ندرى هذا سؤال أعظم من أن نقدر على الجواب عنه ، فلم يزل داني يفكر ويقول في نفسه يا رب من يا ترى يحل هذا اللغز ؟ ومضت الأيام فتعلم داني في الروضة قصة إبراهيم وهاجر وإسماعيل حين كان طفلا فتأسف داني على هاجر وابنها الظمآن في الصحراء ثم فرح بأنهما أخيرا وجدا الماء[٢١] وبعد ذلك تعلم شد وثاق

---

(٢٠) هذه القصة مذكورة في سورة الذاريات في قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾... .. إلخ.

(٢١) انظر ما جاء في صحيح البخاري وغيره وفى كتب السيرة من ظمأ هاجر = =وإسماعيل وطلب هاجر للماء فأكرمها الله وولدها بماء زمزم.

إسحاق[٢٢] ما أشد هول ذلك وتعلم دانى القصة إلى نهايتها ، وكان قلبه يخفق لأحداثها ، وأحاط علما بكل ما قرأه من ذلك ، ثم علم موت سارة أمنا وملك إبراهيم المغارة التي أسمها مكفولة وأخذها من يد عضرون الحتى علم ذلك كله قصة بعد قصة قرأ ذلك وكتبه وصوره بيده في دفتره لكن لكل ذلك لم يكفه ولم يبرد غلته وبقى السؤال يتردد في نفسه من أكل كعكات سارة ، وكاد يستولى عليه اليأس من حل هذه المشكلة التي أقضت مضجعه ، ثم مرضت المعلمة وهذا يسوءه حقا فمضت على صبيان الروضة ثلاثة أيام لم يتعلموا شيئاً ، ثم جاءت معلمة أخرى من روضة أخرى فنابت عنها ، ثم خلفها غيرها من المعلمات ؟.

وفى ذات يوم بينما الصبيان جالسون إذا بالجرس يصلصل وبعد لحظة دخل عليهم المدير ولما دخل خطر ببال دانى خاطر سريع ، وهو أن يسأل المدير عن الكعكات الثلاث المقدسة لعله يستطيع أن يجيب عن سؤاله فرفع يده فقال له المدير أسأل ، فسأله من أكل كعكات أمنا سارة الثلاث فتبسم المدير وقال سأخبرك عما سألت عنه فطارت قلوب الصبيان شوقاً إلى سماع حديث المدير فاقترب المدير من دانى ومسح رأسه بيده إيناساً له ثم وقف وقال أيها الأعزاء اعلموا أن ما سأقصه عليكم وقع منذ زمان طويل جداً.

بجوار أرض إسرائيل كان الفلسطينيون يسكنون وهم أعداء بنى إسرائيل وكانوا أشراراً ، وكانوا طاغين على بنى إسرائيل يأكلون غلة أرضهم وثمار أشجارهم وينهبون غنمهم وبقرهم ويحرقون غابات جبال إسرائيل ويقتلون الرجال والنساء والصبيان من بنى إسرائيل أو يسبونهم إلى أن قام في بنى إسرائيل رجل عظيم شديد البأس أسمه شمشون فكان انتصار بنى إسرائيل وإنقاذهم على يده وكان له يدان من حديد وقلب لا يعرف الخوف ، فقاتل الفلسطينيين وقهرهم وأنقذ شعبه من شرهم فلم يستطع الفلسطينيين بعد ذلك أن يمسوا بنى إسرائيل بأذى ، فساد السلام والأمن أرض إسرائيل زمانا طويلا ، وكان شمشون العظيم أميراً على شعبه وكانوا في أحسن حال حتى وقعت حادثة مؤلمة ومصيبة عظيمة وذلك

(٢٢) اختلف الأئمة في من أمر إبراهيم بذبحه أهو إسماعيل أم إسحاق ورجح ابن القيم أنه إسماعيل وعلى كل حال قصة الذبح موجودة في التوراة وفى القرآن قال تعالى في سورة الصافات: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ﴾... إلخ.

أن شمشون الشديد وقع في يد امرأة خبيثة وهذه المرأة سلمت شمشون الشديد إلى الفلسطينيين فشدوا وثاق يديه ورجليه ، ومع ذلك كانوا يهابونه إذا نظر إليهم يرعبون ولا يستطيعون الهجوم عليه ، فقال الفلسطينيون ، ما دام هذا الرجل يبصر بعينيه لا نقدر أن نقترب منه فتعالوا نفقأ عينيه هكذا قالوا وهكذا فعلوا ، وانتظروه حتى نام فجاء منهم عشرة رجال وفقأوا عينيه وكبلوا يديه ورجليه بالسلاسل والأغلال ونقلوه إلى مدينتهم غزة ووضعوه في داغون بيت ألهتهم وأخذوا يسخرون منه ويضحكون عليه.

وكان في غزة أهل بيت من بنى إسرائيل قاطنين وكان صاحب هذا البيت حدادًا وقد بارك الرب في عمل يديه ، ولم ينس قط هذا الرجل أرض آبائه وكان أيضا يعلم أبناءه أن يحبوا شعب إسرائيل وأرض إسرائيل إلا أن نفسه لم تطب بالرحيل من مدينة الفلسطينيين غزة والرجوع إلى أرض إسرائيل وقال في نفسه: إن عدد أخوتي كثير وتركة أبينا قليلة ، بعد سفري اقتسم إخوتي ميراث أبينا بينهم ، فليس لي كرم ولا مزرعة ولا جنة في أرض إسرائيل أأرجع إلى هناك لأموت جوعا ؟ وكان هذا الرجل إذا جاء المساء وغربت الشمس وطلعت الكواكب ترك شغله جانبا وجلس مع أبنائه يحدثهم عن مسقط رأسه أرض إسرائيل ، وعن شعبه بنى إسرائيل ويسمى لهم جبالها وسهولها واحدا بعد واحد ثم ينشدهم أناشيد إسرائيل بصوت مؤثر عازفا لهم على آلات الطرب كالعود والمزمار ، وبذلك نشأ الأولاد على حب أرض آبائهم مع بعدهم عن حدودها وأصغر أبنائه يزرعيل كان يحفظ كل ما يقصه عليه والده ولا يزول من قلبه وكان يقول في نفسه إذا كبرت لا أبقى في هذه البلاد في أرض الفلسطينيين لابد أن أرجع إلى شعبي ومسقط رأس آبائي وأشتغل في أرض إسرائيل وأعيش فيها وهكذا كان يقيم هذا الغلام في غزة مدينة الفلسطينيين بجسمه وقلبه في أرض إسرائيل وكان دائما يبحث عن أخبار بنى إسرائيل، فلما سمع بوقوع الحادثة المشئومة وهى أسر بطل بنى إسرائيل شمشون أسرع إلى داغون بيت آلهة الفلسطينيين ليرى عظيم إسرائيل وليساعده ولما رأى عظيم إسرائيل أسيرا امتلأ قلبه حزنا إذ رآه مكبولا بسلاسل الحديد ورآه واقفا بين ساريتين عليهما يقوم البيت وصيحات الضحك والاستهزاء تسمع من الخارج والفلسطينيون يقولون: يا شمشون الإسرائيلي انظر كيف قهرك الفلسطينيون هذا أسد قم فاقتله ، لماذا أنت محبوس بين هذين العمودين؟ قم فاهدمهما كما قلعت

من قبل باب المدينة كل ذلك سمعه شمشون وهو واقف صامت لا يقول شيئا ، إلا أن قلبه مفعم بالأسى ، فلما رأى ذلك يزرعيل الغلام رق قلبه له، فذهب يزرعيل إلى الجهة المقابلة ، وأخذ ينظر إلى شمشون وإلى الناس الذين هم واقفون حوله ، ولما انصر أولئك القوم بقى شمشون وحده دنا منه يزرعيل وقال له همسا: أنا غلام إسرائيلي مقيم بأرض الفلسطينيين لكن قلبي مع إ. سرائيل ومع جيش إسرائيل وأنا في خدمتك ، فمرني بما تريد ، من المساعدة فأينما ترسلني أذهب ، وكل ما تطلب مني أفعله ، وكان كلام الغلام لطيفا تظهر عليه أمارات الصدق والعطف فخرجت تلك الكلمات من قلبه ووصلت إلى قلب شمشون ولما علم شمشون أنه صادق تحدت من عينه دمعتان كبيرتان وحارتان لكنه لم يفتح فمه ولم ينبس ببنت شفه فقال الغلام: مالك لا تجيبني ؟ لا تخف، قل كل ما في قلبك، لا يوجد هنا إلا أنا وأنت، الفلسطينيون ذهبوا جميعا حتى الحراس ولم يبق هنا أحد غيري ، تكلم يا شمشون بالله عليك سريعا وأجبني ، فأجاب شمشون الغلام قائلا شكرا لك أنا لا أخاف الموت بعدما سمعت كلامك ما أجمل أن أعرف أن هناك قلبا إسرائيليا يخفق بحب أخواته حتى في أرض العدو لا تحزن على يا يزرعيل أنا أعتبر نفسي ميتا فعلام أخاف ، لكن أنت يا يزرعيل لعلك تطول بك الحياة بعدى فأوصيك أن تذهب بحبك هذا الصافي وتعود إلى شعبك وتتعاون مع أخوتك لبناء دولة إسرائيل أنت ترى يدي مغلولتين وقد أعرض الله عنى فأجاب يزرعيل لم تتكلم بمثل هذا يا شمشون قال يزرعيل وقلبه يتقطع حزنا: إن قدرة الله تعالى لا تعجز عنك إن سقطت في هذه المرة فلا تيأس ، ألا تعلم أن المثل يقول: إن الصديق قد يسقط سبع مرات ثم يقوم لعلك تنقذ من أيدي الفلسطينيين وتعود إلى شعبك وإلى أرضك.

قال شمشون: أنت غلام طيب يا يزرعيل أنى يكون ذلك وأنا وحيد ليس لي نصير ولا معين كيف أرجع إلى شعبي وإلى أرضى وأنا مكبول أعمى بين عمودين في هذا البيت النجس الذي هو مبنى بالحجارة فقال يزرعيل: ألا يوجد لعينيك دواء فقال شمشون: لا أدرى لما كنت غلاما صغيرا في صرعة وهى المدينة التي ولدت بها أخبرني أبى أن بأرض جلعاد في الشمال ينبت نبات عجيب ، لكنه لا ينبت إلا مرة واحدة في كل سبع وسبعين سنة ينبت بين الصخور وله نوار إذا وضعه الأعمى على عينيه رجع له بصره ورأى

نور الشمس هذا ما سمعته من فم أبى فنظر يزرعيل من نافذة داغون بيت آلهة الفلسطينيين إلى الطريق المتوجه نحو الشمال ثم قال: أخبرني بالحقيقة يا شمشون هل قال لك أبوك هذا حقا أم هي خرافة ؟ فقال شمشون أنا لا أدرى وهب أن هذا الخبر صحيح فمن يقدر أن يجد لي هذا البلسم الشافي العجيب لأعالج به عيني وزد على ذلك أنه لا ينبت إلا مرة واحدة في كل سبع وسبعين سنة قال يزرعيل ومن يدرى لعل هذه السنين تكون الآن قد تمت ويكن هذا أوان نباته، قال شمشون: أنا ما بقى عندي أمل البتة ، أنا ميت ، ولا أريد إلا شيئا واحدا ، أريده من الله وهو أن يعننى على الانتقام من هؤلاء الأعداء الذين أعموا عيني وعند ذلك قبل يزرعيل يد شمشون وقال له كن قويا وتشجع يا شمشون فالرب معك ، وشعب إسرائيل حي ، وخرج يزرعيل من بيت داغون ورجع إلى بيت والديه ومحزونا قلقا لأن عليه أن يحصل على البلسم الشافي لعيني شمشون وليكن ما عسى أن يكون.

ولما أخبر بذلك أباه وأخوته الكبار قالوا له: مسكين أنت يا يزرعيل تصدق كل ما تسمع وهل يصير الأعمى بصيرا ؟ إنك تحلم في اليقظة.

خروج يزرعيل لأرض جلعاد

خرج يزرعيل قاصدا السفر إلى أرض جلعاد فبحث عنه والده في كل مكان بالمدينة فلم يجد له أثرا أما يزرعيل فتوجه إلى الطريق السلطاني فوجد قافلة من أهل مدين مسافرة إلى الشمال للتجارة وإبلهم تحمل كل نوع من البضائع التي جاءوا بها من مصر ليبيعوها في بلاد الشمال فدنا الغلام من المدينيين وقال لهم: أنا غلام إسرائيلي أسكن في أرض الفلسطينيين أريد أن أسافر إلى جلعاد إن شئتم أن تتكرموا على بأن تأخذوني معكم فعلتم مشكورين ، وأنا مستعد أن أكون خادما لكم في الطريق، وإذا وصلنا جلعاد أغنيكم فضحك المدينيون من قوله فقال كبير القافلة: نأخذ معنا هذا الغلام ليكون لنا حاطبا ويستقى لنا الماء وسافر يزرعيل مع قافلة المدينيين ومروا بحدود إسرائيل ليتوجه إلى أرض جلعاد التي في الشمال فلما جاء المساء وحط المدينيون رحالهم للاستراحة في الصحراء وساد الهدوء وكان رجال القافلة قد تعبوا ، فاضطجعوا للنوم فلم يبق شيء يسمع إلا رغاء الإبل وحديث الحراس الجالسين إلى النار يصطلونها وفى تلك الليلة أصاب كبير القافلة أرق شديد فقام من فراشة وأخذ يتفقد رجال القافلة وما معهم من الإبل والبضائع ليطمئن على سلامتهم ، وبينما

هو يتمشى ويراقب القافلة إذ سمع صوتا فتوجه نحوه فوجد الغلام يزرعيل جاثيا على ركبتيه وهو يتضرع إلى الله في صلاته والدموع تنهمر من عينيه وكانت تلك الدموع تضيء كأنها مشاعل كبار في ظلمة الليل البهيم فتعجب كبير القافلة لأن ما رآه كان كالمعجزة ، ولما فرغ الغلام من صلاته دنا منه الشيخ وقال له: إنك لغلام صالح وقد سمعت صلاتك فلم تسأل فيها إلا الخير فقل لي كل ما في نفسك فإني أعطف عليك وحينئذ فتح الغلام يزرعيل قلبه وأخبره ببيت أبيه الذي في غزة وبما يحس به من حب شعبه إسرائيل وأخبار شمشون وما جرى عليه من العذاب وأخبره بالبلسم الشافي العجيب الذي في أرض جلعاد وأنه مسافر للحصول عليه فأصغى إليه الشيخ وأعجبه حديثه وقال له: قصتك هذه أثرت في قلبي تأثيرا شديدا وأنا مستعد لمساعدتك والحق أقول لك أنني ما سمعت قط شيئا من خبر البلسم العجيب ولا أعرف أين يوجد ولكن إذا قوى عزمك عليه فقم وتوجه إلى جلعاد ويفعل الله ما يشاء ، وهكذا تعاهدا على ذلك ، وكذلك رجال القافلة أحبوا يزرعيل وأكرموه ، ولم يزل رئيس القافلة يحث رجاله على المضي في السير إلى جلعاد لأن الثروة الكبيرة هناك فكانوا يغذون السير ليلا ونهارا ووجوههم إلى الشمال.

كيف نجا يزرعيل من الموت

ولما وصلت القافلة إلى ميروم من أرض الأردن أخذ قلب يزرعيل ينبض بسرعة ، لأنه رأى من بعيد أرض جلعاد بلاد أحلامه فقوى أمله ولما اجتازوا الحدود التي بين الأردن وإسرائيل تصدى للقافلة جماعة من الآراميين فوقعت ملحمة بين الفريقين وكان الآراميون أقوى وأكثر عددا من المدينيين فقتلوا كثير من المدينيين ووقع سائرهم في الأسر ولم ينج إلا يزرعيل فإنه اختبأ ثلاثة أيام بلياليها في مخبأ وبقى مضطجعا لا يبرح مكانه فقال في نفسه وقد اشتد به الجوع: خير لي أن أموت في أرض آبائي من أن أحيا عبدا في أرض الغربة إن الله لم يرض طريقي ولا عملي وغمض عينيه وبقى ينتظر الموت بينما هو كذلك ظهر له نور ففتح عينيه وإذا بامرأة واقفة أمامه تنظر إليه نظر الأم الرحيمة لابنها فمدت المرأة يدها ليزرعيل وناولته كعكة لتحى بها فإن هذا خبز مقدس جئتك به لأحفظ نفسا إسرائيلية عزيزة مقدسة كل ما تقدر أن تأكله والباقي احفظه في مزودك لتأكله في الطريق فسألها يزرعيل وما الطريق الذي أسلكه ؟ فقالت له خذ دائما طريق الجنوب المتوجه إلى بئر السبع ومن هناك تذهب

إلى أرض فلسطين التي فيها بيت أبيك ، وإياك أن تسكن بعد الآن بأرض الغربة يا بنى اذهب بقوتك هذه وخذ أباك وأمك وكل أهل بيتك وارجع إلى أرض آبائك إلى إسرائيل ثم قال لها والدموع تملأ عينيه: والبلسم الشافي العجيب الذي فيه شفاء شمشون ؟ فقالت له رحم الله شمشون وأماته موت الأبطال ولم يمت شمشون موت العبيد لم يمت شمشون حتى مات معه خلق كثير من الفلسطينيين[٢٣] أكثر مما قتله في حياته منهم وبهذا ختمت المرآة حديثها أما يزرعيل فإنه لم يزل يسير ومعه بقية الكعكة وكلما جاع يأكل منها فيشعر بقوة عظيمة لم يكن له بها عهد من قبل ، مشى يوما وليلة ولم يشعر بتعب ولم تمر أيام كثيرة حتى وصل يزرعيل إلى بيت أبيه فلما رآه أبوه لم يصدق عينيه ، أما أمه فعانقته وهى تقو ، لم أيأس من بقائك يا بنى ولم تزل نفسي تحدثني أنك ستعود إلينا ، ولما رأى الأب بطولة ابنه قال: أنت الابن العزيز عندنا يا يزرعيل أنت غلام طيب ، نحن مستعدون لنفعل كل ما تأمرنا به فارتحل وارتحل معه أهل بيته كلهم إلى إ ائيل وصار ليزرعيل اسم بين العظماء والأبطال بعدما كبر ورأى يزرعيل فتاة تشتغل في الكرم فأعجبته فتزوج بها، وبنى لنفسه بيتا في أرض إسرائيل وصار له بنون وبنات ، وفى ذات يوم جاءه أحد أحفاده وقد رجع من روضة الأطفال فجلس على ركبتيه وقال له: يا جدي حدثتنا اليوم المعلمة بقصة إبراهيم أبينا وسارة أمنا وضيوفهما الذين زاروهما من الملائكة وفهمت كل شيء من ذلك إلا الكعكات الثلاث التي صنعتها أمنا سارة لضيوفها ولم يأكلوها، لأنهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون فأين هي تلك الكعكات ومن أكلها فمسح الشيخ رأس حفيده وقال له: الرب يعلم ما في نفوس الصديقين فينصرهم ويعينهم فيعطى أحدى الكعكات عبدا صالحا من عباده المؤمنين حين يراه جائعا ومضطرا وسالكا الصراط المستقيم وكان التلاميذ يستمعون لحكاية المدير بشغف عظيم كأن على رؤوسهم الطير فنظر إليهم وإذا بطفلة صغيرة تسيل الدموع من عينيها وتقول يا حضرة المدير قد علمنا مصير إحدى الكعكات فما فعل الله بالكعكتين الأخريين ، ولكن المدير لما فرغ من حديثه في قصة يزرعيل وشمشون ضرب الجرس مؤذنا

---

(٢٣) معنى هذا الكلام أن شمشون لما يئس من الحياة ة الخلاص من أيدي أمرائه خطر بباله ما ورد في التاريخ عن ذلك العربي الذي صرعه عدوه فجاء رفقاؤه يخلصوه منه فوجدوا عدوه جاثما على صدره كالكابوس فقال لرفقائه ، أقتلوني هزا عنيفا فسقط البيت كله عليه وعلى من كان معه من الفلسطينيين المتفرجين.

بوقت الاستراحة ، وصار التلاميذ كلهم يتساءلون عن الكعكتين الأخريين من أكلهما فشكرهم المدير وهدأ من روعهم قائلا سأخبركم بخبرهما فلتطب نفوسكم ولتقر أعينكم فسأطلب من المعلمة أن تسمح لي بوقت في اليوم السادس من الأسبوع وهو يوم الجمعة لأشرح لكم قصة الكعكتين الباقيتين ، فلما كان يوم الجمعة مساء أجتمع التلاميذ وكتبوا كتابا بموافقة المعلمة إلى المدير ولما سمعت المعلمة أن المدير يلتمس منها الأذن وتعيين الوقت ضحكت فبعث الكتاب إلى المدير ، ولما جاء المدير إلى الروضة رأى التلاميذ قد أتموا عملهم المدرسي واستعدوا لتقديس يوم السبت ففرح بذلك ، ورأى المدير المعلمة قد وضعت منضدة في وسط المقصورة وعليها غطاء أبيض وفوقه أصص الأزهار وشموع البيت وفي وسطها صندوق التبرعات لدولة إسرائيل ، ولما رأى الصبيان المدير مقبلا أنشدوا نشيد السبت بلسان واحد ، وحيا التلاميذ المدير فرد عليهم التحية بمثلها وقال عسى أن لا أكون قد قطعت عليكم شغلكم فقالت المعلمة لا لم تقطع علينا شغلنا فتفضل فإن التلاميذ متشوقون إلى بقية حديثك وكلنا آذان صاغية ، فجلس المدير على الكرسي وجلست المعلمة إلى جانبه ووقعت في الروضة ضجة من الفرح والتشوق فقال المدير أيها الأعزاء اليوم أحكي لكم حكاية وقعت منذ سنين كثيرة جدا ، بعد شمشون العظيم وبعد داود الملك عليه السلام وبعد يهودا المكابي وقع هذا الأمر طرد الأعداء آباءنا الأولين من أرضهم ، فأخذ اليهود يتنقلون من أرض إلى أرض ، ولا يجدون مستقرا حتى وصلوا إلى أسبانيا ، وفي أول الأمر استقبل الأسبانيون أسلافنا اليهود بترحيب وفتحوا لهم أبواب أرضهم فأخذ اليهود يعملون بجد ونشاط وبورك في عملهم فحصلوا على مال كثير وعيش رغد ، فكان منهم الأغنياء الكبار والتجار والأدباء والعلماء والشعراء وأيضا كان منهم الشجعان أبطال المعارك ولكن دوام الحال من المحال ، فقد تنبه لهم الحساد اللئام وقالوا في أنفسهم: ما بال هؤلاء اليهود قد أثروا في أرضنا واستولوا على خيراتها وصاروا فيها هم السادة الأمراء يأكلون خيرات أرضنا ولا يعبدون آلهتنا هلم نطردهم من بلادنا ونستولي على أملاكهم الكثيرة ، وإذا باليوم العصيب يجيء على اليهود بعضهم راكبون على الدواب وبعضهم يمشون على الأقدام وبعضهم راكبون في سفن هكذا خرجوا خروج الغرباء المبعدين وكان عبديا وحيد أبوه وأمه وكان أبوه رجلا معظما جدا وقد فرح به أبوه وأمه واجتهد في تعليمه

وتربيته على أعمل الخير ولكن المجرمين الأشرار ذهبوا إلى الملك ووشوا بوالد عبديا فجاءه رسل الملك وأوثقوه هو وزوجته في بيتهما وحكم عليهما بالموت فقتلا أما عبديا فأخذه الأسبانيون ووضعوه في بيت آلهتهم ليتعلم دينهم ويتربى عليه وينسى دين أبيه وشعبه لكن الواقع لم يكن كما أملوا واشتهوا.

ما كل ما يتمناه المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

فإن عبديا مع صغر سنه تفطن لما أرادوا به وقال في نفسه والله لا أنسى ديني ولا شعبي ولن أعبد آلهة الأسبانيين أبدا ، لأنها آلهة باطل ، وكان عنده كتاب التعليم العبراني قد خبأه ولم يطلع عليه أحد منهم ، وبقراءته لهذا الكتاب كل يوم كان أمله في النجاة ينمو وأخذ يعتقد جازما أنه سيأتي يوم يعود فيه إلى شعبه وكان بيت آلهتهم مغلق الأبواب على الدوام فلا أمل له في الخروج ولكن عبديا كان يصغى إلى ما يتحدث به الكهنة ، ولما سمع منهم نبأ أخراج اليهود كلهم في يوم واحد من بلاد أسبانيا حزن حزنا عظيما وخاف خوفا شديدا ، وقال في نفسه يا ويلي إن طرد جميع أخواني من هذه الأرض فأي عمل يكون لي ولن أنجح في الخروج بسلام من هذا البيت، فأين أذهب وأين أنجو ومن يفتح لي بابه ؟ هكذا الغلام يقول في نفسه وأخذ مع ذلك يفكر في الفرار من هذا البيت واللحاق بإخوانه اليهود من قبل أن يخرجوا من أسبانيا ، وفى ذات يوم ليلة أخذ حبلا وربط نفسه ثم ربطه في الطاقة ونزل به إلى الأرض وكان الحراس غائبين في ذلك الوقت بسبب هطول الأمطار وكانوا مستترين قريبا من البيت فأبصروه وتبعوه ففر هاربا بكل قوته منهم واستمر كذلك حتى وصل إلى جماعة من اليهود وانضم إليهم فاستقبلوه بكل سرور وقالوا له يا ويلنا فإننا لا نستطيع أن نجد لك بيتا تأوي إليه لأننا خارجون جميعا من هذه الأرض ، ولكن إن أردت أن تصحبنا فتعال معنا نسير حيث سيرنا، لأنك أخونا ولما وصل إلى الشاطئ وجد سفينة توشك أن تقلع من الشاطئ الأسباني فركب فيها ، ولم تسر بهم إلا قليلا حتى هجم عليها لصوص البحر واستولوا على أهلها فقتلوا الشيوخ والعجائز وأخذوا من بقى من الرجال والنساء والصبيان سبيا ليبيعوهم عبيدا وإماء فلما رأى أن الخطب جلل ألقى نفسه في اليم فضحك منه اللصوص وقالوا هذا صبى شجاع عنيد لا يشتريه احد منا وكان والده قد علمه السباحة ، فأخذ يسبح إلى أن رأى خشبة طافية على وجه الماء فتعلق بها ولم ينقطع

بقلبه ولسانه عن ذكر الله والدعاء أن ينجيه الله فسبح يوما وليلة فلما جاء الصباح رفع عبديا بصره فرأى اليابسة قريبة ، فاشتد عزمه وسبح حتى وصل إلى جزيرة في البحر لم يجد في تلك الجزيرة ديارا ولا نافخ نار ولا حيوانا ولا شجرة ولا نباتا ولا ماء عذبا وليس فيها إلا الشمس فوق رأسه والأرض تحت قدميه كأنها صحراء هذا مع ما هو عليه من التعب والجوع والعطش وبقى كذلك يومين وليلتين هائما على وجهه فلم يجد أثرا للحياة ، ولما اشتد له الجوع والجهد سقط على الأرض مغشيا عليه فغمض عينيه وأخذ ينتظر الموت فما راعه إلا ظل ظلله من فوقه ففتح عينيه فإذا بنسر عظيم نزل بقربه ومعه كعكة تعبق منها رائحة الجنة فوضعها أمامه ثم بسط جناحيه وطار في السماء فلما أكل عبديا تلك الكعكة انتعشت نفسه وعلم أن الله معه ، ولما سقط الفتات من الكعكة على الأرض نبتت من أشجار فاكهة لذيذة الطعم ، وبقى على ذلك أياما في كل يوم يذهب إلى شاطئ البحر وينظر لعل سفينة تأتى ، وفى ذات يوم رأى سفينة تقرب من الساحل وتأمل فإذا هي من سفن اليهود المطرودين من أسبانيا تائهين في البحر فركب معهم في السفينة وبعد سبعة أيام وجدوا أرضا فنزلوا بها وكان ملك تلك الأرض طيبا فسمح لهم بالإقامة في بلده والعمل في أرضها والأكل من ثمراتها ، فكبر عبديا وصار رجلا طيبا من أهل العلم والحكمة وتزوج امرأة فولدت له بنين وبنات ، ولما شاخ وطعن في السن أوصى أبناءه بالعمل لكسب عيشهم والتمسك بدينهم لي إن يتيسر لهم الرجوع إلى أرض آبائهم وأسلافهم إلى أرض إسرائيل ، لم تبق لنا إلا كعكة واحدة من الكعكات الثلاث التي حفظتها أمنا سارة عندها وقالت لأبينا إبراهيم: أنمكث في عدن منعمين وأنا أعلم أن آلافا من أولادي من بنى إسرائيل يتضررون جوعا يوما بعد يوم ، أنا أسمع صلوات أحفادي يطلبون المعونة وهم في سوء وفى شدة ما أعظم رحمتي لهم وحزني عليهم ، كل بنى إسرائيل محتاجون للمعونة ، للدواء أتعلم يا إبراهيم لمن أدخر هذه الكعكة المقدسة أدخرها لنفس عزيزة جدا لواحد من أحفادي ابن أو ابنة قلبه أشد حرارة من جميع الناس ، نفسه مقدسة وطيبة أكثر من جميع الناس ، هذه الكعكة محفوظة في يدي سنين بل مئات السنين لا ينالها أحد إلا صفورة ابنة الفلاح وهى ابنة سبع عشرة سنة فقط ، وهى ابنة القائد الإسرائيلي ، إن صفورة لا تعلم أن أمورا عظاما تمر بها في حياتها القصيرة وترى من الخير مثلها ولكن ما تراه من الشر أكثر. في أيام طفولتها

تواجه الموت وتعاينه وجها لوجه في بيت والدها بكنيسة وارشو من بلاد بولونيا ، قد مارست الموت وعرفته ، فإن اللصوص قتلوا أهل بيتها أباها أمها وأخاها الكبير وأختها كلهم ماتوا بأيدي اللصوص ولم ينج منهم إلا صفورة ابنة عشر سنين بعد المعركة وجدها الجنود ملقاة على الأرض مريضة وجائعة فأخذوها إلى المستشفى فأخذت قوتها ترجع إليها شيئا فشيئا وبعد يوم واحد خرجت من المستشفى وذهبت إلى مساكن اليهود المهاجرين ، وفى تلك الأيام كانت أرض إسرائيل مغلقة في وجوه اليهود فمتى أراد يهودي أن يدخل إلى إسرائيل وجب عليه أن يبقى منتظرا زمانا طويلا حتى يأذن له الحكام البريطانيون في الدخول ، وقد قام البريطانيون حراسا على حدود أرض إسرائيل ولا يسمحون لليهود المهاجرين ن يدخلوا أرض آبائهم ، ويقول الماجرون: نحن لا نستطيع الانتظار أكثر مما مضى نحن نريد أن ندخل أرض إسرائيل لنتعاون مع أخواتنا على إصلاح الأرض وإعمارها وحراستها وهؤلاء المهاجرون يتعاون معهم جميع يهود العالم ، وفى مقدمتهم يهودا أمريكا فإنهم ساعدهم بكل ما يستطيعون بالمال والسفن الكبار والصغار وكان الملاحون الأقوياء يوقفون سفن المهاجرين على شاطئ إسرائيل أياما كثيرة والرجال والنساء والصبيان في جوف البحر لا يسمح لهم بالنزول إلى البر وهم جياع وظمأى خائفون ، أما صفورة فكانت تتمشى مطمئنة تساعد المرضى وتشجع الصبيان الخائفين وتهدئ روعهم وكل الناس ينادونها يا أخت لأنها تعاملهم جميعا معاملة الأخت لأخوتها كثير من المهاجرين لما طال عليهم الانتظار ألقوا أنفسهم في اليم وحاولوا أن يسبحوا إلى الشاطئ فكان الجنود البريطانيون يلتقطونهم ويأخذونهم إلى جزيرة قريبة من حيفاء ومدينة من أرض إسرائيل ، وكانت صفورة من جملتهم فإنها ألقت نفسها في الماء وأخذت إلى تلك الجزيرة وكانت صفورة تطيب نفوس الصبيان وتقول لهم نحن الآن صغار وسيجيء يوم نعود فيه إلى أرض آبائنا ونتعلم العبرانية لأنها لغة شعبنا ولغة أرضنا ولغة التوراة ولغة المخلصين الذين استعمروا الأرض وهيأوها للإقامة وأيضا نتعلم العمل لأن أرض إسرائيل لا يستحقها إلا العاملون فاستمع رفقاؤها لنصيحتها وتعلموا اللغة العبرانية وتعلموا العمل، نعم سيجيء يوم تصير فيه صفورة إلى أرض إسرائيل مع رفقائها، إلى أرض الجليل التي أعدت لهم وكذلك وقع فان صندوق التعاون الإسرائيلي هيأها لهم فحرثوها وزرعوها ، وكل صباح

يخرجون للعمل وينشدون نشيد الأمل إلا صفورة فإنها تبقى حارسة الصبيان والصغار ولشدة عنايتها بالأطفال كان الناس يسمونها أم الأطفال لأنها كانت تحبهم حبا عديم النظا

صفورة عظيمة

ثم جاء اليوم العظيم يوم الرب سنة ١٩٤٨ ذلك اليوم العظيم العجيب الذي قامت فيه دولة إسرائيل فسمعت أصوات الفرح في جميع جهات العالم وأصيب يهود العالم كلهم برعشة السرور وسالت دموع الفرح من أعينهم ولكن أعداء إسرائيل لم يفرحوا ولم يذوقوا طعم الراحة فقامت قيامة جيران إسرائيل وهم العرب وبذلوا كل جهدهم لإبادة إسرائيل إن أعداء إسرائيل قساة القلوب لا يرحمون شيخا كبيرا ولا صبيا صغيرا ولا امرأة ولا طفلا لكن بنى إسرائيل قاموا للحرب قومة رجل واحد وكانت الملحمة قاسية ضارية وكانت القرية التي فيها صفورة قريبة من حدود العدو فحاصر العدو القرية حصارا شديدا فقال أهل القرية بعضهم لبعض يا ليتنا وجدنا سبيلا لإنقاذ الصبيان فقط من مكان الخطر وحينئذ لا نعرف الخوف ولكن كيف نستطيع إخراجهم والعدو محيط بنا من كل جانب وصعدت صفورة إلى برج الماء ونظرت إلى ما حولها فعلمت عيناها بنور خاطر خطر في ذهنها ، فرجعت وقالت رفيقاتها أيتها الرفيقات إذا جاء المساء يجب أن نخرج الأطفال من القرية هذا ما أشير به عليكن، فقلن: وأنت يا صفورة؟ فقالت لهن: أنا سأبقى هنا ، فقلن: ولم ؟ فقالت هذا سر الجماعة لا أبوح به فقلن لها وكيف نخرج ؟ فقالت: تخرجن بالسيارة وتسلكن الطريق المتوجه إلى الجنوب إلى حيفا المدينة ، وسوف يستقبل الصبيان هناك بفرح ، أخرجن من الباب الكبير ولا تخفن فإن العدو لا يراكن فإنه متنح عنكن لوقت ما ، فقلن لها وكيف علمت أن العدو قد تنحى عن طريقنا إلى وقت ما ؟ فقالت هذا أيضا سر الجماعة لا أبوح به صار الأمر يكاد كما قالت صفورة ، جاءت السيارة كانت طلقات من رجال العدو من الجهة الأخرى للقرية، فسارت السيارة التي فيها الصبيان تنهب الأرض نهبا متوجهة إلى حيفا ، والآن ينبغي لنا أن نعود إلى صفورة لنعلم كيف خرجت بنفسها من القرية ووصلت بسلام إلى رفيقاتها قالت صفورة لرئيس الجماعة: إنها تريد أن تخرج في تلك الليلة وتصير

خلف معسكر العدو حتى تصل إلى جماعتها فأبى الرئيس وقال لها: نحن لا يمكن أن نرسل فتاة تواجه الموت نرسل بذلك شابا ، فتهيأ كثير من الشبان للذهاب ولكن صفورة أبت بعناد وتصلبت في رأيها فقالت له لا ثم لا ، إن الشبان قليل عددهم ونحن محتاجون إليهم للقتال ، فيجب أن نحافظ عليهم والله لو أني أعرف كيف أقاتل لوددت أن أقاتل معكم العدو وحينئذ لا أعرف ما هو الخوف ، إني أعرف كيف أخفى نفسي وأصل إلى جماعتي في هذا الليلة فرأى رئيس الجيش الصدق في عينيها ووافقها على مرادها فلبست صفورة جلد كبش وأخذت تمشى على أربع فرآها العرب وظنوها شاة هاربة من غنم العبرانيين وقالوا: إن العبرانيين خافوا أن يخرجوا من معسكرهم ليردوا هذا الكبش فمرت الفتاة تمشى على أربع ولم يمسها أحد بسوء حتى صعدت الربوة وأخذت منظارها ونظرت إلى ناحية المعسكر، فرأت أنها قطعت مسافة لا بأس بها ورأت السيارة التي فيها الصبيان سائرة تقطع الأرض وأنوارها تسطع وقد قربت من مدخل مدينة حيفا ووصلت بسلام ، ولما رأى العرب أنوار السيارة أطلقوا عليها النيران فلم يصيبوها أما صفورة فنزلت من الربوة مسرعة واختفت بين الأشجار ، لكنها فجأة شعرت بألم في رجلها فوضعت يدها على رجلها وإذا بالدم يخرج وهى لا تدرى لماذا يخرج الدم ولم تدر أنها أصيبت برصاصة من رشاشات العدو واستمر الدم سائلا، فعند ذلك قالت صفورة في نفسها هذه نهاية الأمل ، ورأت غمامة سوداء تمر أمام عينيها ثم أغمى عليها ولما استفاقت وجدت نفسها ضعيفة جدا لأن خروج الدم الكثير من جسمها نهك قواها حتى لم تقدر على القيام وكانت جائعة لم تأكل شيئا منذ الصباح وشفتاها يابستان لأنها لم تشرب ماءًا فقالت صفورة في نفسها الآن لم يبق لي أمل في الحياة وفى تلك اللحظة ذكرت صفورة كلما مر عليها في حياتها من يوم مات والدها إلى تلك اللحظة ، فعرفت أن حياتها كلها كانت مرة جدا وأن الظلام في حياتها كان أكثر من النور، وأن الحزن في حياتها أكثر من الفرح فبكت صفورة ومع ذلك لم تدع صفورة لنفسها بل كان دعاؤها لقومها وللصبيان الذين سافروا في السيارة لأن الصبيان كانوا في خطر فلعلهم خرجوا من الظلام إلى النور ثم فتحت عينيها ونظرت إلى السماء وقالت بصوت خافت يا رب احفظ بنى إسرائيل في طريقهم فإنهم طيبون وأعزاء وبينما هي كذلك إذا بنور عظيم مقبل عليها فمدت يدها بكل قوتها إلى النور فوجدت في يدها كعكة فلما وضعتها على

فمها زال عنها كل ما كان عندها من الألم والحزن فلمعت عيناها وعاد لها أملها ولما علمت أن تلك الكعكة هدية كريمة قامت صفورة من مكانها وفى ظلمة الليل توجهت إلى مساكن بنى إسرائيل تتحد معهم في المعركة المقدسة ولما رآها أهل القرية فرحوا كثيرا وازداد فرحهم لما جاءت البشارة من حيفا وعلمت أن الصبيان وصلوا بسلام وكل الرفقاء نظروا إلى صفورة العظيمة نظرة إجلال وإعجاب فامتلأت قلوبهم شعورا بالشكر لله تعالى ولما جاءتها أحدى الصديقات بطعام قالت لها شكرا يا ربقة لا حاجة لي بالطعام خذي هذا الطعام للمقاتلين ولا تهتمي بي أنا؛ لأني أكلت.

ولما فرغ المدير من حديثه وقعت ضجة في الكتاب من شدة الغبطة والفرح وأخذت الدموع تنهمر من أعين كثير منهم من شدة تأثرهم بما سمعوا وشكروا المدير الذي يعرف كل شيء، ولا سيما سر الكعكات الثلاث التي صنعتها أمنا سارة، وكان لدانى مع ذلك أسئلة يريد أن يسألها ولكن المعلمة تهيأت للنشيد فرفعت صوتها بالنشيد وشاركها الصبيان كلهم.

تنبيه:

قال محمد تقي الدين مترجم هذه القصة من أصل عبراني: لا أرى بي حاجة إلى زيادة شرح وبيان فإن القصة واضحة في مدلولها ولكني أريد أن أخبر القراء الكرام بخبر يهمهم معرفته وهو أن كل صبى أو صبية من أبناء اليهود في الولايات المتحدة له مدرستان عليه أن يتعلم فيهما ، الأولى المدرسة العبرانية كل يوم يتوجه إليها لدراسة اللغة العبرانية والتوراة وتاريخ اليهود وكتب العقائد والعبادات والثانية المدرسة العامة التي لابد لكل مستوطن في الولايات المتحدة أن يتعلم فيها لينال حقوقه المدنية كاملة وكل هؤلاء التلاميذ ينجحون في المدرستين ، أما أبناء العرب والمسلمين فحالهم معروفة فلا يهتم آباؤهم إلا بتحصيل شهادات تضمن لهم المعيشة وكثير منهم وخصوصا الأغنياء يسلمون أبناءهم وبناتهم إلى مدارس دعاة النصرانية ويدفعون أجورا غالية زيادة على حرمان أبنائهم من التربية الصالحة التي تجعلهم أعضاء صالحين في قومهم محافظين على دينهم وكرامتهم والله الموفق.

وصلى الله على خير خلقه وآله وصحبه ومن اقتدى به إلى يوم الدين ؟.

انتهت ترجمة هذه القصة مساء اليوم ٢٦ من الشهر الخامس سنة ١٣٩٣ من هجرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيها عبرة لمن يعتبر وكان ذلك بالمدينة النبوية على من شرفها الله به أفضل الصلاة والسلام.

تنبيه:

لا أدرى هل ترجمت هذه القصة من الإنجليزية أم من العبرانية أم منهما جميعا وفيها عبرة للعرب والمسلمين وحافز لهم لتعلم دين الإسلام وتعليمه للصغار والكبار إذا أرادوا أن يرجع لهم ما كان لآبائهم من العز والنصر.

«والله على كل شئ قدير»

تعليم الإناث وتربيتهن



بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله تعالى ونصلي ونسلم على محمد رسوله وعلى آله وصحبه.
في هذه المسألة اليوم ثلاثة مذاهب متباينة:

المذهب الأول: عدم تعليمهن أكثر من قراءة المصحف بدون فهم.

قال أصحاب هذا المذهب: إنه أحسن المذاهب وأولاها بالصواب، وهو الذي وجدنا عليه آباءنا وهم كانوا أحسن منا، وتعليم النساء يفسد أخلاقهن، فإن المرأة التي لا تقرأ ولا تكتب تكون بعيدة عن متناول شياطين الإنس، فإن القلم كما لا يخفى أحد اللسانين، فبعدم معرفتها للقراءة والكتابة تأمن شر هذا اللسان وبضرب الحجاب المتين عليها تأمن شر اللسان الثاني، فيتم لها الأمن.

وكم رأينا من متعلمات لم يأتهن الشر إلا من قبل تعلمهن، وهذا في زمان الإسلام والعفاف والأنفة العربية، وأما في هذا الزمان فقد بلغ السيل الزبى، واتسع الخرق على الراقع. فإن معرفة الفتاة للقراءة توصل إلى ذهنها جميع ما يقع في الدنيا من الفساد والمخادنة وتملأ فكرها بهواجس خبيثة كانت في عافية منها.

وفي الحديث: «**لا تسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة، وعلموهن المغزل وسورة النور**» فهذه هي التربية الصحيحة، فتعليم الكتابة ذريعة إلى المكاتبة مع الفجار، وإسكانهن الغرف ذريعة إلى التخاطب ولو بالإشارة مع الفساق، وتعليمهن المغزل فيه شغل نافع لهن بما فيه من رياضة البدن والفكر وبما يثمره الغزل من المال الذي يستعن به على معاشهن، وتعليمهن سورة النور يحملهن على العفاف، لأن فيها حد الزنا والزجر عنه، وحد القذف، وتوبيخ فاعله، وفيها حكم اللعان وما يلحق صاحبيه من العار والخزي، وفيها قصة الإفك والمرأة الظاهرة البريئة، وبيان ما أعد الله لمن يقذف المحصنات الغافلات عن الشر المؤمنات بالله من العذاب الأليم في الدنيا والآخرة، وفيها أمر الله للمؤمنين والمؤمنات بغض البصر وعدم إظهار زينتهن والنهي عن التبرج بالزينة، وهذا والله نعم الأدب للفتاة، ولو عمل الناس بهذا الحديث لصلحت حال النساء ورأى الناس من الخير والعفاف ما لم يكن لهم به عهد منذ زمان بعيد.

المذهب الثاني: تعليمهن وتربيتهن على منهاج دعاة التفرنج

قال أصحاب هذا المذهب: نحن لا نريد أن نطيل القيل والقال، ونضيع أوقاتنا في الجدال الفراغ، هناك أمم راقية حرة سعيدة في حياتها. وهناك أمم أخرى منحطة مستعبدة شقية في حياتها، وقد نظرنا فوجدنا أن سبب سعادة تلك وشقاء هذه هو العمل والمال، لذلك عزمنا على الاقتداء بالأمم الراقية، لنكون مثلهم: نقتدي بهم في التعلم والتعليم والتربية والتفكير والزي والمعيشة ونظام الحكم وفي كل شيء. ومن ذلك تعليم المرأة وحرية المرأة ومساواتها للرجل في كل شيء ممكن بلا قيد ولا شرط. فهذا الذي نؤمن به ونعمل على تنفيذه وقولكم بدفن النساء في قبور البيوت ومنعهن من التصرف في أموالهن وشؤونهن، ومنعكم لهن حتى من التنفس في الهواء ومن رؤية طريقهن إذا دعتهن ضرورة للخروج، بل تغاليتم حتى جعلتم صورتهن عورة ونقصتم حقهن في الميراث فجعلتموه على النصف ويا ليت النصف الباقي يسلم لهن، فإنه يضيع في أغلب الأحوال، لأن لزومها الحجاب وكون أخيها أو أبيها أو ابن عمها هو الرقيب عليها يضيع عليها النصف الذي تركتم لها، لأن هذا القريب غالبا يعتدي عليها فيأكل مالها، والحجاب يمنعها من المطالبة بحقها فتحرم من كل شيء وتبقى في ظلمات سجنها تشكو إلى ربها ظلم الرجال وجورهم.

ولا يقف الأمر عند ذلك، بل يحرم العالم من نصفه، سواء قلنا كما يقول الأوروبيون إن هذا النصف هو الأفضل، أو قلنا إنه مساو، وكيف تحيا أمة نصفها ميت تماما ونصفها الآخر أشل بسبب الجهل والانحطاط، والرقي لا يتجزأ، فإما أن يعم الآباء والأمهات والأبناء، وإما أن يكون الجميع منحطين، وهل سمعت بأمة رجالها مهذبون متمدنون ونساؤها في غاية الجهل والتوحش والبعد عن الحياة؟.

ولماذا لا تصير المرأة حاكمة وملكة ورئيسة ومحامية ونائبة في مجلس النواب، وعينا في مجلس الأعيان؟، أليس سبيل ذلك كله هو العقل والخلق وقوة الذهن وحسن التدبير؟ وهل تتجرؤون أن تدّعوا أن المرأة محرومة من العقل والتفكير لا تصلح لشيء إلا للنتاج كالفرس والبقرة؟ إذن لقد نزلتم بأمهاتكم إلى أسفل سافلين.

ولعمري أن مثل هذه الأفكار جديرة أن تحط الأمم من عليائها، وتسبغ عليها ثوب الخمول بل وتقبرها في رمس الهمجية.

كم من ملايين من النساء شاركت في الحرب العالمية الأخيرة؟ وعلى مذهبكم هذا البائس لا توجد امرأة واحدة من بين النساء المقبورات في سجن البيوت تقدر أن تضرب بسهم في الدفاع عن الوطن.

وأما ما تشاغبون به من العفاف، فهو عادة والعادات دائما عرضة للتغير وإن كان أمس من الأمور التي تلحظ بعين الاعتبار فهو اليوم من الأمور التي تدعو إلى السخرية، وقد رأينا عظماء الرجال في البلاد السعيدة ذات السيادة المطلقة وفيهم الفلاسفة والعلماء والأمراء والوزراء لا يعبئون بهذه الأمور ولا يحسبون لها حسابا وقد استقر عندهم أن الفتاة إذا بلغت سبع عشرة سنة فقد صارت حرة في نفسها تصنع ما تشاء وتخالط من تحب وتسافر وحدها ليلا ونهارا، ونحن نقتدي بهذه الأمم ونترسم خطاها في جميع الشؤون.

المذهب الثالث:

متوسط بين المذهبين السابقين قد أخذ خير كل منهما وصوابه، وترك شره وخطأه، وذلك أن تعلم المرأة تعليما يناسب ما خلقت له أولا وهو تدبير المنزل وملؤه سعادة ونظاما وجعله منبتا صالحا للبنين والبنات الأبرار. وثانيا لتكون عونا للرجل في جميع شؤونه المعاشية والحربية والخلقية.

قال أصحاب هذا المذهب: إن أهل المذهب الأول مفْرطون، وأصحاب المذهب الثاني مفرّطون، ونحن نرد عليهم جميعا، ونبين ما عندهم من الخطأ، بادئين بأهل المذهب الأول فنقول: إن منعكم المرأة من التعلم أو حصره في قراءة حروف المصحف دون فهم لمعنى ما تقرؤه منه، في غاية البعد عن الصواب، فلا هو إسلامي، ولا هو عقلي أو علمي محض، وإن زعمتم أنه موافق للإسلام وذهبتم في ذلك كل مذهب، حتى احتججتم بحديث واه ساقط لا تقوم به حجة عند أصحاب الحديث، هذا من جهة الرواية، وأما من جهة المعنى فهو باطل، فإن أزواج النبي ﷺ كن يقرأن، ويكتبن، وغيرهن من الصحابيات، والتابعيات، والحافظات المحدثات، اللاتي روى عنهن الحفاظ.. حتى إن كتب أسماء الرجال: كتهذيب التهذيب، والميزان، ولسان الميزان، والخلاصة، وقبلها طبقات ابن سعد وغير ذلك كلها مشحونة بأسماء عالمات وفقيهات وأديبات، ذلك في زمان عظمة الإسلام حين كانت راياته منصورة وجيوش أعدائه مكسورة مدحورة.

وأما آباؤكم المتأخرون الذين تريدون أن تقتدوا بهم في تجهيل النساء، فلم يكونوا قط أهلا للاقتداء بهم، فإن زمانهم هو زمان الجاهلية الآخرة، وكل الذي يقاسيه الإسلام اليوم فهو نتيجة أعمالهم، ومع ذلك لا نسلم لكم أن أهل العلم من آبائكم كانوا يقولون بهذا القول المرذول، وكيف وقد كان في زمانهم عالمات أديبات، وإن كن قليلات، فلم ينقطع الخير عنهن بالمرة.

وأما قولكم: إن القلم أحد اللسانين، وإن المرأة لجهلها بهذا اللسان وضرب الحجاب الشديد تأمن شر اللسانين، فقد أخطأتم في ذلك خطأ فاحشا. ألم تعلموا أن الفتاة التي ساءت تربيتها لا يمكن صيانتها ولو جعلت في حق وكانت صماء بكماء، والفتاة التي ربيت على العفاف والتحصن لا يصل إليها سوء ولو كانت بين الرجال في غير ريبة، وقد كانت النساء يرافقن رجالهن في الغزوات، وكان النبي ﷺ يصحب معه نساءه في الغزو والحج، وكانت نساء الصحابة غير قابعات في بيوتهن بل يخرجن لأشغالهن إن كانت، ويعلفن الخيل، ويكدحن في أموالهن، وكان النساء يغزون بعد النبي ﷺ، وذلك مسطور في كتب الحديث لا نطيل بذكره، فلم يضرهن ذلك لقوة إيمانهن وكمال عفافهن.

والحاصل أن تعلم الكتابة والقراءة لا يصير المرأة فاسدة ولا صالحة وحده، فإن كانت صالحة فإن تعلمها الكتابة والقراءة يزيدها سلاحا، وإن كانت تربيتها فاسدة فبتعلمها تزداد فسادا؛ لأن العلم بالقراءة والكتابة آلة صالحة للاستعمال في الخير والشر معا.

وأما تعليم سورة النور فهو من أعظم ما أدب الله به المسلمات، وهو كنز عظيم، وذخر جسيم، ولكن ينبغي للفتاة أن لا تهجر غير هذه السورة من القرآن، وسبيل تعليم القرآن هو القراءة، والقراءة لا تنفع إلا بمعرفة المعنى، ومعرفة المعنى لا يمكن إلا بتعلم النحو والصرف واللغة، ولا بد لمن تتعلمه من القراءة والكتابة وأنتم منعتم ذلك، فهذا تناقض منكم وأنتم لا تشعرون.

يصيب وما يدري ويخطي وما درى وكيف يكون النوك إلا كذلكا

وأما تعليم المغزل فهو حسن، ولكن أهم منه في المدن على الأقل تدبير المنزل وتدبير الصحة والتمريض وما أشبه ذلك.

وأما قولكم إن الفتاة في هذا الزمان إذا كانت قارئة تصل إلى ذهنها أنواع الشر بقراءة صحف الخلاعة ومجلاتها، فهو صحيح! ولكن الجاهلة أيضا يصل إليها ذلك بالذهاب إلى السينما ولو خلسة في غيبة الرقيب وتصل إليها بطريق الراديو، ويصل إليها بطريق زائراتها ومحدثاتها، وإذا فسد الجو لم تنفع المعتزل عزلته.

فلو أنكم انتقدتم منهاج تعليم الفتاة وطالبتم بإصلاحه وإبداله بمنهاج كامل يضمن للفتاة التربية الصحيحة بدل إنكاركم للتعليم مرة لكان ذلكم أقرب إلى الصواب.

أما أهل المذهب المقابل فقد أفرطوا وتجازوا الحدود وضلوا ضلالا بعيدا ولا بد أن نناقشهم الحساب، ونبين ما في حملتهم من الحجج الواهية الداحضة، التي هي أوهن من بيت العنكبوت فنقول لهم: أما قولكم إن أمم العالم قسمان: أمم راقية سعيدة، وأخرى منحطة شقية فهو حق، وأما قولكم إن سعادة أولئك السعداء جاءتهم من أعمالهم وأحوالهم فهو صحيح أيضا، ولكنه مجمل يحتاج إلى تفصيل وبيان، وفي إجماله أمكنكم أن تدخلوا ما أدخلتموه من المغالطة، وبيان ذلك أولا أن الأمم الأوروبية تختلف اختلافا كثيرا يكفر من أجله بعضهم بعضا، حتى أن الكاثوليكي لا يقدر أن يتزوج بامرأة بروتستانتية، وإن تجرأ على ذلك عوقب من قبل الكنيسة بالحرمان وهو مصيبة اجتماعية عظيمة. ويختلفون في مناهج الحكم، حتى يفضي بهم ذلك أن يفني بعضهم بعضا بلا إبقاء ولا رحمة، ويختلفون في شؤون النساء فمنهم من يرى وجوب مراقبة الفتاة والمحافظة التامة عليها ومنهم من يطلق لها العنان بعد بلوغها سن الرشد القانوني، ومنهم من يجيز البغاء الرسمي كالأمم اللاتينية لحصر الفساد في أماكن محدودة حسبما ظهر لهم، وهؤلاء يعاملون البغيات بشيء من الرحمة. ومنهم من يحرم البغاء الرسمي كالأمم الجرمانية والأمة البريطانية، وهؤلاء يعاملون البغيات بكل قسوة حتى إنهم ليجعلونهن طبقة منبوذة مستقذرة كالذباب، فلا يمكن البغي أن تتصل بأحد من النساء والرجال ذوي الشرف والمروءة، فهم عندهم كما قال الشاعر:

لتقعـــــدن مقعـــــد القصـــــي مـــــني ذي القـــــاذورة المقلـــــي

ثم إن هذا التساهل في العرض الموجود عند الأوروبيين لم يكن ناتجا عن المدنية والرقي، بل لا علاقة له بهما أصلا، وإنما هي عادة ورثوها عن آبائهم في زمان جهلهم وهمجيتهم، كما يشهد ذلك تاريخهم، وكذلك بعض الأمم المجاورة للبحر الأبيض المتوسط من غير

الأوروبيين، وهي قبائل البربر الذين ليس عندهم من الإسلام إلا اسمه، كآبن مكيلد، وآيت سخمان، واشقيرن، وآيت إسحاق، وآيت هودى وغيرهم، وهذه القبائل في الألوان وبرودة الدم مثل أهل شمالي أوروبة، والغيرة عندهم معدومة، حتى إني رأيتهم إذا وجد أحدهم مع زوجته رجلا يطلق رصاصة في الهواء، لا ليصيب أحدهما بأذى، بل ليعلن الأمر، فيجتمع الناس من كل حدب ينسلون، فيقول لهم الرجل: اشهدوا على فلان فقد وجده مع زوجته، فيقولون: سنشهد لك بما رأينا، فإذا اجتمع ملؤهم في الحي يدعو الزوج ذلك الرجل إلى المحاكمة، فيأتي ويحضر أمام شيوخهم، فيتهمه، ويحضر الشهود، فيشهدون، ومع ذلك كله يجحد المتهم ويقول: إنه لم يفعل شيئا، فيحملون عليه طبقا للعرف أن يدفع إلى الزوج ستة أريلة وكبشا، فيمعن المتهم في الإنكار والامتناع من أداء الغرامة، فيهم الزوج بقتله، فعند ذلك يجري الناس في الصلح بينهما، فيترك الزوج إحدى الغرامتين، إما الكبش وإما ستة أريلة.

وما لنا نذهب بعيدا، فقد جاء في صحيح البخاري أن رجلا كان عنده غلام عسيف أي أجير، فزنى هذا الغلام بامرأة مخدومه، فسأل الرجل بعض الناس ممن ظن أن عندهم علما، فأفتوه أن على الغلام أن يدفع لزوج المرأة مائة شاة، فدفعها أبوه عنه، ثم ذهب إلى النبي ﷺ فأخبره بالقصة، فخطأهم النبي ﷺ في حكمهم وقال: «**أما الغنم فهي رد على أبي الأجير وأما الأجير فعليه جلد مائة وتغريب عام**»، وأما المرأة فبعث إليها النبي ﷺ رجلا اسمه أنيس وقال: «**أغد عليها فإن اعترفت فارجمها**».

فأنت ترى أن مثل هذا الحكم البربري وجد في العرب في زمان النبي ﷺ، والبشر هم البشر لا يمتاز شعب عن شعب إلا بأخلاق الأنبياء وعلوم المدنية، فمن جمع بين هذين جمع السعادة الكبرى.

والمقصود هنا أن الأوروبيين لم يتسامحوا في شأن النساء نتيجة لنهضتهم المدنية، وإنما ساروا - في هذه القضية - على نهج من قبلهم، وأقروه بالعمل عليه، وتأليف القصص التمثيلية وغيرها.

أما حرية المرأة فليست مرتبطة بهتك النساء، وسقوط عفافهن، فقد توجد حرية النساء مع تمام العفاف، وقد توجد عبودية النساء مع غاية التهتك.

ونحن وجدنا آباءنا الأولين الذين سادوا العالم علما وأخلاقا وحضارة ورقيا، وكنا لهم نحن شر خلف لخير سلف، فقد كانوا في قضية النساء على صراط مستقيم، فكانت المرأة عندهم عضوا حيا نشيطا تشاركهم في العلم والعمل في البيت وفي المزرعة وفي ميدان القتال، عليها حجاب يحفظ شرفها ومكانتها، ولا يمنعها من أخذ حقها إذا ظلمت، ولا من مشاركة الرجال في الأعمال السلمية والحربية عند الحاجة، ولذلك أدرك أسلافنا من المدنية أعلاها ومن الرقي ذروته رجالا ونساء، ولم يمنع أدب القرآن المرأة من الرقي، بل هو الذي أوصلها إلى أسناه مصونة العرض والعقل والشرف.

وأما آباؤنا المتأخرون فقد انحرفوا عن الجادة في الدين والدنيا وعلومهما فلما عجزوا عن إقامة صروح العفاف والأخلاق الكريمة، وتنفيذ حدود الشرع المحمدي العظيم، لجأوا إلى الاختفاء والفرار والاختباء، فغلوا في الحجاب حتى دفنوا النساء كما قلتم، ومنعوهن من الخروج، وإذا خرجن يفرضون عليهن ستر وجوههن إلا عينا واحدة أو نصف عين، وجعلوا أصواتهن عورة، وحديثهن مع الرجال وإن كانوا صالحين، وبحضرة محارمهن أو أزواجهن وقاحة، وزادوا على ذلك فقال بعضهم بمنعهن من القراءة والكتابة، فضاعت بذلك حقوقهن التي أعطاهن الشرع المحمدي كالميراث والبيع والشراء والشهادة والوكالة وسائر التصرفات، وصرن بالأموات أشبه منهن بالأحياء، بل تعدى الأمر إلى أن جرت العادة بدس البكر في ظلمات الخدور وحجبها حتى عن النساء، فلا تراها أعين والديها وإخوتها، وبطلت بذلك السنة المحمدية التي قال فيها الرسول الكريم عليه السلام: «**إذا أراد أحدكم أن يتزوج امرأة فلينظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينهما**» أي فإن ذلك أجدر أن يوقع بينهما الاتفاق إذا رأى كل منهما الآخر في غير ريبة ولا خلوة.

والجرائم التي وقعت بالغلو في الحجاب (على غير وجهه الشرعي) كثيرة ومشاهدة، وبذلك صارت حوادث التزوير تقع في الزواج فتكون عند الرجل ابنتان مثلا إحداهما جميلة والأخرى دميمة، فإذا جاء خاطب لا يعرفهما ولا تعرفهما العجوز التي تنوب عنه في الخطبة، وكانت الجميلة اسمها ليلى والدميمة اسمها دعد يوهمونها أن الدميمة هي الجميلة ويغالطونها فتقع الكارثة على رأس الرجل المسكين ويذهب ماله ضائعا.

ولو قام رجال عقلاء صالحون بتغيير هذه العادة ورد النساء إلى ما كن عليه في زمان النبي ﷺ وهو ما عليه نساء القرى والبوادي في البلاد الإسلامية بأسرها من أول ظهور الإسلام إلى اليوم - مع أدب غض البصر ونحوه لوجب أن يصغى لإصلاحهم وأن يعانوا عليه، ولكن أكثر الذين يدعون إلى ما يسمونه: تحرير المرأة وإعطاءها حقوقها ليس لهم في قلوب الأمة ثقة ولا مكانة، ولا تطمئن إليهم النفوس، وما لهم أخلاق ولا غيرة على الدين والعرض، والجمهور لذلك متهمهم بأن لهم في دعوتهم مآرب أخرى كمآرب الذئب في رعي الحملان. وهؤلاء لا يشكون في أن النساء وإن كن قد أصابهن بالغلو في الحجاب شر عظيم، فإن الشر الذي أصابهن وسيصيبهن بالتبرج والتهتك ليس له حدود، وهو مبني على شفا جرف هار أعظم بكثير من ذلك. فقضية إصلاح حال النساء لم يعالجها طبيب ولا راق، بل صارت بين حزبين مفْرطين ومفرِّطين، ونحن علم الله لو رأيناكم - يا دعاة تحرير المرأة - داعين إلى إصلاح النساء دعوة مبنية على أساس متين من العقل والحكمة وتوخي صلاحهن وسعادتهن، وأن يصرن أمهات كاملات الأمومة ينتجن إناثا صالحات، وذكوراً صالحين، ويملأن بيوتهن سعادة، لو رأيناكم كذلك لآزرناكم وتعاونا معكم، ولكنا رأينا فيكم الطيش، وسوء النية، والتغرير بالفتيات الغافلات، ومخادعتهن على عفافهن، وتزيين الموبقات لهن، وتصيدهن بكل حيلة، وقعودكم لهن كل سبيل مما لا يفعله العدو بعدوه، فرأينا أن جمود الجامدين أخف ضررا مما تدعون إليه.

وأما قولكم: إنكم في هذه المخادعة ونصب الحبائل التي تصيب البيوتات بالدمار والخراب تقتدون بأهل أوربة.. فهو من العجب العجاب! فقد تقدم أن أهل أوربة لم يصنعوا ذلك بأيديهم وإنما هو صنع أجيال مضت، بل حاولوا أن يصلحوا تلك الحال، ودونكم البيان:

من المعلوم أن التزوج في البلاد التي لا تزال متمسكة بشريعة الإسلام وآدابه سائرا سيرا حسنا، ومعدل المتزوجات نحو خمس وتسعين في المائة، مع ما تعلمون من شدة ذلك الحجاب، وما ذلك إلا بفضل هداية الإسلام.

أتعلمون أن حكومة هتلر لما رأت أن المتزوجين في المدن الألمانية من الرجال والنساء لا يزيد عددهم على أربعين في المائة سنت قانونا يقضي بتقديم خمسة آلاف مارك (أي أربعمائة

دينار، حسب الصرف في ذلك الزمان) لمن يريد التزوج. وهذا المبلغ يكون سلفا عند الزوجين، فإن ولد لهما ولد عفي لهما عن قسط منه، وإن استمرت المرأة تلد الأولاد أسقط عنهما دفعه.

وسنت الحكومة أيضا قانون تكريم الوالدات في كل سنة في الربيع وخصصت الحكومة لهن تحفا وهدايا ذات بال. وسنت قانونا يقضي بمساعدة كل والدين بلغ عدد أولادهما خمسة مساعدات مالية طيبة مع إسقاط الضرائب عنهما. هذا وكانت ضرائب العزاب رجالا كانوا أو نساء في زمان الحرب العالمية الأخيرة تساوي ثلث دخل الشخص في كل شهر، إذا كان راتبه عاليا، والأباء والأمهات الذين بلغ عدد أولادهم خمسة معفوة من الضرائب، ومع ذلك كله لم يزد عدد المتزوجين في المدن على أربعين في المائة، أما في القرى فقد كانت نسبة المتزوجين أعلى من ذلك لضرورة التعاون على المعيشة.

فإن قلت وأي الجنسين كان يتحمل تبعة قلة التزوج في المدن؟ أقول بلا تردد ولا شك الرجال، لأن كل امرأة أيم سواء كانت غنية أم فقيرة كان قلبها يحترق شوقا إلى الزواج، حتى إن الإنسان لا يجد موضوعا يتكلم فيه مع الأيم ليسرها ويطيب نفسها أحسن ولا مماثلا لموضوع الزواج، ولا سيما إن كانت من أولئك البائسات اللاتي تسلط عليهن أحد لصوص الزواج (هايرات شفندلر) فإن هؤلاء اللصوص المجرمين كم أهلكوا من فتيات كن كأزهار الربيع في غاية التألق والسعادة والنعيم فنقلوهن إلى جحيم الشقاوة وقضوا عليهن القضاء الأخير. وهؤلاء الشياطين يردون المدن في صورة شبان قد بلغوا الغاية في الجمال والتأنق وأجادوا كل شيء يغري الفتاة ويسيل لعابها من حسن الهندام والظرف ولطف الحديث وإتقان جميع أنواع الرقص والتبذير في النفقة، وحسن الذوق في انتقاء جميع الأشياء وانتقادها. وهؤلاء لهم أسماء متعددة وكلها من أسماء البيوتات الأرسطقراطية. وقد تكون لهم هويات جوازات متعددة تثبت ذلك ولا يصيدون إلا بنات كبار الأغنياء فيظهر اللص أولا للفتاة أنه ابن أمير أو غني كبير، ويذهب أمامها إلى البنك ويخرج مبالغ كبيرة من المال أو يبعث برقية إلى أحد شركائه فيأتيه المال في الحال، وترى تلك الفتاة صور الفتيات اللاتي أوقعهن سوء طالعهن في حبالته ومكاتباتهن معه، فترى جمالهن وعلو أدبهن وكونهن من بنات البيوتات فتزداد استهواء وفتنة حتى إذا نضجت ثمرة خداعه وعميت الفتاة وطاش

لبها، تظاهر بتأخر حوالة عظيمة كان قد طلبها من أبيه واخترع لذلك عذرا، فتقوم الفتاة الغرة وتأتيه بالمبلغ الذي يريده من المال فيأخذه، ولا يعسر عليه أن يخترع سببا لسفر عاجل وأنه سيرجع إليها، فيكون آخر العهد به، وقد يتركها في بعض الأحيان حاملا، ولكن هذا نادر جدا لأنهم يحتاطون للحمل باستعمال الوسائل المانعة منه، ولا يكادون يتساهلون فيها إلا بعد عقد النكاح بصورة رسمية.

وهل يعلم هؤلاء الدعاة أن المرأة في أرقى دول أوروبا تشعر بالحاجة إلى حماية الرجل وقواميته عليها، ورئاسته ولا يغنيها عن هذه الحاجة مال ولا علم ولا شرف ولا حسب ولا منصب أبدا. ومما يحكى في هذا المعنى أن الملكة البريطانية العظيمة فكتوريا جاءت يوما إلى غرفة زوجها، فدقت الباب، فقال من بالباب؟ فقالت: أنا الملكة، فقال: لا حاجة لي بالملكة، فانتبهت في الحين إلى خطئها وتلافته، فقالت افتح! أنا عزيزتك فكتوريا، فقال: الآن أفتح.

وخضوع الأنثى للفحل أمر جعله الله في طبع كل أنثى من الحيوان الأبكم والناطق، ولا سبيل إلى إزالته عنها، لأنها لا تقدر أن تكون أنثى بدونه، كما جعل الله في طبعها الدلال والغنج أيضا، فهذان الخلقان معجونان في فطرتها.

هذا ولا تستغني المرأة عن حماية الرجل ولو في أرقى الأمم فقد أخبرتني (فراوزلي) في مدينة (بن) أنها حين كان زوجها في قيد الحياة، كان يجرعها غصصا، بسبب خليلة كانت له، ولكن بعد وفاته نسيت كل ذلك وحزنت على فراقه وقد ترك لها فراغا عظيما في كل شيء، حتى إنها إذا كتبت إلى شركة تطلب منها بضاعة تحذف آخر اسمها ليظن المكتب إليه أنها رجل فلا يتهاون بطلبها.

وأخبرتني أيضا أنه يأتي إلى بابها أحيانا بعض المساكين الذين يسألون الصدقة على الأبواب خلافا للقانون، فترحم السائل ولا تحب أن ترده، ولكنها تلقي إليه الفلوس من شق الباب، وتخاف أن تفتح له الباب، فيكون لصا في صورة سائل.

وكانت لي في برلين جارة لها ثلاثة أولاد صغار، فكنت حين أسمع صفارة الإنذار أسمع معه بكاء المرأة وأولادها! لأن عليها أن تملأ سطلا كبيرا تعده لإطفاء الحريق وتوقظ أولادها الثلاثة، وتلبسهم ثيابهم، وتأخذ لهم شيئا يأكلون وشيئا يشربون، لأن مدة الغارة قد تدوم ست ساعات أو أكثر، وفي ذلك الوقت - وهو من أول الحرب إلى سنة ١٩٤٢ - كانت

الغارات الجوية لا تأتي في الغالب إلا ليلا.

وبهذه المناسبة أذكر أن الغارات في أول زمان الحرب كانت قسمين: غارات روسية، وعلامتها أن تأتي بعد الغروب بنصف ساعة لقرب الروس، وهذه لم يكن الألمان يخافون منها، وأكثرهم لا ينزلون إلى الملاجئ وغارات إنكليزية، وهذه كانت تفتك فيهم فتكا ذريعا، وكان الألمانيون يحسبون لها حسابا وأي حساب.

قلت: إني كنت أسمع بكاء تلك الأم وأولادها، ولم يكن لها جار من الرجال غيري، فكنت آخذ أحد الأولاد في يدي وننزل الدرج، وفي أكثر الأحيان لم تكن الغارة الجوية تمهل هذه المرأة حتى تستعد للنزول، فكانت رعود الغارة والمدافع المضادة لها وبروقها تبتدئ قبل نزولنا، فكان هؤلاء المساكين يتوقفون مرتجفين عن عبور المسافة التي بين دهليز الدرج وباب السرداب لأن هذه المسافة مكشوفة تحت السماء بلا حاجب، فكنت أشجعهم حتى يعبروا، فإذا نزلت معهم أربع درجات من السرداب رجعت، لأني لم أكن أختبئ من أجل خصومة وقعت بيني وبين مراقب المخبأ، وفعلا وقعت القنابل على تلك الدار واحترقت الغرفة التي كنت أنام بها بما فيها، ولكن بعد خروجي من ألمانيا.

ولو ذهبنا نعدد الأدلة على حاجة المرأة إلى قوامية الرجل وحمايته لطال بنا القول.

وأما قساوة أرقى الأوروبيين من الأمم على النساء وعدم الرحمة والرفق بهن، فحدث عن البحر ولا حرج.

فمن ذلك أن العادة جارية عندهم بأن المرأة لا تقدر أن تتزوج حتى تحضر صداقا أقله خمسة آلاف مارك، وأكثره لا حد له، ومن أسعدها الحظ بالتزوج فعلى حسب مالها تقدر أن تجد زوجا ملائما لها، لأن الزوج لا يرغب في المرأة لجمال ولا لدين ولا لحسب، بل يقدم المال على ذلك كله.

فترى المرأة تقضي شطرا كبيرا من شبابها في العمل لجمع المال الذي به وحده يكون لها بعض الأمل في الزواج، ففي برلين تشتغل الخادمة بثلاثين (ماركا)، وفي المدن الصغيرة بعشرين (ماركا) مع أكلها في كل شهر، وتضيق على نفسها فتحرمها من كل شيء لتجمع صداقا، وقد تكون أمًا عجوزًا ضعيفة لا بد لها أن تساعدها من ذلك الراتب القليل ببعض الماركات، فكم يجب عليها أن تخدم من السنين حتى تجمع آلاف الماركات؟ وإذا جمعت

مقدارا يمكنها من التزوج بفقير مثلها، تحتاج إلى أن تؤم المجتمعات كدور الرقص والسينما وغيرها، وإذا وجدت فرصة للحديث مع رجل تغتنمها.

والعادة جارية بأن الرجل هو الذي يدعو المرأة للرقص، وهو الذي يبدأها بالكلام فقد تذهب إلى ناد من الأندية التي يجتمع فيها الناس وتنفق شيئا من المال، وهي به جد ضنية، فتدخل دار السينما أو القهوة، أو المطعم، أو دار الرقص، ولا تظفر بأحد أصلا فتعود خائبة، ثم تنتظر حتى تجد فرصة أخرى، لأن مثل هذه الفرصة لا تتيسر لها في كل يوم، بل أحسن أحوالها أن تتيسر لها في الأسبوع مرة.

وإذا ساق الحظ لها واحدا فقد يكون مخالفا لها في الدين، وقد يكون مخادعا.

فإذا وجدت رجلا موافقا في كل شيء فلا بد أن تجتمع به الفينة بعد الفينة وتختبر عشرته وحاله، فإن أعجبها فإن العادة التي جرت أن يتواعدا على الزواج ويبقيا سنين طويلة متواعدين، وفي طيلة مدة التواعد تظل خائفة عليه أن ينقض عهده ويتركها.

وهذا كثير جدا: أعرف كاتبة في القسم الشرقي من جامعة (بن) كانت في قلبها غصة لا تفارقها أبدا، وذلك أن رجلا عاهدها على التزوج، وبقي معها أربع عشرة سنة يعيش معها كما يعيش الزوج مع زوجته، أي يجتمع بها في أوقات فراغهما، ويخالطها كما يخالط الرجل زوجته، لا أنه ينفق عليها شيئا أو يتعاونان على المعيشة، لأن ذلك إنما يقع بعد عقد النكاح والاجتماع الرسمي، فيسميان زوجين، وأما قبل ذلك فيسميان متخاطبين فقط، وبعد مضي أربع عشرة سنة قضت فيها زهرة شبابها معه، وجد امرأة أكثر مالا منها فتزوج بها وتركها تتقطع حسرات.

وهذا نموذج من ألوف من أمثاله، ومن غريب ما وقفت عليه من شؤون المتخاطبين عندهم أن الرجل يخطب المرأة فيتفقان على الزواج، ويبقيان مدة طويلة يتعاشران عشرة المتحابين، وهي كما قلنا مخالطة تامة كمخالطة الزوجين، ثم يعقدان النكاح ويجتمعان على الزواج، فلا يلبثان أن تسوء عشرتهما، فيقع الشقاق بينهما ثم يعقبه الفراق.

ومن عجيب ما سمعت من ذلك في مدينة (بن) الألمانية أن متخاطبين بقيا مدة عشرين سنة متعاشرين في غاية الوفاق والوئام، ثم تزوجا، فلم يلبثا إلا سنة واحدة حتى وقع الطلاق بينهما، وكانت تلك السنة كلها خصومات ونزاعا بينهما، فسألت عن سر ذلك

فأخبروني أن الرجل والمرأة ما داما متخاطبين يستر كل منهما أخلاقه الحقيقية ويتخلق بغيرها مصانعة وتملقا لصاحبه، مخافة أن يمله ويفسخ الخطبة، فإذا وقعت عقدة النكاح بينهما يسقط كل واحد منهما الكلفة، ويزول التملق، وتنكشف مخبآت الأخلاق والعادات، فيتلوها التنافر ثم النزاع والخصام ثم الطلاق.

وبهذا تعلم أن قول بعض الأغرار من الشرقيين باستحسان مخالطة الخاطب لمخطوبته قبل العقد، وخلوته بها ومعاشرته لها، زاعما أن ذلك يكشف لكل واحد منهما دخيلة الآخر فيقع الاتفاق، فالحب هو أساس الزواج السعيد، إن هذا القول باطل، وحديث خرافة، لأن هذين المتخاطبين لا يمكن لأحد منهما أن يعرف طباع صاحبه الحقيقية إلا بعد إسقاط الكلفة، وذلك يكون بعد العقد، ولأنهما غير معصومين من المباشرة المحرمة وعاقبتها الوخيمة في العاجل والآجل.

ولذلك حرم الله تعالى على لسان نبيه ﷺ الخلوة بالأجنبية وقد جاء في الخبر: «**ما خلا رجل بامرأة، يعني أجنبية، إلا كان الشيطان ثالثهما**»، ونهى رسول الله ﷺ عن الدخول على المغيبات - يعني النساء اللاتي أزواجهن غائبون - وسئل عن الحمو، وهو أخو البعل، هل يغتفر دخوله على زوجة أخيه وخلوته بها؟، فقال ﷺ: «**الحمو الموت**» يريد أنه شر من البعيدة في الخلوة، ونهى ﷺ أن تسافر المرأة إلا مع زوج أو ذي محرم، كل ذلك كان منه محافظة على العرض والنسب والدين، وصلاح ذات البين، وصيانة لحقوق الرحم، أما نظر المتخاطبين كل منهما الآخر في غير خلوة ولا ريبة فلا بد منه، وقد أمر به النبي ﷺ كما تقدم، وقولهم: إن الزواج السعيد أساسه الحب، فيه نظر فإن الحب على أنواع، منه: حب الشهوة كحب الطعام والشراب وركوب الخيل، وما أشبه ذلك، فهذا الحب هو في الحقيقة ألم يحز في النفس، ويعظم بفقد المسكن، وهو قضاء الغرض من المطلوب فإذا ظفر صاحبه بمطلوبه سكن ألمه وضعفت رغبته في ذلك المطلوب، وصار ينظر إليه بعين غير العين التي كان ينظر إليه بها عند فقده، وقد تستمر هذه الرغبة في الضعف حتى تنعدم، والدليل على ذلك أن كثيرا من الناس كانوا يعشقون نساء، وبذلوا في سبيل التزوج بهن كل ما يستطيعون بذله، فلما وصلوا إلى غرضهم لم يلبثوا أن ملوا أولئك النساء، ولم تبق لهن قيمة عندهم، لأنهم كانوا يحبونهن حب شهوة، فلما قضيت قضى معها الحب نحبه، وهذا عام في البشر:

الشرقيين منهم والغربيين. وقد سئل بعض الأوروبيين: من تحب من النساء؟ فقال: أحب جميع النساء ما عدا زوجتي! فإن لم يزل ذلك الحب بالمرة، فإنه يضعف كثيرا جدا، فإذا اتفق أن المحبوب كان غليظ الطبع جافيا سيئ الخلق كان ذلك أدعى إلى موت ذلك الحب بسرعة وربما انقلب بغضا وعداوة.

ومنها حب ميل زوجي وهذا أطول عمرا من الذي قبله، فإن صادف أن المحبوب كان متصفا بأخلاق ملائمة لطبع المحب، ازداد ذلك الحب قوة على مر الأيام وثبت، وليس مقصودنا أن ننفي أن حسن الصورة من دواعي الحب الصحيح، ولا نقول بغض النظر عن كل حسن جسمي والاكتفاء بالجمال النفسي فإن هذا خطأ فإن الحب الصحيح لا يتم إلا إذا كان المحبوب جميلا في نفسه وهذا الحب يبنى على الزواج الشرعي الذي يكون كل من الزوجين قد رأى صاحبه قبل الزواج ورضي به زوجا بدون إكراه ولا إغراء، فإن صادفه الاتفاق في الأخلاق ومتانة الدين، كان ذلك أقوى له وأرسخ لقواعده، وهذا هو الذي أمر به الإسلام.

وأما اعتراضكم على الإسلام في جعله ميراث المرأة نصف ميراث الرجل، فهو اعتراض ساقط، لأن الرجل قد فرض عليه الإسلام فرائض مالية لم يفرضها على المرأة، منها دفع المهر، ومنها النفقة على الزوجة والأولاد والوالدين الفقيرين، زيادة على أن عليه حماية هؤلاء، والدفاع عنهم فهو في حاجة إلى المال، بخلاف المرأة فحاجتها في الجملة إلى المال قليلة.

بعض الرسائل القصيرة



حكم مصافحة المرأة المسلمة للرجال الأجانب

الحمد لله الذي جعل من كل شيء تشتهيه نفس الإنسان حلالا وحراما، فأحل الحلال وحرم الحرام، وجعل تحريمه لزاما. فقال تعالى: ﴿ **وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ (النحل: ١١٦، ١١٧). وصل اللهم على عبدك ورسولك محمد الذي أخرجت به عبادك المؤمنين من الظلمات إلى النور، وأمرتهم بالاقتصار على الحلال، وبينت لهم ما فيه من الأجور، وعلى آله وأصحابه الذين هم القدوة في جميع الأمور.

أما بعد:

فيقول العبد الفقير، إلى الكبير المتعالي، محمد تقي الدين الحسيني الهلالي، سألني أحد الإخوان الصادقين، المتبعين للنبي الأمين، عن حكم الله في مصافحة المرأة المسلمة للرجال الأجانب، الذين لا يحرم عليهم التزوج بها تحريما مطلقا.

فأقول وبالله التوفيق:

أجمع المسلمون من السلف والخلف على أن لمس المرأة الأجنبية في أي موضع من جسمها حرام ومعصية لله، وقد وقعت لي في ذلك قصة عجيبة في بلاد الهند، كان لي تلميذ وهو الشيخ عبد الباري الزواوي من أهل مسقط في عمان، كنت رئيسا لأساتذة الأدب العربي في ندوة العلماء بالهند، فقال لي: إن أخي يسكن مدينة كراتشي وهو من التجار الكبار، فأرجو منك إذا مررت بكراتشي أن تنزل عنده، ولا تنزل في أحد الفنادق وأعطاني عنوانه، فبحثت عنه فوجدته، ورأيته محافظا على الصلاة في أوقاتها فسرني ذلك، ثم ركبنا السيارة وسار بنا إلى بيته، وإذا هو قصر عظيم تحيط به حديقة، فجلست في الحديقة على كرسي أقرأ في صحيفة، فشعرت بشيء وقف أمامي، فرفعت بصري فإذا الرجل تقف إلى جنبه امرأة مكشوفة الصدر والعنق والرأس والذراعين والساقين، فمدت إلي يدها للمصافحة، فلففت طرف طيلساني على يدي، ومددت يدي إليها، وقبضت يدها وغضبت وانصرفت، فقال لي بعلها: كيف تهين زوجتي ؟

فقلت: إن كانت هناك إهانة فأنت الذي أهانها. فقال لي: لماذا امتنعت من مصافحتها هل في يدها جرب، فقلت له: لا تغالط. إن جسم المرأة كله يحرم لمسه على الأجنبي لمسه وموضع لا يجوز، فأخذ يجادلني حتى انقطع.

والآن ينبغي أن أذكر الدليل على ما أفتيت به هنا. ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيي عن بينة.

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره في آخر سورة الممتحنة عند قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ** ﴾ الآية ما نصه: روى البخاري، عن عروة أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ** ﴾ إلى قوله: ﴿ **غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ قال عروة: قالت عائشة: فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله ﷺ: «**قد بايعتك**» كلاما، ولا والله ما مست يده يد امرأة في المبايعة قط، ما يبايعهن إلا بقوله: «**قد بايعتك على ذلك**» هذا لفظ البخاري. وررى الإمام أحمد، عن أمية بنت رقيقة قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نساء لنبايعه، فأخذ علينا ما في القرآن: ﴿ **أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ** ﴾ الآية، وقال: «**فيما استطعتن وأطقتن**»، قلنا الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، قلنا: يا رسول الله ألا تصافحنا ؟ قال: «**إني لا أصافح النساء إنما قولي لامرأة واحدة قولي لمائة امرأة**».

وعن سلمى بنت قيس– وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ وقد صلت معه إلى القبلتين، قالت: جئت رسول الله ﷺ، نبايعه في نسوة من الأنصار، فلما شرط علينا ألا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف قال: «**ولا تغششن أزواجكن**» قالت: فبايعناه، ثم انصرفنا، فقلت لامرأة منهن: ارجعي فسلي رسول الله ﷺ ما غش أزواجنا ؟ قالت، فسألته فقال: «**تأخذ ماله فتحابي به غيره**».

وقال الإمام أحمد عن عائشة بنت قدامة– يعنى ابن مظعون– قالت: أنا مع أمي رائطة ابنة سفيان الخزاعية والنبي ﷺ يبايع النسوة ويقول: «**أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن، ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن،**

ولا تعصينني في معروف – قلن: نعم – فيما استطعن» فكن يقلن وأقول معهن وأمي تقول لي: أي بنية نعم، فكنت أقول كما يقلن " وقال البخاري، عن أم عطية قالت: بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا ﴿ **أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا** ﴾ ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها، قالت: أسعدتني فلانة، فأريد أن أجزيها، فما قال لها رسول الله ﷺ شيئا، فانطلقت ورجعت فبايعها، وفي رواية: فما وفى منهن امرأة غيرها وغير أم سليم ابنة ملحان. وقد كان رسول الله ﷺ يتعاهد النساء بهذه البيعة يوم العيد، كما روى البخاري، عن ابن عباس، قال: شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان، فكلهم يصليها قبل الخطبة ثم يخطب بعد. فنزل نبي الله ﷺ فكأني أنظر إليه حين يُجلس الرجال بيده، ثم أقبل يشقهم حتى أتى النساء مع بلال فقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ** ﴾ حتى فرغ من الآية كلها، ثم قال حين فرغ: «**أنتن على ذلك؟**» فقالت امرأة واحدة ولم يجبه غيرها: نعم يا رسول الله، لا يدري حسن من هي، قال: «**فتصدقن**»، قال: وبسط بلال ثوبه، فجعلن يلقين الفتخ والخواتيم في ثوب بلال. وعن عبادة بن الصامت قال: كنا عند رسول الله ﷺ في مجلس فقال: «**تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولاتزنوا ولا تقتلوا أولادكم – قرأ الآية التي أخذت على النساء: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ ﴾ – فمن وفى منكما فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه**». وقد روى ابن جرير، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أمر عمر بن الخطاب فقال: «**قل لهن إن رسول الله ﷺ يبايعكن على أن لا تشركن باللّه شيئا**» وكانت (هند بنت عتبة بن ربيعة) التي شقت بطن حمزة متنكرة في النساء، فقالت هند وهي متنكرة: كيف تقبل من النساء شيئا لم تقبله من الرجال ؟ فنظر إليها رسول الله ﷺ وقال لعمر: « **قل لهن، ولا يسرقن**»، قالت هند: والله إني لأصيب من أبى سفيان الهنات ما أدري أيحلهن لي أم لا، قال أبو سفيان: ما أصبت من شيء مضى أو قد بقي فهو لك حلال، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها، فقال: ﴿ **وَلا يَزْنِينَ** ﴾ فقالت: يا رسول الله وهل تزنى امرأة حرة؟، قال: «**لا والله ما تزنى الحرة**» قال: ﴿ **وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ** ﴾ قالت هند: أنت قتلتهم يوم بدر فأنت وهم

أبصر، قال: ﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ﴾ قَالَ: ﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾

قال: منعهن أن ينحن وكان نساء الجاهلية يمزقن الثياب، ويخدشن الوجوه، ويقطعن الشعور، ويدعون بالويل والثبور.

قال محمد تقي الدين من المعلوم أن النبي ﷺ معصوم من الذنوب، وأن المبايعة وهي المعاهدة كان الرجال يصافحونه عندها، فامتنع النبي ﷺ من مصافحة النساء حتى يبين أن مصافحة الرجال للنساء حرام، وحتى لا يقتدي به الخلفاء الذين يجيئون من بعده، ثم إن مصافحة الرجال للنساء الأجنبيات مأخوذ من الأوروبيين النصارى، وقد أمرنا بمخالفتهم، وهم لا يكتفون بالمصافحة بل يرقص الرجل مع المرأة بطنا لبطن، فمن تشبه بهم فهو منهم كما قال النبي ﷺ. فالواجب على المرأة المسلمة أن لا تسمح لرجل أجنبي أن يلمس شيئا من جسمها، لا اليدين ولا غيرهما، إلا إذا كانت مريضة، ولم تجد امرأة تداويها، فحينئذ يجوز للطبيب (....) أن يداويها ولو لمس جسمها ولا يستثنى من ذلك زوج الأخت، ولا حمو المرأة وهو أخ زوجها، ولا ابن عمها، ولا ابن خالها، لأنهم أجانب شرعا.

والله يوفقنا جميعا للعمل بما أمرنا به وترك ما نهانا عنه أو نهى عنه رسول الله ﷺ. والحمد لله رب العالمين.

وكان الفراغ منه بعد العصر يوم الخميس سابع ذي الحجة سنة ١٤٠٠هـ للهجرة.

هل من الصواب منع المرأة من الجلباب

كنت وعدت القارئ الكريم في مقالي السابق (الأرواح تزهق جوعا) على أنني سأوافيه عن موضوع منع المرأة من الجلباب وما أحدث من سيئات.

أصدرت الباشوية أمرها بمنع المرأة مطلقا من لبس الجلباب والحذاء، كما أعطت أمرها للحراس بأن يسوقوا كل من عثروا عليها لابسة لذلك إلى السجن، وقد أحدث هذا المنع أمرا تعرق لسماعه الجبين.

كنت يوما مارا بشارع بوخشخاش، خارج البلد، حيث كنت قاصدا بستانا جميلا بهذه الناحية اعتدت الجلوس به لحسن موقعه أولا، ولخلوه ثانيا من الملأ، وكان بيدي كتاب من كتب الآداب أردد النظر فيه زمن جلوسي بهذا البستان، وبعدما استقررت في مقعد من مقاعده، فتحت كتابي ومضيت في قراءة فقرة فقرة من فقراته طويلا، ثم رفعت رأسي من مطالعتي الطويلة كي آخذ حظي من الطبيعة، لأكون جامعا بين الطبيعة والاستفادة، فوقع بصري على شخص مسلم مقبل نحوي وبمعيته أنيسة في لبسة فرنجية أنيقة لم أعهد قط معرفتها، ولا وقع بصري على شخصها الجميل، فظننت أنها أجنبية، بيد أن صاحبها المسلم سبق لي أني أعرفه معرفة سطحية، فمضيت في قراءة كتابي معتقدا أن مسلما مصاحبا لأجنبية، وهذا أمر ليس بمستغرب، وكنت في أثناء قراءتي أسمعهما مرة يتكلمان بالفرنسية ومرة بالإسبانية، وبعد مدة من جلوسهما نهضا معا، حيث ذهبا توا إلى دار للسكنى هناك، أدركت أنها لناس بسطاء يسكنونها، وبعد أن اقتربا من المحل المذكور ودع كل صاحبه، حيث دخلت الأجنبية(المظنونة) إلى المحل المذكور. فقلت في نفسي بعد تخمين: إنه يمكن أن يكون للأجنبية صديقة مسلمة هناك، حيث أن المسلمات يخدمن بكثرة مع الأجنبيات، وبعد مفارقة المسلم صاحبته، رجع قاصدا البستان، حيث جلس في مقعده الذي كان جالسا وصديقته فيه، فكلمته بالتحية مريدا بذلك استطلاع الخبر، وبعد مذاكرة تناولتها وإياه في شتى النواحي، جاذبته الحديث في شأن صديقته الأجنبيةفسألته عن جنسيتها، حيث شككت في جنسيتها زمن تكلمهما، فأجابني في ابتسامة تبدو منها السخرية: لا يا صديقي الحميم، إن المرأة مغربية وليست بأجنبية. فاشتد عجبي من قوله، وصرت أردد قوله في نفسي بين

تصديق وتكذيب، ثم سألته ثانيا: وما حاملها على لبس زي الأجنبيات؟ فأجابني الصديق قائلا: إنه في الأسبوع الماضي كانت مارة بشارع من شوارع البلد، فاقتفى أثرها حارس من الحراس الجدد حيث كاد أن يسوقها إلى السجن لولا أنها تخلصت منه بوعد وعدته إياه. فنظرا لكي تخرج حرة لبست حلة الفرنجيات كي لا تعرف، وها هي اليوم طليقة تمشي حيث تشاء ولا من يكلمها من الحراس، وأنها حدثته إن الوقت وقت رقي وحضارة لا وقت خمول وجمود. هذا ما قصه علي هذا الصديق، ويعلم الله كيف كان يخفق قلبي زمن حكايته أسفا وحزنا على ما آل إليه حال الإسلام، فقلت له ونفسي تكاد تفور: إني ممن يحبون التقدم والرقي ويكرهون الخمول والجمود، بيد أني أتأسف كثيرا حينما أرى المسلمات يلبسن الحلل الفرنجية وهن جاهلات لأن جهلهن ربما أفضى بهن إلى اعتناق المسيحية ظنا منهن أن ذلك من أسباب التقدم والرقي.

إن منع الجلباب والحذاء على المرأة ليس من الصواب في شيء، لأننا نتسائل عن سبب هذا المنع، فإن كان الجواب هو منع البغاء، فإننا نحصر فكرة البغاء في أمور ثلاثة:

١-إما منعه بالمرة.

٢-أو تنظيمه.

٣- أو تخفيفه.

أما منعه بالمرة فهو أمر مستحيل ولا نطيل القول في سبيله، إذ لو كان يسوغ ذلك لما ذكر في الكتاب العزيز، أما تنظيمه فهو أيضا أمر صعب ولا يتفق بتاتا مع شرف الإسلام، أما تخفيفه، أعني منع البغاء الرسمي فممكن مع الاهتمام المستمر. فيبقى إذن منع الجلباب والحذاء لا محل لهما من الإعراب.

ثم إن مما يزيدنا استياء هو أن بعض الحراس منهم تجب الحراسة، حيث يعرفهم الخاص والعام أنهم ممن عرفوا بسوء السيرة، والناس كلهم يقولون هذا، من ذلك ما حدثني به صديق أن أهله خرجوا يوما لزيارة بعض عائلاتهم، وكانت إحداهن لابسة للجلباب والحذاء، وبعد أن وصلوا إلى شارع البارود اقتفى أثرهم حارس جديد، يسمى محيي الدين(الضباغ سابقا) حيث عمد إلى لابسة الجلباب وحاول هتك عرضها لولا أنها دافعت عن كرامتها ووجهت إليه كلاما، لم يكن لهذا الحارس إلا أن اختفى كاللص، على أننا نعتقد

أنه يميز ويفرق بين ذوي العرض وغيرهن، وإنما نعد فعله هذا مجرد تجاهل منه وانتهاز للفرصة، إذ من الفساد أن يعمد هذا الحارس ويحاول هتك أعراض الناس على مرأى ومسمع.

إن ساكني طنجة أجمعين لا فرق بين طبقة دون أخرى، ينتقدون فكرة منع المرأة من لبس الجلباب ويرون ذلك من الزوائد التي لا يجمل الاهتمام بها، وإنما يجب الاهتمام ويتعين فيما هو جدير بالعناية، ولمثله فليعمل العاملون.

والمجد والسمو للمغرب.

طنجة / ملاحظ

وكان الشيخ تقي الدين الهلالي رحمه الله إذا أراد أن لا يظهر اسمه في آخر المقال يكتب هذه العبارة (والمجد والسمو للمغرب)

هذه قصة الفتاة المغربية.. (نزهة كويز).. مع الشيخ الهلالي !

صارت «نزهة كويز» من تلميذاتي قبل ثلاث سنين، ولما عرفت ما أوجب الله عليها من ستر العورة والتمسك بالعفاف عزمت على أن تعصي والديها ولا تعود إلى المدرسة، فلما حان ابتداء السنة الدراسية أخبرت أهلها بذلك، فقالا لها: أجننت؟ كيف تتركين الدراسة بعد ما نجحت في السنة الخامسة من الثانوي وتضيعيننا وتضيعي نفسك؟.

فقالت لهم: إني قد علمت من دروس الدكتور محمد تقي الدين بن عبدالقادر الهلالي الحسيني أن ما ترتكبه المدارس الثانوية من إجبار الفتيات على التجرد من ثيابهن بحيث لا تبقي إلا خرقة رقيقة تستر القبل ستراً كالعدم، وأخرى مثلها تستر الدبر ويكون ذلك أمام رجال المدرسة من معلمين وطلاب، ومن يمر بجانب المدرسة من عابري السبيل [لايجوز].

وجاءتني باكية فذهبت إلى طبيب مشهور في مكناس، والتمست منه أن يكتب لها شهادة بأنها مريضة، وأن الرياضة البدنية التي يتستر بها المجرمون في تعرية الفتيات وهن ما بين السادسة عشرة والثانية والعشرين لا تتفق مع صحتها، فلما قدمت الشهادة إلى مدير المدرسة بعثها إلى طبيب فرنسي ففحصها ووجدها صحيحة لا مانع لها من الرياضة البدنية بل التعرية الشيطانية، فرجعت إليَّ باكية أيضاً وكان عندي سبعة من المعلمين في المدارس الثانوية يتلقون دروساً من كتابي (تقويم اللسانين) فعرضت عليهم المشكلة، فقالوا: إن مدير المدرسة التي تدرس فيها نزهة متدين وقد حج بيت الله، فنحن نتوجه إليه ونسأله إعفاءها من درس الرياضة البدنية التي يتسترون به على كشف عورات النساء وتعويدهن على الوقاحة وقلة الحياء بل عدمه فيصلن بذلك الفجور..

فذهبوا إليه وإلى الحارس العام الذي يشاركه في التصرف فاعتذر المدير بأنه يخاف المفتش خصوصاً، وقد ثبت أنها تستطيع أن تلعب الرياضة، فقال الحارس العام: إذا وافقني المدير فنحن نعفيها من ذلك، فأُعفيت من تلك السنة، وكانت تحافظ على صلاة العصر في وقتها فيجتمع عليها سفهاء المدرسة من الرجال والنساء، ويقولون: هذه الجدة جاءت !! هذه الحاجة جاءت !!تقبل الله !! استهزاء بها، فلا تبالي بهم، وتؤدي صلاتها بغاية الاطمئنان، لا تألوا جهداً أن تصلي صلاة رسول الله ﷺ.

واتفق أن في تلك السنة اتصلتُ بصاحب الفضيلة رئيس تعليم البنات الشيخ ناصر بن حمد آل راشد، فبعث إلي مدير التعليم سعادة الأستاذ الشيخ عبدالله العقيل وقدم عليّ في مدينة الدار البيضاء، وأقام أياماً تكرر اجتماعنا فيها، وأخبرني: بأن سماحة رئيس تعليم البنات الشيخ ناصر بن حمد آل راشد يقبل على خمس طالبات كل سنة يكملن تعليمهن في دائرة تعليم البنات بالمملكة العربية السعودية، وكان في ذلك فرج ومخرج لنـزهة كويز، فكانت أولى الطالبات الخمس، وفرحت بذلك فرحاً عظيماً، وقد استجاب الله دعاءها، فأخرجها من الظلمات إلى النور.

ولما حان وقت سفرها مع سائرات الطالبات ذهبت إلى المدرسة التي كانت فيها لتأخذ كتاباً أعارته طالبة أخرى فرآها المجرم المكلف بتعرية الطالبات يوم الثلاثاء من كل أسبوع وراء التستر بدرس الرياضة البدنية فنظر إليها شزراً ووسعها هجراً، وقال لها: لماذا غطيت رأسك أمريضة أنت؟ فأجابته إن الإسلام أمرني بتغطية رأسي، فقال لها بالفرنسية ما معناه "في نظري واعتقادي لا وجود للإسلام"، ولما أخبرتني بذلك استشطت غضباً، وقلت لها: هلا قلت له: وفي اعتقادي أنا: أنت لست موجوداً، وأنت تعلمين أنه لم يبق له عليك سلطان، ولكن الفتاة المسلمة غلبها الحياء، وقد درست هذه الطالبة السنة الماضية في مدارس تعليم البنات بالرياض ونجحت، وهي الآن تدرس في هذه السنة هناك.

والفتيات المسلمات الطاهرات إذا سافرن للتعلم في مدارس السعودية يتلقين تغطية الوجه مع التستر التام بغاية السرور والفرح، وقد كتبت إلي إحداهن وهي آمنة الهاشمي ممن بُعثن في هذه السنة بعدما وصلت إلى الرياض، ورأت في الطريق كيف يعامل الناس الطالبات المسلمات بغاية الاحترام والتكريم، افتتحت الكتاب بهذه العبارة: **(الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور)**.

ما بال الفرنسيين العائثين في المغرب

قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر؟

قرأنا في الصحف الإسبانية أن صحيفة استعمارية خسيسة قد تهجمت على الجناب العالي الشريف سمو الخليفة السلطاني المعظم مولاي الحسن بن المهدي زاده الله رفعة وعلا، وذلك أنها سمته قائدا واقتضبت خبر سفره كأنه من الأمور التافهة. ولاشك أن أصحاب تلك الصحيفة يعرفون من هو سمو الخليفة السلطاني المكرم، وما هي منزلته السامية في المغرب وفي أوربة والمشرق. ويعرفون أن الأسلاك قد اهتزت، والإذاعات بجميع اللغات قد لهجت بأخبار رحلته السعيدة، ولا سيما في بلاد الدولة التي طحنت فرنسة وهي محتلة بلادها ومالكة قيادها. فإن دوائر الأخبار هناك وفي كل مكان قد أعطت الرحلة الخليفية الميمونة حقها في كل خطوة من خطواتها.

نعم، يعرف أولئك المغرورون الذين هم كما قيل: (أنف في السماء وسافلة في الماء) جميع ذلك (و لكن الظالمين بآيات الله يجحدون) ومقصودهم بذلك: الإساءة إلى الدولة الإسبانية والأمة الإسبانية بمحاولة الحط من مقام من أجلته تلك الدولة وهاتيك الأمة. ولا نقول: إن مقصود أولئك المعتدين احتقار المغاربة وإهانة مقدساتهم لأن تلك شنشنة نعرفها من أخزم، فإن الفرنسيين منذ وطئت أقدامهم أيضا المغرب وهم جادون في إهانة المغاربة ومقدساتهم وكل ما جاء منهم من هذا القبيل فقد جرى على أصله.

و لاشك أن الباعث لهم على تلك القولة الساقطة: هو الحسد الذي أكل قلوبهم، فإنهم رأوا إسبانية تعظم البيت العلوي الكريم بيت الملك والسيادة ورمز مجد المغاربة، فغاظهم ذلك وأغصهم بريقهم ولم يستطيعوا أن يتحملوه، لما جبلوا عليه من بغض المغاربة واحتقارهم ولأن تعظيم البيت المغربي المالك مناقض لخطتهم ومباين لأغراضهم، واعتداؤهم على جلالة ملك المغرب باقتطاع نصف مملكته وإخراج ملايين من حكمه وغير ذلك من ضروب الاعتداء أمر مشهور يعرفه الهادي والبادي.

فإن كان تبادل التكريم بين المغاربة والإسبانيين يسوءهم فليبشروا بما يسوءهم ويحزنهم فإنهم سيرون من ذلك إن شاء الله ما يخزيهم ويقطع نياط قلوبهم. إن الاحتفالات الرائعة

والاستقبالات الباهرة التي قامت بها إسبانية لتكريم صاحب السمو الملكي الأمير المحبوب مولاي الحسن بن المهدي هي إجلال وتبجيل للبيت العلوي المالك بأسره واحترام للمغاربة أجمعين، وعواطف سامية اقتضاها النبل وكرم الأخلاق واعتراف بالجميل وهو شأن النبلاء. فإن كان ذلك يغيظ الأدنياء والسفلة فليموتوا بغيظهم.

إن كنت لا ترضى بما قد ترى فدونك الحبل به فاختنق

و لا يضير المقام الخليفي الأسمى ذلك الهراء، كما لا يضر القمر نبح الجراء.

ما ضر بدر الدجى في الأفق تنبحه بعض الكلاب وقد مشى على مهل

لقد أساء الفرنسيون معاملة جلالة السلطان وحجروا عليه وحالوا بينه وبين رعيته، حتى صار السلطان إذا أراد لقاء بعض رجال مملكته يكون بعض الفرنسيين واسطة في ذلك. وهذا التضييق والخنق المخزي لهم معروف في أوربة ومعروف في البلاد العربية والإسلامية وقد مقت الناس فرنسة من أجله أشد المقت. أما خليفته السامي فقد عاملته إسبانية معاملة أخرى ولذلك آثاره وأخباره حديث المجالس وطيبها في أقاصي البلاد الشرقية وفي أوربة وأينما ذهبت. وهذه المعاملة الإسبانية لصاحب السمو الملكي الخليفة المعظم تؤذي الفرنسيين وتزيد العالم العربي والإسلامي سخطا عليهم، وتبطل سحرهم الذي يموهون به في إذاعاتهم العربية المزوقة السخيفة المفضوحة. فماذا يرجى منهم إلا أن ينفثوا نفثة المصدور غير أن تلك النفثة الخبيثة لا تعود إلا على وجوههم.

و في المثل: الحسود لا يسود. وقد كان بعض الناس يظن أن ما أصابهم من الهزيمة المنكرة، وما أصيبوا به من النكبات، حتى من يد حليفتهم منذ دهر طويل وشريكتهم في الإثم والعدوان بريطانية، يكون فيه عبرة لهم فيردعهم عن الغي، ويردهم إلى الرشد، ولكن هيهات هيهات لقد صدق من قال: إن الفرنسي مثل الجوزة لا يوكل لبها إلا بكسرها، فإن لم يكفهم جميع ما رأوا فلينتظروا فإن الله لهم بالمرصاد ولما يتم الدرس الذي يلقى عليهم فلينتظروا كماله.

الدكتور تقي الدين الهلالي

والمجد والسمو للمغرب وأميره الجليل مولانا الحسن أيده الله

الأدب الأندلسي

كتاب قيم تصدى لإخراجه وتأليفه الأستذان الفاضلان: أحمد بلافريج وعبد الجليل خليفة. وقد تم طبع الجزء الأول منه بمطبعة الوحدة المغربية في ١٨٨ صفحة.

درس المؤلفان الفاضلان في هذا الجزء تاريخ الأدب العربي الإسلامي في بلاد إسبانية، من لدن الفتح إلى نهاية مملكة غرناطة، دراسة تحليل وبحث وتمحيص، وتعرضا لمسألة مهمة وهي: هل اقتبس المسلمون الفاتحون مدنيتهم وثقافتهم من بقايا ثقافة رومية في إسبانيا؟ فقتلاها بحثا ووفياها حقها. وجمعا في مباحثاتهما بين آراء الأوربيين وأدباء الإسلام. وألما بنخبة من أهم المسائل في تاريخ الأدب الإسلامي في إسبانية وتطوره وألوانه وأدواره جريا مع تطور الحضارة وأهواء الدول المختلفة المشارب. ولعمري إنها مباحث شريفة، ومطالب نفيسة، تهم كل أديب، ولاسيما أدباء العرب والمغاربة منهم خاصة، فإن من الضلال البعيد والخسران المبين، أن نرى الأوربيين يغترفون من معين أدب أسلافنا ويتعاطون فيه كؤوسا تجعلهم نشاوى، يتغنون بسحر ذلك الجمال الفردوسي، ويشدون الرحال لمشاهدة آثاره من أقاصي أوروبة وأمريكة، فلا يكادون يقصون العجب من إبداعه وبهاء فنونه مع ما يعانون في ذلك من بعد الشقة ومشقة الدرس بسبب عجمتهم. ونحن الذين هم أحفاد أولئك العبقريين، والوارثون لما خلفوه إن كنا أهلا لذلك نعرض عن تلك الكنوز ونجهلها كل الجهل. ولذلك كان عمل هاذين الأستاذين مستوجبا للحمد والتقدير والضرب معهما بسهم باقتناء مؤلفهما النفيس ودرسه حق الدرس.

ثم عقدا بابا للشعر الأندلسي، بحثا فيه بحثا تاما في المقابلة بين شعر العرب وشعر الأمم الأخرى وخواصهما، وأوردا في ذلك آراء الباحثين من الأجانب وأدباء العرب، واستوعبا المسائل الشعرية التي تهم الباحث في هذا الزمان، وهذا الباب يستغرق نصف الجزء. و بعد استيفاء تلك المباحث ومناقشة الآراء المتباينة وتأييد ما ترجح لديهما، أوردا طائفة مختارة من عيون شعر ذلك العصر الزاهر، الذي هو السحر الحلال حقا، وقد كان توفيقهما في اختيار تلك اللآلىء من المقطوعات التي تحاكي المقصورات في الخيام ومن القصائد الفرائد التي تجلو الظلام.

ولا يخفى أن الاختيار الذي يروع أرواع الأدباء، ويستولي على ألبابهم، ويحرك سواكنهم ويضرب على أوتار أفئدتهم هو عزيز جدا، حتى قيل إن حسن اختيار الرجل دليل على كمال عقله. ولا يكفي في حسن الاختيار العلم والدرس حتى يصاحبهما الذوق السليم وهو هبة من الله لا حيلة في دركه للمرء.

وقد أهدى المؤلفان كتابهما النفيس إلى سمو مولانا الحسن بن المهدي الخليفة السلطاني الأفخر ناصر العلم والأدب، ومحيي سنة الخلفاء والملوك النوابغ من دول الإسلام والعرب، زاده الله مجدا وسؤددا وتوفيقا.

ولما كان المؤلفان من أصدق الإخوان الذين يسرهم تقديم المقترحات التي تزيد عملهم كمالا أردت أن أقدم لهما اقتراحان. فإن كان فيهما خطأ فمني وإن كان فيهما صواب فمن الله، وليس قبولهما بلازم.

الأول: عزو كل نقل عزوا تاما بذكر الصفحة من الكتاب سواء كان مطبوعا أم مخطوطا، صغيرا أم كبيرا كما يعمل المؤلفون الأوروبيون فإنها سنة دنيوية حسنة لابد منها في هذا الزمان للعرب، أما أسلافهم فقد كان حفظهم واجتهادهم قد يغنياهم عنها.

والثاني: أن يضعا في الميزان ما يقع فيه بعض الأوربيين عمدا لمآرب مادية فيخرقوا أي يختلقوا لليهود أدبا يسمونه الأدب العبراني، ويحاولون أن يجعلوا اليهود شركاء للعرب والمغاربة في الكنوز التي خلفوها، وإن كانوا إنما ينسبون لهم ذلك بالتبعية. و مذهبي أن اليهود لا أدب لهم إلا ما في التوراة والتلمود وما أشبه ذلك حين كانت لهم لغة، وذلك قبل آلاف السنين.

أما بعد موت لغتهم واضطرارهم إلى التعبير والكتابة باللغة السريانية مدة آلاف من السنين، ثم ظهرت اللغة العربية ودالت دولة السريانية، فأخذوا يشاركون أهلها ويتطفلون على مآدبهم، فليس لهم أدب يسمى عبرانيا كما أن أدباء الهنود الذين نشئوا نشأة إنكليزية فكتبوا وألفوا في الأدب الإنكليزي لا يقال لأدبهم إنه أدب سنسكريطي بل هو أدب إنكليزي.

و قد سلك الشعوبية في الهند وفارس مسلكا ناكبا عن الجادة معوجا كاذبا فزعموا أن العرب لم يكن لهم في الأدب العربي إلا نصيب ضئيل. وكذلك في العلوم لأن عقولهم كانت أدنى

من أن تدرك منزلة عالية في ذلك. ويشاغبون بعلماء العجم وأدبائهم الناشئين في حجور العرب، الراضعين لبان العربية، وقد يجدون في بعض المستشرقين المتعصبين نصيرا، وللكلام في هذه المسألة مقام آخر. وإنما جر الحديث إلى ذكر هذا، والحديث ذو شجون. و ليس مقصودي أن أنكر أن بعض اليهود شاركوا العرب في إسبانية في العلوم كالفلسفة والطب وشيء من الأدب. وحملوا علوم العرب وآدابهم إلى أقاصي أوربة، كما يقول جوزيف ماكيب في كتيب له اسمه (مدنية المغاربة في إسبانيا - ذي مورش شيفيلذيشن ان سبين) وترجمه كاتب هذه السطور بالعربية ولم ينشر بعد. وما نقلته هنا يوجد في ص ٣٦ من الترجمة.

وإنما المقصود أن علوم أولئك اليهود هي ثقافة عربية لا تمت إلى العبرية أو كونهم يهودا بصلة. لأن من لا وطن له ولا أمة مجتمعة ولا لغة فلا ثقافة له. فثقافة يهود كل أمة تعزى إلى تلك الأمة لا إلى اليهود. وفي اليهود ذكاء وقابلية ولكن المانع من أن تكون لهم ثقافة يهودية هو عدم الوطن الذي يجمعهم فيعيشون فيه عيشة واحدة توحد أفكارهم وأذواقهم، وعدم وجود لغة توحد تعبيرهم عما يشعرون به. فإنهم بسبب شتاتهم اختلف شعورهم واختلفت أفكارهم واختلف تعبيرهم، فلم يبق ثمت مكان لأن تكون لهم ثقافة تسمى يهودية. وهذا غير خاص باليهود فكل قوم أصابهم ما أصاب اليهود يحكم عليهم بالحكم نفسه.

وسبب سوقي لهذا الاقتراح هو ما جاء في كتاب الأدب الأندلسي في ص. ٣٨ نقلا عن أصل المستشرقين أنه كان في الأندلس شيء يسمى دراسات تلمودية وآداب عبرانية. هذا ما بدا إلى الآن وربما أردف هذا المقال بمقال آخر تعليقا على بعض مسائل هذا الكتاب. والله يشكر للمؤلفين ما بذلاه من الجهد وما لقياه من العناء في خدمة العلم والأدب ويديم توفيقهما.

الدكتور تقي الدين الهلالي



الفكر الصوفي

"الحمد لله الذي أرسل خاتم النبيين وإمام المرسلين، محمدًا ﷺ رحمة للعالمين بشيرًا لمن آمن به، واهتدى بهديه، بالفوز المبين ونذيرًا لمن كفر به وخالف سنته بالعذاب المهين، وصل اللهم على محمد وأزواجه وذرياته كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذرياته كما باركت على إبراهيم، صلاة تشمل آله ومن تمسك بسنته إلى يوم الدين.

فيقول أفقر العباد إلى الغني الكبير المتعال، محمد تقي الدين بن عبدالقادر الحسيني الهلالي غفر الله ذنبه وستر عيبه:

نشأت في بلاد سجلمانة، وحفظت القرآن وأنا ابن اثنتي عشرة سنة، ورأيت أهل بلادنا مولعين بطرائق المتصوفة لا تكاد تجد واحدًا منهم لا عالمًا ولا جاهلاً إلا وقد انخرط في سلك إحدى الطرق، وتعلق بشيخها تعلق الهائم الوامق، يستغيث به في الشدائد ويستنجد به في المصائب، ويلهج دائمًا بشكره والثناء عليه فإن وجد نعمة شكره عليها، وإن أصابته مصيبة اتهم نفسه بالتقصير في محبة شيخه والتمسك بطريقته، ولا يخطر بباله أن شيخه يعجز عن شيء في السماوات ولا في الأرض، وسمعت الناس يقولون: من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه. وينشدون قول ابن عاشور في أرجوزته التي نظمها في عقيدة الأشعرية، وفي فروع المالكية، وفي مبادئ التصوف:

يصحب شيخًا عارف المسالك	**يقيه في طريقه المهالك**
يذكره الله إذا رآه	**ويوصل العبد إلى مولاه**

ورأيت الطرق المنتشرة في بلادنا قسمين:

١- قسم ينتمي إليه العلماء وعلية القوم.

٢- وقسم ينتمي إليه السوقة وعامة الناس.

فمالت نفسي إلى القسم الأول، وسمعت أبي وهو من علماء بلدنا مرارًا يقول: لولا أن الطريقة التجانية تمنع صاحبها من زيارة قبور الأولياء والاستمداد منهم وطلب الحاجات إلا قبر النبي ﷺ والصحابة، وإلا قبر الشيخ التجاني، وقبور من ينتمي إلى طريقته من الأولياء، قال أبي: لولا ذلك لأخذت ورد الطريقة التجانية، لأني لا أستطيع أن أترك زيارة جدنا

عبدالقادر بن هلال، وجدنا كان مشهورًا بالصلاح وله قبر يزار وهو معدود من جملة الأولياء في ناحية الغرفة من القسم الشرقي الجنوبي في بلاد المغرب.

والطريقة التجانية، والدرقاوية، والكتانية، وإن كان أهلها في بلادنا قليلا، تؤلف القسم الأول، فاشتاقت نفسي إلى أخذ ورد الطريقة التجانية وأنا قد ناهزت البلوغ فذهبت إلى المقدم وقلت له: يا سيدي أريد منك أن تعطيني ورد الطريقة التجانية، ففرح كثيرًا، وقال لي: تأخذ الورد على صغر سنك؟ قلت: نعم، فقال: بخ بخ أفلحت ونجحت، فأعطاني الورد وهو:

ذكر لا إله إلا الله مائة مرة، والاستغفار مائة مرة، والصلاة على النبي ﷺ بأي صيغة مائة مرة، لكن صيغة الفاتح لما أغلق هي أفضل الصيغ، وسيأتي إن شاء الله ذكر فضلها (الفضل المزعوم عندهم) في هذا الكتاب بعون الله وتوفيقه، وأعطاني كذلك الوظيفة وهي أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ثلاثين مرة، وصلاة الفاتح لما أغلق خمسين مرة، ولا إله إلا الله مائة مرة، وجوهرة الكمال وهي: اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية ..... الخ، وسيأتي ذكر ألفاظها اثنتي عشر مرة، وهذه الصلاة لا تذكر إلا بطهارة مائية، فمن كان فرضه التيمم فعليه أن يذكر بدلها صلاة الفاتح عشرين مرة، قال: وإنما اشترطت الطهارة المائية على ذاكرها لأن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين يحضرون مجلس كل من يذكرها ولا يزالون معه ما دام يذكرها.

ويجب ذكر الورد مرة في الصباح ومرة في المساء بطهارة تامة كما يشترط في الصلاة، ويكون الذاكر جالسًا كجلسة التشهد على الأفضل مغمضًا عينيه مستحضرًا صورة الشيخ أحمد التجاني وهو رجل أبيض مشرب بحمرة ذو لحية بيضاء، ويتصور في قلبه أن عمودًا من النور يخرج من قلب الشيخ ويدخل في قلب المريد.

أما الوظيفة فيجب أن تذكر جماعة بصوت واحد، إن كان للمريد إخوان في بلده، فإن لم يكن له إخوان تجانيون في بلاده جاز له أن يذكرها وحده مرة في كل يوم.

وأخبرني المقدم الشيخ عبدالكريم المنصوري ببعض فضائل هذا الورد وسأذكرها فيما بعد إن شاء الله واستمررت على ذكر الورد والوظيفة بإخلاص ملتزمًا الشروط مدة تسع سنين، وهناك ذكر آخر يكون يوم الجمعة متصلا بغروب الشمس وهو: لا إله إلا الله ألف

مرة، والأفضل أن يكون معه سماع قبله أو بعده، وهو إنشاد شيء من الشعر بالغناء والترنم جماعة ثم يقولون جميعًا: الله حي، والمنشد ينشدهم وهم قيام حتى يخلص عند تواجدهم إلى لفظ آه، آه، آه، ويسمون هذه الحالة العمارة، وقد تركوها منذ زمن طويل لأن أبناء الشيخ التجاني لا يستعملون هذه العمارة، وهم يأتون من الجزائر إلى المغرب وقد أشاروا على المغاربة أن يتركوا العمارة لأنهم لا يستحسنونها، ولكن في كتب الطريقة أنها فعلت أمام الشيخ أحمد التجاني وبرضاه وإقراره.

وكنت كلما أصابتني مصيبة أستغيث بالشيخ فلا يغيثني، فمن ذلك أني كنت في الجزائر مسافرًا من ناحية (بركنت) بقرب حدود المغرب إلى (المشرية)، وكان لي رفيق له جمل فعلقه وأوصاني بحراسته وتركني في خيمة وقلنا فيها من خيام أهل البادية، فانحل عقال الجمل وانطلق في البرية فتبعته فأخذ يستهزئ بي، وذلك أنه يبقى وقفًا إلى أن أكاد أضع يدي على عنقه ثم يجفل مرج واحدة ويجري مسافة طويلة ثم يقف ينتظرني إلى أن أكاد أقبضه ثم يهرب مرة أخرى وذلك في نحر الظهيرة وشدة الحر، فقلت في نفسي: هذا وقت الاستغاثة بالشيخ فتضرعت إليه وبالغت في الاستغاثة أن يمكنني في قبض الجمل وإناخته فلم يستجب، فعدت على نفسي باللوم واتهمتها بعدم الإخلاص والتقصير في خدمة الطريقة ولم أتهم الشيخ البتة بعجز عن قضاء حاجتي، ومع أن شيوخ الطريقة يوصون المريد أن لا يطالع شيئًا من كتب التصوف إلا كتب الطريقة التجانية وقع في يدي مجلد من كتاب (الإحياء) للغزالي فطالعته فأثر في نفسي واجتهدت في العبادة والتزمت قيام الليل في شدة البرد، فبينما أن ذات ليلة أصلي قيام الليل أمام خيمتي الصغيرة التي كنت جالسًا فيها يكاد رأسي يمس سقفها إذ رأيت غمامًا أبيض سد الأفق كالجبل المرتفع من الأرض إلى السماء وأخذ ذلك الغمام يدنو مني آتيًا من جهة الشرق ـ وهي قبلة المصلي في المغرب والجزائر ـ حتى وقف بعيدًا مني وخرج منه شخص وتقدم حتى قرب مني ثم شرع يصلي بصلاتي مؤتمًا بي، وثيابه تشبه ثياب جارية بنت خمس عشرة سنة، ولم أستطع أن أميز وجهه بسبب الظلام.

ولما شرع يصلي معي كنت أقرأ في سورة ألم السجدة ففزعت وخفت خوفًا شديدًا، فخرجت منها إلى سورة أخرى أظنها سورة سبأ، ولم أستطع قراءة القرآن مع شدة حفظي له بسبب الرعب الذي أصابني، فتركت السور الطوال وأخذت أقرأ بالسور القصار التي

لا تحتاج قراءاتها إلى رباطة جأش واستحضار فكر. فصلى معي ست ركعات، ولم أرد أن أكلمه، لأن كتب الطريقة توصي المريد أن لا يشتغل بشيء مما يعرض له في سلوكه حتى يصل إلى الله، وتنكشف له الحجب فيشاهد العرش والفرش، ولا يبقى شيء من المغيبات خافيًا عليه، ولما طال علي زمان الاضطراب دعوت الله في سجود الركعة السادسة فقلت: يا رب إن كان في كلام هذا الشخص خير فاجعله هو يكلمني، وإن لم يكن في كلامه خير فاصرفه عني، فلما سلمت من التشهد بعد الركعة السادسة سلم هو أيضًا، ولم أسمع له صوتًا ولكني رأيته التفت عند السلام إلى جهة اليمين كما يفعل المصلي المنفرد على مذهب المالكية، فإنه يسلم مرة واحدة عن يمينه، السلام عليكم دون أن يضيف إليها رحمة الله وبركاته، وإن كان مؤتمًا بإمام يسلم ثلاث تسليمات إن كان بيساره مصل تسليمة عن يمينه وهي تسليمة التحليل وتسليمة أمامه للإمام، وتسليمة ثالثة عن شماله للمصلي الذي يجلس عن شماله وقد ثبت في الحديث الذي رواه أبو داود وصححه الحافظ أن النبي ﷺ كان يسلم عن يمينه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعن يساره السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وهذا هو الذي ينبغي لكل مصل أن يعتمد عليه سواء أكان إمامًا أو مأمومًا أو منفردًا.

وبعد السلام انصرف ومشى على مهل حتى دخل في الغمام الأبيض الذي كان قائمًا في مكانه الذي كان ينتظره، وبعد دخوله في الغمام فورًا أخذ الغمام يتقهقر إلى جهة الشرق حتى اختفى عن بصري وكان في قبيلة (حميان) شيخ شنقيطي صالح ما رأيت مثله في الزهد والورع ومكارم الأخلاق وسأذكره فيما بعد، فسافرت إليه وحكيت له تلك الحادثة فقال لي: يمكن أن يكون ذلك شيطانًا لو كان ملكًا ما أصابك فزع ولا رعب، فظهر لي أن رأيه صواب.

وبعد ذلك بزمن طويل أخذت أدرس علم الحديث، فرأيت كتاب (صحيح البخاري) ما وقع للنبي ﷺ حين جاءه جبريل وهو في غار حراء، فظهر لي أن رأي ذلك الشيخ رحمه الله غير صحيح وبقيت المشكلة بلا حل إلى الآن وكنت حينئذ مشركًا أستغيث بغير الله وأخاف غير الله. ومن هذا تعلم أن ظهور الخوارق وما في عالم الغيب ليس دليلا على صلاح ما ظهرت له تلك الخوارق ولا على ولايته لله البتة فإن كل مرتاض رياضة روحية تظهر له

الخوارق على أي دين كان وقد سمعنا وقرأنا أن العباد الوثنيين من أهل الهند تقع لهم خوارق عظام.

وبعد ذلك بأيام رأيت في المنام رجلا نبهني وأشار إلى الأفق فقال لي: انظر فرأيت ثلاثة رجال فقال لي: إن الأوسط منهم هو النبي ﷺ فذهبت إليه فلما وصلت إليه انصرف الرجلان اللذان كانا معه فأخذت يده وقلت: يا رسول الله خذ بيدي إلى الله فقال لي اقرأ العلم ففكرت وعلمت أني في بلاد الجزائر وكان الفرنسيون مسؤولين عليها وكان فقهاء بلدنا يكفرون كل من سافر إلى الجزائر وإذا رجع من سفره يأمرونه بالاغتسال والدخول في الإسلام من جديد ويعقدون له عقدًا جديدًا على زوجته فقلت في نفسي هذا مع رسول الله ﷺ يأمرني بطلب العلم، وأنا في بلاد يحكمها النصارى، فإما أن أكون عاصيًا أو كافرًا فكيف يجوز لي أن أطلب فيها العلم؟. هذا كله وقع في لحظة وأنا لا أزال واقفًا أمام النبي ﷺ فقلت: في بلاد المسلمين أم في بلاد النصارى، فقال لي البلاد كلها لله، فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يختم لي بالإيمان فرفع اصبعه السبابة إلى السماء وقال لي عند الله.

وبعدما خرجت من الطريقة التجانية على أثر المناظرة التي سأذكرها فيما بعد إن شاء الله بزمان رأيت النبي ﷺ مرة أخرى في المنام على صورة تخالف الصورة التي رأيته عليها في المرة المذكورة، ففي الأولى كان طويلا أبيض نحيفًا مشربًا بحمرة، لحيته بيضاء، أما في هذه المرة فكان ربعة من الرجال إلى الطول أقرب ولم يكن نحيفًا، ولحيته سوداء، وبياض وجهه وحمرته أقرب إلى ألوان العرب من المرة الأولى، وكانت رؤيتي له في فلاة من الأرض وكنت بعدما خرجت من الطريقة التجانية توسوس نفسي أحيانًا بما في كتاب جواهر المعاني مما ينسب إلى الشيخ التجاني أنه قال: (من ترك ورده وأخذ وردنا وتمسك بطريقتنا هذه الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنفية التجانية فلا خوف عليه من الله ولا من رسوله ولا من شيخه أيًا كان من الأحياء أو من الأموات أما من أخذ وردنا وتركه فإنه يحل به البلاء وأخرى ولا يموت إلا كافرًا قطعًا وبذلك أخبرني سيد الوجود ﷺ يقظة ومنامًا) وقال لي سيد الوجود ﷺ فقراؤك فقرائي وتلاميذك تلاميذي وأنا مربيهم. وسيأتي من هذه الأخبار وأمثالها إن شاء الله كثير في ذكر فضائل الأوراد والأصحاب فكنت أدفع هذا الوسواس بأدلة الكتاب والسنة، وأرجم شيطانه بأحجارها فيخنس ثم يخسأ ويدبر فارًا منهزمًا فلما رأيت النبي ﷺ

في هذه المرة خطر ببالي ذلك فعزمت على أن أبدأ الكلام مع النبي ﷺ بأن أسأله أن يدعو الله لي أن يختم لي بالإيمان، وأظن القارئ لم ينس أني سألته في المرة الأولى فلم يدع لي ولكنه رفع إصبعه السبابة إلى السماء وقال عند الله، فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يختم لي بالإيمان، فقال لي: ادع أنت وأنا أؤمن على دعائك، فرفعت يدي وقلت: اللهم اختم لي بالإيمان، فقال النبي ﷺ: آمين وكان رافعًا يديه فزال عني ذلك الوسواس ولكني لم آمن مكر الله تعالى فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، والرؤيا تبشر ولا تغر، وبين هذه الرؤيا التي دعا لي فيها رسول الله ﷺ أن يختم الله لي بالإيمان بتأمينه على دعائي والرؤيا التي قدمت ذكرها ولم يدع لي فيها، عشرون سنة، وتأولت اختلاف الصورة وعدم الدعاء في الرؤيا الأولى والدعاء في الرؤيا الثانية بما كنت عليه من الشرك في العبادة وبما صرت إليه من توحيد الله تعالى واتباع سنة رسول الله ﷺ والله أعلم.

حديث مع زائر كريم

زارنا جماعة من أساتذة الأزهر وكنت ألقي درسا في الأديان موضوعه التلمود. فرجعت إلى أول الدرس ليكون الكلام مفهوما. فبدأت بذكر معنى تلمود لغة واصطلاحا، وبعد ذلك شرعت في ذكر بعض ما تضمنه التلمود فقال لي أحد الأساتذة الضيوف: حسبك. وبدا لي أن له كلمة يريد أن يقولها قبل الانصراف وكنت أظن أنه يريد أن يوجه نصيحة للطلبة لأني التمست منه ذلك من قبل، فإذا به يريد أن يستدرك علي شيئا، ظن أني أغفلته وكان ينبغي أن أذكره، وسأذكر هنا معنى ما قلته ثم أذكر استدراكه وجوابي عنه:

قلت: إن كلمة تلموذ بالذال المعجمة في اللغة العبرانية مشتقة من المصدر (لاموذ) وهو مصدر الفعل الثلاثي المعروف عند علماء هذا الشأن باسم (قال) وذكرت بعض مشتقاته من الثلاثي اسم الفاعل (لومذ) أي متعلم (يلمذ) بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه ومعناه يتعلم والفعل الرباعي (لمذ) بكسر اللام والميم المشددة ومعناه عَلّم من التعليم ومضارعه (يلمّذ) واسم الفاعل (مِلَمّذ) فهو تفعول بزيادة التاء والواو ومعناه في اللغة: التعليم وذكرت أن الذال المعجمة لا وجود لها في اللغة العبرانية أصالة وإنما توجد الدال المهملة ويعرض لها الأعجام إذا جاءت بعد حركة ممدودة أو غير ممدودة أو سكون ناقص. ثم قلت ومشتقاته مادة (ل م د) في اللغة العبرانية كثيرة، وأما في اللغة العربية التي هي أصلها على الصحيح وقيل: هي أختها الكبرى والأصل ضائع فلم يُستعمل من هذه المادة إلا تلميذ وهذا شأن اللغات التي تكون فروعا لأصل واحد كالإيطالية والإسبانية مثلا وهما فرعان من فروع اللغة اللاتينية بعض الكلمات تهمل في إحداهما وتوجد في الأخرى وبعضها تقل فروعها ومشتقاتها في إحدى الأختين وتكثر في الأخرى. وأزيد هنا أن بعض المؤلفين من المحدثين استعملوا من هذه المادة فعلا فقالوا فلان تتلمذ لفلان ولا يوجد هذا في كتب اللغة. أما في الاصطلاح فمعناه: كتاب فقه اليهود الذي استنبطه أحبارهم من التوراة ثم بينت أن الطائفتين الباقيتين إلى هذا الزمان من طوائف اليهود وهما الربانيون والقراؤون لا تتفقان على الإيمان بالتلمود، فالربانيون يؤمنون به ويحكمون به وأما القراؤون فإنهم ينكرونه ولا يؤمنون إلا بالتوراة ثم لا يؤمنون إلا بنسختهم الخاصة ويطعنون في نسخة

الربانيين وأكثر اليهود في هذا الزمان ربانيون وهم الذين أنشؤوا الحركة الصهيونية. أما القراؤون فإنهم يسكنون في نابلس من الضفة الغربية لنهر الأردن وبينهم وبين الربانيين عداوة دينية. لذلك بقوا مع العرب إلى الحرب الأخيرة التي وقعت بين العرب واليهود فاستولى اليهود على مدينة نابلس والظاهر من أحوالهم أنهم مع ذلك محافظون على عقيدتهم. وحاصل ما استدركه علي فضيلة الأستاذ:

أنه قال: إنك ذكرت الفعل (لاَمذْ) ولم تذكر ضميرا قبله نحو (أني لاَمذْ) فقلت له: أيها الأستاذ أنا أتكلم في معنى الفعل وتصريفه ولا أريد أن أنشئ جملة فوافق على ذلك. ولم أرد أن أذكره أمام الطلبة والزائرين أن اللفظ الذي قاله فاسد. لأن قولها بالعبرانية (أني لاَمَذْ) كقولنا (أنا تعلم) أو (أنا قام) والعربية والعبرانية كلتاهما تبدأ الجملة الفعلية فيهما بالفعل ولا يلزم أن نذكر اسما قبل الفعل لا ضميرا ولا ظاهرا. فنقول: طلعت الشمس وظهر الحق، ولو ذكرنا ضمير (أنا) قبل الفعل الماضي لم يصح إسناد الفعل إليه بل تتصل به وجوبا تاء متكلم فنقول في العربية أنا تعلمت وفي العبرانية (أني لاملذْتِ) بكسر التاء لأن تاء المتكلم في العبرانية مكسورة وإنما يتحتم ذكر اسم ظاهر أو ضمير في اللغة العبرانية قبل الفعل الحاضر وهو (لُومِذْ) بكسر الميم فنقول (أني لومذ) أي أنا متعلم أو أتعلم الآن. لأن الفعل المضارع المبدوء بحرف من حروف أنيت عندهم في الأزمنة المتأخرة يختص بالمستقبل.

ورب قائل يقول: وما حاجتك إلى بيان معنى هذه الكلمة في لغتها الأصلية فإن لغة اليهود لا تستحق كل هذه العناية؟ فأقول على رسلك: "إن النبي ﷺ أمر زيد بن ثابت أن يتعلم لغة اليهود فقال عليه الصلاة والسلام لزيد: «**تعلم السريانية فإنها تأتيني كتب من يهود ولا آمن يهود على كتابي**». قال زيد: فتعلمتها في نصف شهر". رواه أحمد والبخاري في صحيحه تعليقا. ولما قرأت صحيح البخاري لأول مرة ورأيت هذا الحديث استشكلته لأن المعروف أن لغة اليهود هي العبرانية لا السريانية فكيف يأمره النبي ﷺ بتعلم السريانية ليقرأ له كتب اليهود ويكتب الأجوبة. ولم أجد من يحل لي هذا الإشكال حتى شرعت أدرس تاريخ اللغات السامية في البلاد الجرمانية (ألمانيا) فانكشف لي أن اللغة العبرانية ماتت منذ تشتت اليهود وخروجهم من فلسطين بل ماتت قبل ذلك بمدة طويلة فإن بني إسرائيل في زمان عيسى عليه السلام كانوا يتكلمون باللغة السريانية في أمور دينهم ودنياهم

ولم يبقَ عندهم من العبرانية إلا أدعية الصلوات، وباللغة السريانية ألّف التلمود ونزل الإنجيل. قال تعالى: في سورة إبراهيم: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.

والإشكال الثاني: كيف استطاع زيد أن يتعلم هذه اللغة في نصف شهر؟ والجواب عن هذا الإشكال حسبما يظهر لي أن زيدا لم يتعلم اللغة السريانية في نصف شهر وإنما تعلم كتابتها وقراءتها لأن هذه اللغات الثلاث: العربية والعبرانية والسريانية متقاربة جدا في جملها ومفرداتها حتى في هذا الزمان الذي ضعفت فيه اللغة العربية. وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى الكبرى التي طبعت أخيرا: "إن اللغة العبرانية قريبة جدا من اللغة العربية حتى إن بعض مسلمة أهل الكتاب كان يقرأ عليّ التوراة فأفهم ما يقرأه دون أن أحتاج إلى ترجمة". فإذا كان هذا في شيخ الإسلام ابن تيمية فما بالك بزمان النبي ﷺ؟ وإلى يومنا هذا لو أن شخصا تكلم باللغة العبرانية الفصحى القديمة وتمهل في كلامه لفهم أكثر ما يقول أو كثير منه ودونك جملة تسهل عليك فهم ما تقدم (إني قُوري بسّفْرْ هَزِي) معناه أنا أقرأ في هذا الكتاب، جملة أخرى (أني لُومِذ هلْ لاشون ها عَرْبيت) معناه: أنا أتعلم اللسان العربي. فموسى أرسله الله إلى بني إسرائيل بلغتهم العبرانية وأنزل عليه التوراة بها. وعيسى أرسله الله إلى بني إسرائيل باللغة السريانية التي هي لسانهم في زمانه وأنزل عليه الإنجيل بها وهذا قول أكثر المؤرخين وهو صحيح.

وبهذه المناسبة أذكر أني قرأت في كتاب الأبريز المنسوب إلى الشيخ عبد العزيز الدباغ ومؤلفه هو أحمد بن المبارك السجلماسي وكلاهما من المغرب كلاما يتعلق باللغة السريانية أريد أن أتحف القراء بذكره بمناسبة ذكر اللغة السريانية وهو من المضحكات المبكيات كما قال الشاعر:

أمور يضحك السفهاء منها ويبكي من عواقبها اللبيب

فمن ذلك أنه زعم أن شيخه عبد العزيز الدباغ أخبره بالأمور التالية:

١- قال المؤلف المذكور في كتاب الإبريز صفحة ٢١٧: "وسمعته رضي الله عنه يقول من تأمل كلام الصبيان الصغار وجد السريانية كثيرا في كلامهم فكان آدم عليه السلام يحدث أولاده في الصغر ويسكتهم بها ويسمي لهم أنواع المآكل والمشارب بها فنشؤوا عليها

وعلموها أولادهم وهلم جرا" ثم مضى إلى أن قال "وقد سبق أن لغة الأرواح هي السريانية". ثم قال: "ومن أسمائه تعالى لفظة أغ التي ينطق بها الصبي الرضيع وهو اسم يدل على الرفعة والعلو واللطف والحنان فهو بمنزلة من يقول: يا علي يا رفيع يا حنان يا لطيف"، قال محمد تقي الدين: أقول في هذا سبحانك هذا بهتان عظيم وقد كنت نشرت في صحيفة الأخبار التي كانت تصدر في تطوان منذ سبع وعشرين سنة مقالا كذبت فيه ما ادعاه مؤلف كتاب الإبريز من أن الحرف الواحد من السريانية يساوي كلمة من اللغات الأخرى كالعربية مثلا وذكرت أربعين كلمة من السريانية وقابلتها بالكلمات العربية فكانت إما مساوية للكلمات العربية في عدد الحروف أو تزيد عليها وبينت أن السريانية والعربية والعبرانية أخوات مشتركات في الضمائر وأغلب القواعد التي يعتمد عليها في تركيب الجمل وأن آلافا من الكلمات مشتركة بين اللغات الثلاث. فتحير في ذلك مقدم التيجانية أحمد الرهوني وأجاب من سأله وأحرجه بأن السريانية التي تتكلم بها الأرواح ويتكلم بها الأولياء في ديوانهم الذي يجتمعون فيه كل يوم قبل طلوع الفجر بغار حراء ليدبروا شؤون العالم هي سريانية أخرى خاصة بالأولياء وليست هي السريانية المعروفة التي يتكلم بها السريانيون إلى يومنا هذا، والتي تكلم بها اليهود كما تقدم في أزمنتهم المتأخرة وهذا الجواب في غاية الوقاحة. فالسريانية شعب من الشعوب ولهم لغتهم، كما أن العرب شعب ولهم لغتهم والعبرانيون شعب من الشعوب ولهم لغتهم، فلما خنقته الحجة اخترع سريانية جديدة لم يذكرها أحد من الناس قبله. أما ما زعمه مؤلف كتاب الإبريز أنه نقله عن شيخه من أن اسم الله بالسريانية (أغ) وأنه من بقايا لغة الروح يجري على لسان الصبيان الرضع فهو من أعظم الكذب والبهتان فإن اسم الله بالسريانية (الاها) هذا عند السريانيين الغربيين وعند السريانيين الشرقيين (ألاهو). والسبب في ذلك أن جميع الأسماء عند السريانيين الغربيين تختم بألف مثل (بيتا) بيت، (ماي) ماء، (شمايا) سماء، (عليما) غلام. وهكذا.. أما السريانيون الشرقيون فإن الأسماء تختم عندهم بواو قبلها ضمة واسمه تعالى باللغة العبرانية (إلوهم) ولا تختلف الشعوب السامية فيما نعلم في اسم الله تعالى إلا فيما رأيت من تغيير الحركات ثم قال: " وإذا أراد الصبي أن يتغوط أعلم أمه وقال: ع ع، وهو موضوع في السريانية لإخراج خبث ذات الصبي"، قال محمد تقي الدين: يا أسفا على العقول التي

تصدق مثل هذا الهذيان ومن سوء الحظ أن كثيرا ممن يدعون أو يدعى لهم أنهم علماء في المغرب وفي مصر يصدقون هذا البهتان فنقول لهذا المخبول: إذا كانت السريانية بزعمك لغة الأرواح أي أرواح بني آدم كلهم وأن الصبيان الرضع لقرب عهدهم بعالم الأرواح بقيت على ألسنتهم هذه الكلمة السريانية فما بال صبيان العالم الرضع لا يتكلمون بها في أي شعب من الشعوب إلا في المغرب الأقصى فلعل صبيان المغاربة حفظوا ما نسيه جميع صبيان العالم وصدق رسول الله ﷺ الذي قال: «**إن مما بقي من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت**». على أن حرف العين خاص بالشعوب السامية التي خرجت من جزيرة العرب ولا يوجد عند غيرهم، فالشعوب التي ليس في لغتها عين كالأوروبيين مثلا لا يستطيع الشخص الذي لم يسمع العين ولم يتدرب عليها مدة طويلة لا يستطيع أن ينطق بها أبدا إلاّ إذا خالط شعبا ساميا كالعرب والسريانيين والآشوريين والعبرانيين والقبط والبربر مدة طويلة وقد يخالطهم زمانا طويلا ولا يستطيع أن ينطق بها. والحق أن الكلمات المختصرة التي ينطق بها الصبيان في بعض البلدان إنما تلقنوها من أمهاتهم يضعنها لهم مختصرة ليسهل نطقهم بها في بعض البلدان فيسمون الخبز بابّ، والماء أمبوا، والتمر نيني أو نان، والطفل الصغير الذي هو مثلهم موم، وهنا في المدينة يقلبون الميم نونا فيقولون (نون) وقد جمع بعض المستشرقين لغة صبيان العرب من مثل ما تقدم فاجتمع عنده مائة وخمسون كلمة وهذا كما تقدم من تلقين الآباء والأمهات ولا علاقة له بالسريانية ولا بلغة الأرواح وذكر المؤلف كلمات أخرى من هذا القبيل لا نطيل بذكرها، ومن أراد الاطلاع عليها فلينظرها في الكتاب المذكور.

ثم قال مؤلف كتاب الإبريز: "وسألته رضي الله عنه عن سؤال القبر هل يكون بالسريانية أم بغيرها وقد قال الحافظ السيوطي في منظومته:

ومن غريب ما ترى العينان   أن سؤال القبر بالسرياني

قال شارح هذه المنظومة نقلا عن كتاب للسيوطي سمّاه شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور. "وقع في فتاوى شيخ الإسلام علم الدين البلقيني: إن الميت يجيب السؤال بالسريان". قال الناظم: "ولم أقف له على سند". قال محمد تقي الدين: عفا الله عن السيوطي كيف ينقل شيئا لا يعتقد صحته، ولم يجد له دليلا، وهو من أمور الغيب ثم لا

يرده، بل يكتفي باستغرابه. وقوله: ومن غريب ما تقرؤه العينان من الآراء في الكتب قول البلقيني أن سؤال القبر بالسرياني يدل عليه قوله في البيت الذي يلي البيت السابق:

كـذا يـقول شيـخنا البلقيـني ولـم أره لـغيـره بـعينـي

فيه تكلف لأن العينين لا تريان سؤال القبر. ثم قال وقد سئل الحافظ ابن حجر عن ذلك فقال: "ظاهر الحديث أنه باللسان العربي ويحتمل مع ذلك أن يكون خطاب كل واحد بلسانه وهو متجه". اهـ. فقال رضي الله عنه يعني شيخه عبد العزيز الدباغ. نعم سؤال القبر بالسريانية لأنها لغة الملائكة والأرواح ومن جملة الملائكة ملائكة السؤال وإنما يجيب الميت عن سؤالهما روحه وهي تتكلم بالسريانية كسائر الأرواح؛ لأن الروح إذا زال عنها حجاب الذات عادت إلى الميت حالتها الأولى. قال رضي الله عنه: والولي المفتوح عليه فتحا كبيرا يتكلم بها من غير تعلم أصلا لأن الحكم لروحه فما ظنك بالميت فلا صعوبة عليه في التكلم بها. فقلت يا سيدي نريد من الله ثم منكم أن تمنوا علينا بذكر كيفية السؤال وكيفية الجواب باللغة السريانية؟

فقال رضي الله عنه: أما السؤال فإن الملكين يقولان له بلفظ السريانية (مرازهو) وضبطه بفتح الميم وبها تشديد ضعيف وبفتح الراء المهملة وبعدها ألف وبعد الألف زاي مسكنة وبعد الزاي هاء مضمومة بعدها واو ساكنة سكونا ميتا. فله ذلك ومعنى هذه الحروف المسؤول بها يعرف بأصل وضع الحروف في اللغة السريانية فأما الميم المفتوحة وهي الحرف الأول فإنها وضعت لتدل على المكونات كلها والمخلوقات بأسرها، وأما الحرف الثاني وهو الراء فإنه وضع للخيرات التي في تلك المكونات، وأما الزاي فإنها وضعت للشر الذي فيها. وأما الهاء التي بعدها صلة فإنها وضعت لتدل على الذات المقدسة الخالقة للعوالم كلها سبحانه لا إله إلا هو.

ثم قال: وأما الجواب: فإن الميت إذا كان مؤمنا فإنه يجيبهما بقوله مراد أزيرهو، وضبطه بفتح الميم وفيها تشديد ضعيف وبعدها راء مفتوحة بعدها ألف ساكنة بعد الألف دال ساكنة وبعد الدال همزة مفتوحة وبعد الهمزة زاي مكسورة بعدها ياء ساكنة سكونا ميتا وبعد الياء راء ساكنة وبعد الراء هاء موصولة بواو ساكنة سكونا ميتا.

ومعنى هذه الحروف: أن الحرف الأول أشير به كما سبق إلى المكونات كلها والمخلوقات بأسرها، وأشير بالحرف الثاني إلى نور محمد ﷺ وإلى جميع الأنوار التي تفرعت منه كأنوار الملائكة والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وأنوار اللوح والقلم والبرزخ وكل ما فيه نور، وأشير بالحرف الثالث وهو الدال المسكنة إلى حقيقة جميع ما دخل تحت الحرف الذي قبله فكأنه يقول: نبينا محمد ﷺ حق وسائر الأنبياء حق وسائر الملائكة حق لا شك في جميع ذلك وجميع ما دخل تحت الحرف السابق، وأشير بالحرف الرابع وهو الهمزة المفتوحة إلى مدلول ما بعدها فالهمزة المفتوحة في لغة السريانية من أدوات الإشارة كلفظة هذا أو هذه في العربية، والزاي التي بعدها وضعت لتدل على الشرك كما سبق فيدخل فيها جهنم وكل ما فيه ظلام وشر، وأشار بالراء المسكنة إلى حقيقة كل ما يدخل تحت الحرف الذي قبله وهي الزاي المكسورة المشبعة بالياء الساكنة، وأشير بالهاء الموصولة إلى الذات العلية من حيث أنها خالقة ومالكة ومتصرفة وقاهرة ومختارة فحاصل معنى الجواب أنه قيل جميع المكونات ونبينا الذي هو حق وسائر الأنبياء الذين هم حق وكافة الملائكة الذين هم حق وجميع الأنوار التي هي حق وعذاب جهنم الذي هو حق وكل الشر الذي هو حق هو سبحانه خالقها ومالكها ومتصرف فيها المختار فيها وحده لا معاند له ولا شريك ولا راد لحكمه. قال رضي الله عنه فإذا أجاب الميت بهذا الجواب الحق قال له الملكان عليهما الصلاة والسلام: ناصر. وضبطه بفتح النون في أوله بعدها ألف وبعد الألف صاد مكسورة وبعد الصاد راء ساكنة ومعناه يُعلم مما وضعت له حروف في السريانية فالحرف الأول وهو نا بالنون المفتوحة بعدها ألف للنور الساكن في الذات المشتعل فيها والحرف الثاني وهو الصاد المكسورة وضعت لتدل على التراب، والراء الساكنة تدل على حقيقة المعنى السابق، فمعنى هذا الكلام حينئذ نور إيمانك الساكن في ذاتك الترابية. أي التي أصلها من التراب صحيح حق مطابق لا شك فيه فهو قريب من قوله في الحديث: "نم صالحا قد علمنا إن كنت لموقنا".

وسألته رضي الله عنه عن كلمات من القرآن اختلف العلماء فيها هل هي سريانية أم لا؟ فمنها أسفارا، قال الواسطي في الأشاد هي الكتب بالسريانية وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال هي الكتب بالقبطية قاله في الإتقان في علوم القرآن. فقال رضي الله عنه هي سريانية وهي الكتب كما قال الواسطي رحمه الله ومعنى الكلمة تلك: محاسن الأشياء التي

ليست طوق البشر لأن الهمزة المفتوحة إشارة لما يليها كما سبق. والسين المسكنة وضعت لمحاسن الأشياء. والفاء المفتوحة اسم لما ليس في طوق البشر، والراء المفتوحة إشارة أخرى إلى تلك المحاسن فكأنه يقول: إن الكتب فيها هذه المحاسن التي لا تطاق والله أعلم.

قال محمد تقي الدين: كلمة (سفر) بكسر السين وسكون الفاء من الكلمات المشتركة بين اللغات السامية التي نعرفها ففي السريانية (سفرا) سواء أكان نكرة أم معرفة لأن كل اسم في السريانية ينتهي بالألف وليس فيها أداة تعريف، وبالعبرانية إذا لم تضف هذه الكلمة تلفظ (سفر) بكسر السين والفاء، وهكذا الأسماء الثلاثية في اللغة العبرانية كثير منها يكون بكسر أوله وثانيه وإذا أضيف إليه ياء المتكلم تقول (سفري) بكسر فسكون كما في العربية. أما الجمع فيختلف ففي العربية وحدها لا في أختيها يجمع على أسفار، ومؤلف كتاب الابريز توهم أن السفر يجمع على أسفار في اللغة السريانية فاخترع لكل حرف معنى حسبما تقدم من زعمه أن كل حرف في السريانية له معان وهو باطل كما أشرت إليه سابقا، فحرف التهجي في السريانية كغيرها ليس له معنىً، ومن المعلوم أن أكثر الكلمات في اللغات السامية سواء أكانت فعلاً أم اسماً لا يقل عددها في الكلمة الواحدة عن ثلاثة أحرف، وما جاء ناقصا؛ كيَدٍ ودَمٍ فالحرف الثالث فيه مقدر يظهر في الجمع نحو (اغسلوا أيديكم) وسالت دماء الأعداء، فهمزة دماء منقلبة عن ياء والأصل دماي وعلماء اللغات السامية متفقون على هذا ولكن أحمد بن المبارك اللمطي ظن أن اللغة السريانية ماتت موتا تاما وانقرض أهلها ولم يبق أحد يعرفها على وجه الأرض فافترى ماشاء له الخيال أن يفتري. ولم يدر أن قرىً كثيرة في شمال العراق لا تزال تتكلم بالسريانية، وقرى أخرى هناك تتكلم بالآشورية التي أختها الشقيقة، وما أحسن ما قال الشاعر:

في مثل هذا المفتري يحق إنشاده:

يا لك من قبرة بمعمر خلا لك الجو فبيضي واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري قد ذهب الصياد عنك فابشري

لا بدّ من أخذك يوما فاحذري

وقد رأيت في خزانة الكتب ببرلين مجلدين ضخمين يشتملان على أسماء الكتب السريانية المخطوطة الموجودة في هذه الدار وحدها فما بالك بخزائن الكتب التي توجد عند

السريانيين في الشام والعراق وقد زرت مدرستهم في الموصل، والتدريس فيها باللغة السريانية وهي مؤسسة لتخريج القسيسين، ولما قال لي مدير المدرسة وهو قسيس: اسأل التلاميذ عمّا تريد. فقلت: لا أريد أن أخجلهم. فقال: لا بل اسألهم. فأشرت إلى تلميذ عمره خمس عشرة سنة تقريبا يلبس لباس الرهبان كسائر التلاميذ وقلت له تستطيع أن تترجم أبياتا عربية بالسريانية فقال نعم. فقلت له ترجم الأبيات التالية:

تعلم فليس المرء يولد عالما ... وليس أخ علم كمن هو جاهل

وإن كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا التفت عليه المحافل

وإن صغير القوم والعلم عنده ... كبيرا إذا ردت إليه المسائل

فترجمها شعرا بالسريانية أحسن ترجمة.

ثم قال: ومنها (شهر) ذكر الجواليقي أن بعض أهل اللغة ذكر أنه سرياني فقال رضي الله عنه ليس بسرياني والشهر في لغة السريانيين اسم للماء، قلت ومن عرف تفسير حروفه لم يشك في ذلك، قال محمد تقي الدين وهذا أيضا افتراء، فإن الشهر موجود في السريانية بلفظ (سهرا) ومعناه الهلال والقمر. أما الماء الذي زعم أنه في السريانية شهر فقد كذب فالماء في السريانية ماي وجمعه مايي أي مياه، وأقتصر في الرد على هذا المفتري على هذا القدر. وهذا الرجل أحمد بن المبارك اللمطي السجلماسي من كبار علماء وقته في مدينة فاس في القرن الثاني عشر للهجرة وقد حمله حب الشهرة أن اتّخذ رجلاً من آل البيت اسمه عبد العزيز الدباغ كان يعد من الصالحين وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب اتخذه شيخا ونسب إليه أجوبة كثيرة عن معاني الآيات والأحاديث لا يتسع المقام لذكرها وزعم أنه كان يقرأ اللوح المحفوظ ويجيب عن كل ما يُسأل عنه وهذا يدل على ذهاب العلم والعلماء كما قال النبي ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس بعد أن أعطاهموه وإنما يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتّخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا». وإذا أردت أيها القارئ أن تزداد علما بما ينسب من كلمات القرآن إلى غير لغة العرب فعليك بقراءة مقالي المنشور في مجلة الجامعة الإسلامية في الجزء الثالث من السنة الثالثة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.



بدعة قراءة القرآن جماعة بنغمة واحدة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

قال العلامة الشيخ محمد تقي الدين الهلالي رحمه الله في كتابه «الحسام الماحق»: اعلم أنَّ الاجتماع لقراءة القرآن في المسجد في غير أوقات الصلاة مشروع لقول النبي ﷺ: **«وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نَزَلت عليهم السكينة وغَشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»**. رواه مسلم من حديث أبي هريرة.

لكن الاجتماع لقراءة القرآن الموافقة لسنة النبي ﷺ وعمل السلف الصالح أن يقرأ أحد القوم والباقون يسمعون، ومن عرض له شك في معنى الآية استوقف القارئ، وتكلم من يحسن الكلام في تفسيرها حتى ينجلي تفسيرها، ويتضح للحاضرين، ثم يستأنف القارئ القراءة. هكذا كان الأمر في زمان النبي ﷺ إلى يومنا هذا في جميع البلاد الإسلامية ما عَدَا بلاد المغرب في العصر الأخير، فقد وضع لهم أحد المغاربة ويسمى (عبد الله الهبطي) وَقْفاً محدثاً ليتمكنوا به من قراءة القرآن جماعة بنغمة واحدة، فنشأ عن ذلك بدعة القراءة جماعة بأصوات مجتمعة على نغمة واحدة وهي بدعة قبيحة تشتمل على مفاسد كثيرة:

الأولى: أنـها محدثة وقد قال النبي ﷺ: **«وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»**.

الثانية: عدم الإنصات فلا ينصت أحد منهم إلى الآخر، بل يجهر بعضهم على بعض بالقرآن، وقد نـهى النبي ﷺ عن ذلك بقوله: **«كلكم يناجي ربه فلا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن، ولا يؤذ بعضكم بعضاً»**.

الثالثة: أن اضطرار القارئ إلى التنفس واستمرار رفقائه في القراءة يجعله يقطع القرآن ويترك فقرات كثيرة فتفوته كلمات في لحظات تنفسه، وذلك محرم بلا ريب.

الرابعة: أنه يتنفس في المد المتصل مثل: جاء، وشاء، وأنبياء، وآمنوا، وما أشبه ذلك فيقطع الكلمة الواحدة نصفين، ولا شك في أن ذلك محرم وخارج عن آداب القراءة، وقد نص أئمة القراءة على تحريم ما هو دون ذلك، وهو الجمع بين الوقف والوصل، كتسكين

باء (لا ريب) ووصلها بقوله تعالى: ﴿ **فِيْهِ هُدى** ﴾ قال الشيخ التهامي بن الطيب في نصوصه:

الجمع بين الوصل والوقف حرام نص عليه غير عالم همام

الخامسة: أن في ذلك تشبهاً بأهل الكتاب في صلواتهم في كنائسهم.

فواحدة من هذه المفاسد تكفي لتحريم ذلك، والطامة الكبرى أنه يستحيل التدبر في مثل تلك القراءة وقد زجر الله عن ذلك بقوله في سورة محمد: ﴿ **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾ ونحن نشاهد معظم من يقرأ على تلك القراءة لا يتدبر القرآن ولا ينتفع به، وتا الله لقد شاهدت قُراء القرآن على القبر فلم يتعظوا بمشاهدته ولا برؤية القبور ولا بما يقرؤونه من القرآن، فقبح الله قوماً هذا حالهم (و بعداً للقوم الظالمين).

قال أبو إسحاق الشاطبي في (**الاعتصام**): (واعلموا أنه حيث قلنا: إن العمل الزائد على المشروع يصير وصفاً له أو كالوصف فإنما يعتبر بأحد أمور ثلاثة: إما بالقصد، وإما بالعبادة، وإما بالزيادة أو بالنقصان.

إما بالعبادة كالجهر والاجتماع في الذكر المشهور بين متصوفة الزمان، فإن بينه وبين الذكر المشروع بوناً بعيداً إذ هما كالمضادين عادة، وكالذين حكى عنهم ابن وضاح عن الأعمش عن بعض أصحابه قال: (**مَرَّ عبد الله برجل يقص في المسجد على أصحابه وهو يقول: سبحُوا عَشرًا وهللوا عشرًا، فقال عبد الله: إنكم لأهدى من أصحاب محمد ﷺ أو أضل؟ بل هذا "يعني أضل"**).

و في رواية عنه: أن رجلاً كان يجمع الناس فيقول: رحم الله من قال كذا وكذا مرة "الحمد لله"، قال فمر بهم عبد الله بن مسعود فقال لهم: (**هُديتم لما لم يُهدَ نبيكم، وإنكم لتمسكون بذنب ضلالة**)، وذكر لهم أن ناساً بالكوفة يسبحون بالحصى في المسجد فأتاهم وقد كوم كل رجل بين يديه كوماً من حصى قال: فلم يزل يحصبهم بالحصى حتى أخرجهم من المسجد ويقول: " **لقد أحدثتم بدعة وظلماً وكأنكم فقتم أصحاب محمد ﷺ علمًا** ". انتهى

تعليق: وقد روي هذا الحديث عن ابن مسعود من طرق كثيرة بعبارات مختلفة لفظاً ومتفقة معنى، بعض الروايات مطول وبعضها مختصر وفيه فوائد:

الأولى: هذا الحديث موقوف ولكنه في حكم المرفوع، لأن ابن مسعود صرح بأن ذلك مخالف لسنة النبي ﷺ ففي بعض الروايات: «**وَيْحَكُم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم، هذه ثيابه لم تبل، وأوانيه لم تكسر، ونساؤه شواب، وقد أحدثتم ما أحدثتم**»، وفي رواية أخرى: أن عبد الله بن مسعود لما طردهم من مسجد الكوفة ورماهم بالحصباء، خرجوا إلى ظاهر الكوفة وبنوا مسجداً وأخذوا يعملون ذلك العمل، فأمر عبد الله بن مسعود بـهدمه فهدم.

الثانية: أن البدعة وإن كانت إضافية شَرٌّ من المعاصي كما حققه أبو إسحاق الشاطبي فهي حرام، إنما كانت شراً من المعاصي لأن المعصية يفعلها صاحبها وهو معترف بذنبه فيرجى له أن يتوب منها.

الثالثة: أن المبتدع يستحق العقاب والطرد من المسجد إن كان الابتداع فيه.

الرابعة: أن كل مسجد بني على قبر أو بني لارتكاب البدع فيه يجب هدمه؛ لأنه مثل مسجد الضرار الذي أمر رسول الله ﷺ بـهدمه وإحراقه، فهدمه أصحابه وجعل كناسة ترمي فيه الجيف، وقد نقل غير واحد عن ابن حجر الهيثمي أنه قال: (**إن هذه المساجد المبنية على القبور هي أحق بالهدم من مسجد الضرار**)، وابن حجر هذا كان مبتدعاً ضالاً ولكنه في هذه المسألة قال الحق، والحكمة ضالة المؤمن، يأخذها حيث وجدها. أما الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني فهو إمام محقق لم يشرح أحد صحيح البخاري مثل شرحه المسمى بـ (**فتح الباري**) ولذلك قال العلماء: (لا هجرة بعد الفتح). أي لا شرح للبخاري يستحق الاعتبار بعد فتح الباري، ثم قال أبو إسحاق عاطفاً على البدع المنكرة: (**ومن أمثلة ذلك أيضاً: قراءة القرآن على صوت واحد، فإن تلك الهيئة زائدة على مشروعية القراءة، وكذلك الجهر الذي اعتاده أرباب الرواية**)

قال محمد تقي الدين: والعجب من هؤلاء المشركين المبتدعين الضلال، فإنـهم يتلونون تلون الحرباء لا يستقرون على حال أبداً، فتارة يدعون أنـهم مقلدون لمالك، ويرون من خالف مذهبه كمن خالف القرآن والسنة الثابتة المحكمة، ويغلون في ذلك إلى أن يجعلوا البسملة والتعوذ وقراءة الفاتحة خلف الإمام في الجهرية والجهر بالتأمين ووضع اليمنى على اليسرى ورفع اليدين عند الركوع والرفع منه وبعد القيام من التشهد الأول، والسلام تسليمتين (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) وما أشبه ذلك من السنة الثابتة عن النبي ﷺ

التي يراها من له أدنى إلمام بالفقه في الدين كالشمس في رابعة النهار كأنه يشاهد النبي ﷺ يفعلها لا يشك في ذلك ولا يرتاب فيه، يجعلون ذلك من المنكرات التي يجب أن تغير، ويكتب فيها من بلد إلى بلد مع أن مالكاً في الحقيقة قائل ببعضها تفصيلاً وبسائرها إجمالاً، ثم يخالفون فيما ينهى عنه ويكرهه كراهة تحريم من البدع التي لا تسند إلى أي دليل كعبادة القبور وزيارتها زيارة بدعية، وقراءة القرآن على الميت بعد موته وعلى قبره، وقراءة القرآن **جماعة بصوت واحد**، وقراءة الأذكار والأوراد كذلك، وقد صرح بذلك خليل الذي يعدون مختصره قرآناً يتلى غلواً منهم وضلالاً.

قال في مختصره عاطفاً على المكروهات: (وجهر بها في مسجد كجماعة)، ولا يبالون بخلافه فيما اعتادوه من البدع، فيحلونه عاماً ويحرمونه عاماً، وما أحسن قوله تعالى في سورة القصص يخاطب رسوله ﷺ: ﴿ **فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾

انتهى ما قال رحمه الله

هل كان العلامة تقي الدين الهلالي متأثرا بالغرب؟

بقلم تلميذه الشيخ أحمد بن محمد الحمزاوي

ضمني وإخوة أجلاء مجلس مبارك تجاذبنا فيه أطراف الحديث، فجرى ذكر مجدد الدعوة السلفية في المغرب وناصرها، ومحيي معالم السنة بعد اندثارها، وقامع البدع والخرافات وقاهرها، لسان أهل السنة وخطيبهم، وكاتب أصحاب الحديث وشاعرهم، الإمام العلامة الشيخ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي تغمده الله بواسع رحمته، فأخبرني بعض الحاضرين أن شخصا من المغرب يشيع بين المشايخ وطلبة العلم، أن العلامة الهلالي رحمه الله كان معجبا بالمدنية الغربية وأصحابها، ومتأثرا بالحضارة الأوروبية وأفكارها، فتملكني العجب، لا من سوء الفرية، وقبح البهتان، فمثل الشيخ العلامة في جهاده، وإصلاحه، ودعوته، وذبه عن عقيدة السلف وأهلها، وذوده عن حياض السنة وآلها، وانبرائه لصد ما يخالف شرع الله تعالى بلسان سحبان فصاحة وبيانا، وقلم ابن قتيبة سلاسة وبرهانا، وشعر حسان جزالة وإتقانا عرضة لأن ينفس المبتدعون والخرافيون والصوفيون والقبوريون عن غيظهم بالطعن فيه بعد موته والحي قد يغلب ألف ميت أما في حياته، فقد أسكت والله أصواتهم، وألجم ألسنتهم، وكمم أفواههم، وقلم أظفار أقلامهم لكن سبب عجبي أن مختلق الإفك، ومشيع الكذب من المنتسبين إلى منهج أهل السنة والجماعة الذي أحياه الشيخ الهلالي، وذاد عنه قرابة ثمانين عاما في مشارق الأرض ومغاربها، ويبلغ العجب منتهاه، والاستغراب مداه، أن الذي تولى كبر هذه الفرية، وباء بإثم نشرها، ممن طوق العلامة الهلالي أعناقهم بمعروفه، وغمرهم بإحسانه، فهو الذي ارشده إلى طريق العلم، ويسر له سبل المعرفة، فكان كما قيل: (أحشك وتروثني)

أعلمه الرماية كل يوم ... فلما اشتد ساعده رماني

وكم علمته نظم القوافي ... فلما قال قافية هجاني

مع ان النفوس السوية، والفطر السليمة تأبى أن تقابل المعروف إلا بالمكافأة والشكران، وأن تجزي الإحسان إلا بالإحسان، قال تعالى: ﴿ **هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ** ﴾، وروى الترمذي وصححه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**»

وفي لفظ لأحمد وأبي داود وابن حبان: لا يشكر الله من لا يشكر الناس وقد استند هذا الرجل في دعواه وافتئاته على أمرين:

أولهما: أن الشيخ العلامة الهلالي درس في أوروبا، ونال شهادته منها.

الثاني: أنه رحمه الله كان يذكر في دروسه، وكتاباته ما رآه من تمسك بعض الأوروبيين بجملة من محمود الصفات، وتحليهم ببعض الأخلاق الحسنة كترك الفضول، وحسن الإنصات للمناقش، والمحافظة على المواعيد، والحرص على عدم إضاعة الأوقات، والجد في العلوم الدنيوية، مما أوصلهم إلى ما هم فيه من التقدم المادي الدنيوي، حتى أصبح المسلمون يحتاجون إلى صناعاتهم من الإبرة إلى الطائرة ودونك أخي الكريم حقيقة الأمر وجلية المسألة، لتعلم ما في كلام الرجل من التدليس والتلبيس.

أولاً: أن الشيخ رحمه الله بين بنفسه سبب سفره إلى أوروبا، وعلة سعيه في الحصول على الشهادة، فقال: وإنما سافرت إلى أوروبا بعد سن الأربعين، للحصول على شهادة جامعية تمكنني من الدخول الى الجامعات في البلاد الآسيوية والإفريقية، لنشر الدعوة بين المعلمين والمتعلمين، لأن الأسيويين والأفريقيين قد غلوا في تعظيم الشهادات العالية، وأصحابها، حتى صارت عندهم كل شيء، فمن حصل عليها صار حديثه مقبولا، وصار في نظرهم عالما، ولو كان أجهل من حمار أهله، صيانة العرض ص٣٣ .

وهذا الكلام من وضوح المغزى ونبل المقصد بحيث لا يحتاج الى تعليق وقد صرح في موضع آخر بأن الاقامة في أوروبا إنما تكون للضرورة فقد كتبه الأستاذ عبد اللطيف أبو السمح فكان مما قاله: (وأسأله تعالى أن يجمعنا بكم في أوروبا كما جمعنا في أفريقيا ثم آسيا فأجابه العلامة الهلالي من قلب أوروبا قائلا: وما رجوته من الاجتماع هو بغيتي وسؤالي إلا أنني أخالفك في موضعه فأتمنى أن يكون في مصر في خير وسلامة فهي أحب إليَّ من أوروبا ولا أظن أن العاقل يستحب الإقامة في أوروبا إلا للضرورة وبقدرها،، إلى أن قال: ولا أنكر أن هنا في أوروبة علوما نافعة لأهل الشرق، ولا أجحد أن بعض من يرحل إلى أوروبة من الطلبة فيهم شهامة ونجابة والذي أنكره هو أنه ليس كل الطلبة الآتين هذه الديار لطلب العلم هم في الحقيقة طلاب علم، وأنهم يرجعون إلى الشرق بما ينفع أوطانهم، أو على الأقل لا يضرها ومنذ جئت إلى أوروبة، وخبرت أحوال طلبة العلم

أسفت أسفا شديدا، إذ لم يكن لي حول ولا قوة لإصلاح الحال، فإن قلت: وماذا تصنع لو كان لك حول وقوة؟ فالجواب: لو كان لي مثلا مال فاضل وهو أحد أنواع الحول لما اقتصرت في النصيحة على تصديع القراء بمثل هذه المقالات الفارغة، بل أجبت بالعمل وذلك أني أرجع إلى الشرق، وألقي بصري على طلبة العلم ,ومتى رأيت منهم من جزمت لي فراستي وأظنها قلما تخطئ في هذا الباب دعوته واختبرته، وعرفت العلم الذي هو متأهل له، فقلت له: تهيأ للسفر وجهزته وبعثته، فإذا أتم دراسته ورجع يعمل عملا حرا أو حكوميا مضاداً أشد المضادة لما يعمل المزورون الملبسون، فإذا رأى الشعب والحكومة الفرق بينه وبين أولئك المحتالين، عرفوا الحقيقة، واحتاطوا في إرسال الطلبة، وتدرجوا في إصلاح هذا الباب إلى أن يصلوا إلى الصواب، وهو إرسال الطلبة حسبما تقتضيه حاجة البلاد، لا حسب شهوة المرسلين أو المرسلين انظر مجلة الفتح العدد ٨١١ ص ١٣ فتأمل أخي الكريم هذه الجواهر واللآلىء بعين الإنصاف، وزنها بميزان العقل، تجد أن الشيخ العلامة قد طبق المفصل، وأصاب كبد الحقيقة، وأن ذلك لا يصدر إلا من أصيل الرأي، ثاقب النظر، سديد الرأي لا عن مقلد للغرب متأثر به، كما يزعم ذلك الرجل وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فما على الحكومات العربية والإسلامية إلا أن تبحث في سبل تطبيق هذه النظرية العلمية العظيمة، وآلات تحقيقها.

فهذا الحق ليس به خفاء فدع عني بنيات الطريق

ويقول رحمه الله وهو في ألمانيا: (وأن من أهم الأمور التي دعتني للإقامة في أوروبة إبطال دعاوى المتفرنجين، وفضح أحوالهم، وهتك أستارهم، وإتيان بيوتهم التي هي أوهى من بيت العنكبوت من القواعد: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُم فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُر ﴾ حرر في بن جرمانية: ٢٥ رجب ١٣٥٧هـ لم أعرف عن أحد من الشدة والغلظة والإنكار على المتفرنجين والعلمانيين مثل ما عرفته عن الشيخ الهلالي رحمه الله وفي قوله السابق ما ينبئ عن شيء قليل من ذلك، فهل يقول بعد ذلك عاقل يعي ما يقول: إن الشيخ متأثر بالغربيين؟؟

ثانياً: ما شغب به صاحبنا من كون الشيخ العلامة كان يمثل ببعض الأوروبيين في تمسكهم بجملة من محمود الأخلاق، كما أسلفنا، فهذا الرجل إما أن يكون قد أتى من فهم

سقيم وفكر مريض فالتبس عليه الأمر كما قيل:

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

وهذا أمر بعيد الاحتمال، وإما أن يكون قد بلغ به الحقد إلى حد محاولة إخفاء شمس الحقيقة، واختلاق الأكاذيب، كما قيل:

إن يعلموا الخير اخفوه وإن علموا شرا أذاعوا وإن لم يعلموا كذبوا

وإلا فإن كل من جالس الشيخ العلامة رحمه الله أو أخذ عنه، أو استمع إليه، أو قرأ له يعلم يقينا أن الشيخ كان من أشد الناس إنكارا على من يخل بمكارم الأخلاق، أو يتهاون في التمسك بآداب الإسلام، وكان يقول: إن من أسباب تخلف المسلمين تركهم لتلك الأخلاق والآداب، ويدلل على ذلك بأن الأوروبيين والغربيين ما وصلوا الى ما وصلوا إليه من العلوم الدنيوية، إلا بأخذهم بجزء مما جاء به الإسلام، وحث عليه من الجد في العمل، وعدم إضاعة الوقت، وغير ذلك قال رحمه الله في مقال له بعنوان: (كيف كانت عقولهم؟) نشر في الفتح العدد ٢٨١ ص٩ لئن خسر الأوروبيون في غزوات فلسطين لقد ربحوا ربحا عظيما، ونالوا ما هو خير لهم في ذلك الزمان من فتح مصر والشام والعراق، كانت صفقتهم رابحة وصفقتنا خاسرة، ذلك بأنه وقعت بيننا وبينهم مبادلة علمية خلقية، إذ أخذوا منا جانبا من العلم والأخلاق التي كان بها سعودنا وصعودنا، وأخذنا منهم قسطا وافرا من الجهل والأخلاق التي كانت سبب شقائهم وهبوطهم ويقول في آخر المقال:

فمن أين يا ترى جاءتنا هذه العقيدة، عقيدة المحاربة بالقوى الخفية؟ لا شك أنها بضاعة أوروبية من بضائع أولئك القسيسين الذين قدموا الصبيان الفرنسيين لحتفهم وكيف تبدلت عقول الأوروبيين، وانتقلت من تلك الدركة السفلى، فارتفعت إلى ما هي عليه الآن من معرفة سنن الكون، وربط الأسباب بالمسببات ليس إلا من تلك الحروب الصليبية التي أفهمت الأوروبيين جهلهم وانحطاطهم، فبادروا إلى درس العلوم المحمدية، والحضارة العربية، وثابروا على ذلك الى ان بلغوا ما بلغوا، ومن سلك الجدد أمن العثار فانظر رحمك الله إلى عظيم قدر الأخلاق، وكبير منزلة العلوم المحمدية عند العلامة المفكر رحمه الله فقد جعل ما ظفر به الصليبيون من علوم المسلمين وأخلاقهم نصرا حقيقيا وإن انهزموا في ميادين الحرب لأنه كان السبب في نهضتهم وقوتهم المادية، كما جعل ما تلقفه المسلمون من

جهل الأوروبيين ومساوئ أخلاقهم انهزاما حقيقيا وإن انتصروا في المعارك لأنه كان سبب انحطاطهم وتخلفهم وقوله رحمه الله: (وربط الأسباب بالمسببات ليس إلا) بيان لما أخذه الأوروبيون من الأخذ بالأسباب، اما التوكل على الله مسبب الأسباب، فهذا جانب عقدي لم يأخذه الأوروبيون، فلم يذكره، وذلك بيّن واضح ثم بعد هذا، أيقال في حق مثل هذا الإمام العلامة، وهو الداعية الصادع بالحق المعلن أن ما أصاب المسلمين من ضعف ووهن، سببه ترك تعاليم دينهم وأخلاق شريعتهم إلى خزعبلات الأوروبيين وخرافاتهم: إنه متأثر بالفكر الغربي والحضارة الأوروبية؟! سبحانك ربي هذا بهتان عظيم!!

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم

وقد وقفتك أخي المنصف على نزر ضئيل من فكر الشيخ الإمام في تنظير التعامل مع الغرب، وانبلج الصبح لذي عينين، وعسى الله أن ييسر لنا إتمام هذا الموضوع وغيره بأوسع من هذا.

قصائد شعرية

أسماء الله الحسنى

بـــدأت باســـم الإلـــه الواحـــد الأزلـــي
ذا الفضـــل والجـــود والإحســـان لم يـــزل

ثـــم الصـــلاة علـــى محمـــد وعلـــى
آل الـــنبي ذو الإكـــرام والنـــزل

لله أسمـــاؤه الحســـنى فســـائله
بهـــا بصـــدق يكـــون الخـــير فيـــه جلـــي

نظمتهـــا قاصـــدا وجـــه الإلـــه بهـــا
مســـهلا حفظهـــا للســـائلين ولـــي

فقلـــت والله أســـأل الإعانـــة في
مـــا قـــد قصـــدته والتوفيـــق في عملـــي

إنـــي مـــن الله أرجـــو اليســـر في عجـــل
وأن ينجـــيني ربـــي مـــن الوجـــل

وأنـــت رحماننـــا دنيـــا وآخـــرة
فـــارحم بفضـــلك ضـــعفي أعطـــني أملـــي

ويـــا رحيمـــا بكـــل المـــؤمنين أجـــب
دعـــاء عبـــد ضـــعيف لج في الزلـــل

يـــا مالكـــا عبـــدك المضـــطر مبتهـــل
إليـــك مـــا لـــي ســـواك مـــبرئ عللـــي

قـــدوس طهـــر فـــؤادي كـــي أكـــون علـــى
هـــدى وذكـــرك ربـــي دائمـــا شـــغلي

ويـــا ســـلام ســـلامات تصـــاحبني

من كل سوء ومن عيب ومن خطل

يا **مؤمنا** أعطني أمنا وعافية

طول الحياة ويوم الهول والخجل

ويا **مهيمن** أمن جمعنا أبدا

من المخاوف في التفصيل والجمل

ويا **عزيزا** لك العز العظيم فجد

لنا بعز إلى الآباد متصل

جبار إني كسير أنت تجبرني

واكسر عداتي في الإبكار والأصل

إلهنا **متكبر** نعظمه

فمن تكبر فاردده إلى السفل

يا **خالق** الخلق هب لي خيرهم أبدا

و كف عني أذى ذي المكر والحيل

يا **بارئا** جد ببرء منك في عجل

وألبس الجسم منه سابغ الحلل

ويا **مصور** حبب لي دعاك فما

إن يعتري طلبي شيء من الملل

غفار فاغفر ذنوبا أنت تعلمها

قد أوقعتني في خسر وفي خلل

قهار فاقهر عدوا ظل يحقرني

حتى يرى في الورى أدنى من الجعل

وهاب هب لي رزقا واسعا غدقا

والعلـــم والفقـــه مقـــرونين بالعمـــل

رزاق إنـــي فقـــير أنـــت تـــرزقني

فيســـر الـــرزق وابعثـــه علـــى عجـــل

فتـــاح أســـألك الفـــتح المـــبين لكـــي

تـــردي عـــداتي وإن كـــانوا علـــى القلـــل

علـــيم جـــد لـــي بعلـــم منـــك يحملـــني

علـــى التقـــى واحمـــني مـــن عصـــبة الجـــدل

يـــا قـــابض اقـــبض عـــدوا جـــاء يختـــلني

واضـــربه بالضـــر والإفـــلاس والخبـــل

يـــا باســـط الجـــود والنعمـــاء تبســـط لـــي

رزقـــي وأنفقـــه في أحســـن الســـبل

يـــا خـــافض اخفـــض عـــداة الـــذكر كلـــهم

ورافضـــين حـــديث أفضـــل الرســـل

يـــا رافـــع ارفـــع لنـــا ذكـــرا ومنزلـــة

بقفونـــا المصـــطفى في القـــول والعمـــل

أنـــت المعـــز فمـــن أعززتـــه ارتفعـــت

رايـــات نصـــر لـــه في الســـهل والجبـــل

أنـــت المـــذل فمـــن أذللتـــه انهزمـــت

أجنـــاده وهـــوى في شـــر مـــدخل

ويـــا سميـــع الـــدعا أدعـــوك مبـــتهلا

وأنـــت ربـــي مجيـــب كـــل مبتهـــل

ويـــا بصـــير بحـــالي قـــد مضـــى بصـــري

هب لي البصيرة كي أنجو من الخطل

إني إلى **الحكم** الأعلى أحاكم من

بغى علي ولم يصغَ إلى عذل

فربنا **العدل** من قد جاء يظلمني

فخذه بالقصم والإتلاف والعلل

ألطف بنا يا **لطيف** في الحياة وجد

بحسن خاتمة عند انقضا الأجل

وهب لنا يا **خبير** خبرة وحجى

به نسير بجد دون ما كسل

وهب لنا يا **حليم** الحلم حين نرى

من بعض إخواننا شيئا من الزلل

أنت **العظيم** فعظم أجرنا كرما

وجد علينا بفضل غير منتقل

أنت **الغفور** فهب لي منك مغفرة

لكل ذنب وهب لي أعظم النحل

و يا **شكور** اجعلني شاكرا أبدا

لما مننت به وأعطني سؤلي

وأعل قدري يا **علي** عندك ثـ

ـم عند كل الورى من سافل وعلي

ويا **كبير** اجعل الإكبار يصحبني

وأصغر القرن واجعله من السفل

ويا **حفيظا** على الأشياء أجمعها

بــارك جهــودي واحفظــني مــن الفشــل

ويــــا **مقيــــت** فيســــر قوتنـــا أبـــدا

مـــن الحـــلال ونجنـــا مـــن البخـــل

أنـــت **الحســيب** فحســبي أن أنــال رضــا

ك كنـــت في حـــزن أم كنـــت في جـــذل

ويــــا **جليـــل** فـــأعط حزبنـــا أبـــدا

عـــز الجلالـــة واحفظنـــا مـــن الوجـــل

و يـــا **كـــريم** العطايـــا نحـــن في ظمـــإ

فأعطنـــا الـــورد في نهـــل وفي علـــل

أنــت **الرقيــب** فجــد بالســتر منــك علــى

مـــا كـــان مـــني مـــن ذنـــب ومـــن خلـــل

ويـــا **مجيـــب** الـــدعا أجـــب دعـــائي واح

فظـــني بفضـــلك مـــن ذل ومـــن خجـــل

يـــا **واســـع** الجـــود وســـع رزقنـــا أبـــدا

و امـــنن علينـــا بخـــل ناصـــر وولـــي

ويـــا **حكـــيم** فهـــب لـــي حكمـــة وهـــدى

وامـــنن بنصـــر مـــبين شـــافيا غللـــي

ويـــا **ودود** فهـــب لـــي الـــود أجمعـــه

حتـــى أفـــوز بشـــوق جـــد مكتمـــل

ويــــا **مجيــــد** فمجـــدنا بـــذكرك في

عســـر ويســـر بـــلا عجـــز ولا ملـــل

يـــا **باعـــث** ابعـــث لنـــا النصـــر المـــبين علـــى

محـــاربين لـــدين الحـــق في عجـــل

أنـت **الشـهيد** علـى قـوم طغـوا وبغـوا

وحـاربوا ديـن خـير الخلـق والرسـل

يـا **حـق** أعـداء ديـن الحـق قـد غـدروا

و حـــاربوا نشـــره بـــالمكر والحيـــل

ويــا **وكيــل** عليــك اليــوم معتمــدي

فكــن نصــيري واحفظــني مــن الخطــل

ويــا **قــوي** فقــو اليــوم زمرتنــا

علــى الجهــاد بجــد دون مــا كســل

ويــا **مــتين** فمــتن حزبنــا أبــدا

واجعلــه كــالطود دومــا شــامخ القلــل

ويـــا **ولـــي** تولنـــا بنصـــرك واج

عـــل مـــن يحاربنـــا يســـير في الوحـــل

ويـــا **حميـــد** فوفقنـــا لحمـــدك في

عســـر ويســـر وفي أمـــن وفي وجـــل

وأنــت **محــص** لمــن عــادى الهــدى أبــدا

فـــأوقعنهم بمـــا كـــادوه مـــن دخـــل

يـــا **مبـــدئ** أعطنـــا أمنـــا وعافيـــة

إذا أقمنـــا وفي الأســـفار والنقـــل

ويـــا **معيـــد** أعـــد للـــدين صـــولته

كمـــا تقـــدم في أســـلافنا الأول

وأنـــت **محيـــي** الرفـــاة أحـــي أنفســـنا

بسنة المصطفى في القول والعمل

ويا مميت اجعل التهليل يصحبنا

عند الممات لكي ننجو من الخجل

يا حي أحيي فؤادي كي أكون على

نهج السلامة في حلي ومرتحلي

يا رب إنك قيوم فلا أحد

يقوم إلا بما توليه من نحل

يا واجد جد لنا طرا بمعرفة

بها نحل الذي استعصى من العضل

يا ماجد هب لنا مجدا يميزنا

عن الألى قد غدو من زمرة الهمل

يا واحد هب لنا التوحيد أجمعه

واجعله حليتنا ننجوا من العطل

وأنت يا ربنا إلهنا أحد

لا يرتضي الشرك إلا كل ذي خبل

يا فرد أنت بخلق الخلق منفرد

فمن يوحدك يبلغ غاية الأمل

وأنت يا صمد من يقصدنك يفز

بكل خير على الآمال مشتمل

وأنت يا قادر قدر لنا ظفرا

على الذين بغوا من جملة الدول

وأنت مقتدر بالحلم متصف

فـاغفر لنـا ذنبنـا يـا غـافر الزلـل

ويـا **مقـدم** قـدم وفـدنا أبـدا

واجعـل علـى فضلك المرجـو متكلـي

ويـا **مـؤخر** أخـر مـن يحاربنـا

واجعلـه يـا سـيدي في زمـرة السـفل

يـا **أول** اجعـل مقـامي أولا كرمـا

وحبـك اجعلـه لـي أحلـى مـن العسـل

يـا **آخـر** أخـرن أعـداءنا أبـدا

وجـد علينـا بنصـر جـد مكتمـل

يـا **ظـاهر** أظهـرن حـزب الرشـاد علـى

مـن جـاء يخـدعهم بالخبـث والـدخل

يـا **بـاطن** فـاجعلن بـاطني أبـدا

خلـوا مـن الغـم والأضـغان والـدغل

وأنـت **والـي** الألى يستنصـرون علـى

أعـدائهم بـك في الإبكـار والأصـل

يـا ربنـا **المتعـال** فاحمنـا أبـدا

مـن كـل ذي إحـن للرشـد منتحـل

ومنـك يـا **بـر** أرجـو الـبر يغمرنـي

حتـى أجـيء غـدا في أفضـل الثللـي

تـواب تـب وتقبـل واكفنـا أبـدا

أذى ذوي الشـر مـن حـاف ومنتعـل

وأنـت **منـتقم** رب انـتقم لـي مـن

كـل العـدا وارمهـم بالـذل والهبـل

ويـا **عفـو** اعـف عـن ذنـي فإنـك ذو

فضـل عظـيم علـى المستعتب الوجـل

ويـا **رؤوفـا** بكـل المـؤمنين أقـل

عثـار عبـد ضـعيف مسـرف خجـل

يـا **مالـك** الملـك هـب لـي بغـيتي كرمـا

وكـف عـني أذى ذي البغـي والخطـل

يـا **ذا الجـلال والإكـرام** اغفـرن زللـي

وكـن معـي أبـدا في الحـادث الجلـل

يـا **مقسـط** هـب لنـا القسـطاس يصحبنا

إذا حكمنـا بعـدل دون مـا خلـل

يـا **جـامع** النـاس فـاجمع شملنـا أبـدا

علـى الهـدى باتبـاع أفضـل الرسـل

واغننـا يـا **غـني** بـالغنى كرمـا

وامـنن بـرزق يـرى كالوابـل الهطـل

وأنـت **مغـني** الـورى والعبـد في ظمـإ

فاسـقه علـلا مـن بعـد مـا نهـل

يـا **مـانع** امنـع عبيـدا يحتمـي بـك مـن

ظلـم العـداة وأهلكهـم علـى عجـل

يـا **ضـار** إنـي مضـرور ومفتقـر

إلى رضـاك فجـد بالسـؤل والأمـل

وأنـت يـا **نـافع** انفعـني بمعرفـة

بهـا تـزينني مـن وصـمة العطـل

وأنـت نـور وقلـبي مظلـم وهـل

فـامنن بنـور وأمـن مـذهب وهلـي

وأنـت هـاد فجـد لـي بالهـدى أبـدا

حتـى أسـير بـلا خـبط ولا وحـل

ويـا بـديع السـما والأرض خـذ بيـدي

وسـهل السـير لـي في أقـوم السـبل

وأنـت وحـدك بـاق لا تـزول ومـن

سـواك يلقـى الفنـى في السـهل والجبـل

يـا وارث الأرض والآفـاق جـد كرمـا

بحسـن خاتمـة عنـد انقضـا أجلـي

ويـا رشـيد بـنهج الرشـد تسـلكني

حتـى أجـيء غـدا في أحسـن الحلـل

ويـا صـبور فهـب لـي الصـبر أجملـه

علـى النوائـب في حلـي ومرتحلـي

ويـا مغيـث الـورى لا أسـتغيث سـوا

ك إن غوثـك لـي يغـني عـن الخـول

ويـا قريـب بنيـل القـرب منـك فجـد

إنـي ببابـك مـا لـي عنـه مـن حـول

إنـي بأسمائـك الحسـنى دعوتـك لا

يخيـب فيـك الرجـا يـا واحـدا أزلـي

ثـم الصـلاة وتسـليم يصـاحبها

على الذي جاءنا بأفضل الملل

محمد المصطفى والآل كلهم

ما أترب العيش حاد سار بالإبل



هل توجد فرقة تسمي نفسها وهابية؟

... ثم ذكر "البوعصامى" العمى كتبا أحال القارئ لهذيانه على مراجعتها على سبيل الإجمال تمويها وتضليلا،ومنها ما سماه "كتاب الرد على الوهابية" ولا يعرف كتاب بهذا الاسم يختص به،وقد لفق جماعه من المشركين المبتدعين عباد الأضرحة رسائل سموها بالرد على الوهابية ولا توجد فرقة على وجه الأرض تسمى نفسها وهابية. ولكن المبتدعين والمشركين يسمون التسمية ليطلقوها على كل من يوحد الله ويتبع سنة رسول الله ﷺ ويتجنب البدع والمحدثات، كما كان المشركون يسمون رسول الله ﷺ مذمماً ؛ بل المشركون الأولون أعقل من هؤلاء المتأخرين فإنهم سموا النبي ﷺ باسم يدل على الذم في لغتهم وهم المذمومون، والنبي ﷺ طاهر مطهر لا يلحق به شيء من ذمهم، وكذلك من اتبعه إلى يوم القيامة مسلمون حنفاء، لا يضيرهم ما يقول فيهم أعداؤهم. أما المشركون المتأخرون فهم جهال بالألفاظ والمعاني كالقارئ الذي قرأ "فخر عليهم السقف من تحتهم" فقيل له: لا عقل عندك ولا قرآن، فتسمية أهل الحق بالوهابية نسبة إلى الوهاب من أحسن الأسامي. قال تعالى حكاية عن إبراهيم أبي الحنفاء الموحدين في سورة مريم: ﴿ **فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا** ﴾.

والحنفاء في كل زمان ومكان يقتدون بأبيهم إبراهيم فيعتزلون أهل الشرك وما يعبدون من دون الله، ويدعون الله وحده راجين فضله، فيسعدون ولا يشقون، فيهب لهم وهو الوهاب، من رحمته كل ما أملوه ويجعل لهم لسان صدق علياً.

وقد أنطق الله المشركين بكلمة الحق على رغم أنوفهم فسموا أهل الحق نسبة إلى الكريم الوهاب، وسيأتي إن شاء الله في القصيدة البائية....

وهذه هي القصيدة البائية:

الأبيات التسعة الأولى هي التي بقيت في حفظي من قصيدة للشيخ عمران النجى التميمي رحمة الله عليه وتكملتها من نظمي:

إن كـــان تـــابع أحمـــد متوهبـــاً
فأنـــا المقـــر بـــأنني وهـــابي

أنفـي الشـريك عـن الإلـه فلـيس لـي
رب ســوى المتفــرد الوهـــاب

لا قبـــة ترجـــى ولا وثـــن ولا
قـــبر لـــه ســـبب مـــن الأســـباب

أيضـــاً ولســـت معلقـــاً لتميمـــة
أو حلقـــة أو ودعـــة أو نـــاب

لرجـــاء نفـــع أو لـــدفع مضـــرة
الله يـــنفعني ويـــدفع مـــا بـــي

كالشـــافعي ومالـــك وأبـــي حنـــ
ـــيفة ثـــم أحـــآد التقـــى الأواب

هـــذا الصـــحيح ومـــن يقـــول بمثلـــه
صـــاحوا عليـــه مجســـم وهـــابي

نســـبوا إلى الوهـــاب خـــير عبـــاده
يـــا حبـــذا نســـبي إلى الوهـــاب

الله أنطقهـــم بحـــقٍ واضـــح
وهـــم أهـــالي فريـــة وكـــذاب

أكـــرم بهـــا مـــن فرقـــة ســـلفية
ســـلكت محجـــة ســـنة وكتـــابِ

وهـــي الـــتي قصـــد الـــنبي بقولـــه
هـــي مـــا عليـــه أنـــا وكـــل صـــحاب

قد غاظ عباد القبور ورهطهم
توحيدنا لله دون تحاب

عجزوا عن البرهان أن يجدوه إذ
فزعوا لسرد شتائم وسباب

وكذاك أسلاف لهم من قبلكم
نسبوا لأهل الحق من ألقاب

سموا رسول الله قبل مذمما
ومن اقتفاه قيل هذا صاب

الله طهرهم وأعلى قدرهم
عن نبز كل معطل كذاب

الله سماهم بنص كتابه
حنفاء رغم الفاجر المرتاب

ما عابهم إلا المعطل والكفور
ومن غوى بعبادة الأرباب

ودعا لهم خير الورى بنضارة
ضمت لهم نصراً مدى الأحقاب

هم حزب رب العالمين وجنده
والله يرزقهم بغير حساب

وينيلهم نصراً على أعدائهم
فهو المهيمن هازم الأحزاب

إن عابهم نذل لئيم فاجر
فإليه يرجع كل ذاك العاب

ما عــابهم عيــب العــدو وهــل يضيــ
ــر البــدر في العليــاء نــبح كــلاب
يــا ســالكاً نهــج الــنبي وصــحبه
أبشــر بمغفــرة وحســن مــآب
وهزيــة لعــدوك الخــب اللئيــ
ــم وإن يكــن في العــد مثــل تــراب
يــا معشــر الإســلام أوبــوا للهــدى
وقفــوا ســبيل المصــطفى الأواب
أحيــوا شــريعته الــتي ســادت بهــا الأ
ســلاف فهــي شــفاء كــل مصــاب
ودعــوا التحــزب والتفــرق والهــوى
وعقائــد جــاءت مــن الأذنــاب
فيمينهــا لا يمــن فيــه ترونــه
ويســارها يــأتيكم بتبــاب
إن الهــدى في قفــو شــرعة أحمــد
وخلافهــا رد علــى الأعقــاب
جــربتم طــرق الضــلال فلــم تــروا
لصــداكم إلا بريــق ســراب
والله لــو جــربتم نهــج الهــدى
ســنة لفقــتم جملــة الأتــراب
ولهــابكم أعــدائكم وتوقعــوا
منكم إعــادة ســائر الأســلاب

أمـــا إذا دمـــتم علـــى تقليـــدهم
فتوقعـــوا مـــنهم مزيـــد عـــذاب

وتوقعـــوا مـــن ربكـــم خســـراً علـــى
خســـر وســـوء مذلـــة وعقـــاب

هـــذي نصـــيحة مشـــفق متعتـــب
هـــل عنـــدكم يـــا قـــوم مـــن إعتـــاب

ومـــن البليـــة عـــذل مـــن لا يرعـــوي
ولـــدى الغـــوي يضـــيع كـــل عتـــاب

وزعمـــتم أن العروبـــة شـــرعة
وعقيـــدة تبنـــى علـــى الأســـباب

لا فـــرق بـــين مصـــدق لمحمـــد
ومكـــذب فالكـــل ذو أحســـاب

فيصـــير عنـــدكم أبـــو جهـــل ومـــن
والاه مـــن حضـــر ومـــن أعـــراب

مثـــل الـــنبي محمـــد وصـــحابه
بـــئس الجـــزاء لســـادة أقطـــاب

بـــل صـــار بعضـــكم يـــرجح جانـــب الـــ
ـــكفار مـــن ســـفل ومـــن أوشـــاب

مـــاذا بنـــى لكـــم أبـــو جهـــل مـــن المجـــد
المخلـــد في مـــدى الأحقـــاب

إلا عبادتـــه لأصـــنام وإلا
وأدهـــم لبنـــاتهم بـــتراب

وجهالـــة وضـــروب خـــزي يســـتحى
مــــن ذكـــــر أدناهــــا ذوو الألبــــاب

أفتعلـــــون ذوي المفـــــاخر والعلـــــى
بحثالـــــــة كثعالـــــــب وذئـــــــاب

اللؤلـــؤ الكنـــون يعـــدل بالحصـــى
والنـــــد والهنـــــدي والأخشـــــاب

بـــدلتهم نهـــج الهـــدى بضـــلالة
وقصـــــور مجـــــد شـــــامخ بخـــــراب

ولقـــد أتيـــتكم بنصـــح خـــالص
يشـــفيكم مـــن جملـــة الأوصـــاب

وإخـــالكم لا تقبلـــون نصـــيحتي
بـــل تتبعـــون وســـاوس الخـــراب

وكان الفراغ منه بمدينة مكناس، طهرها الله من الأدناس، وصانها من كل بأس، لعشر خلون من ربيع الأول ١٣٨٥هـ خمس وثمانين وثلاث مائة بعد الألف.

دار الحديث الحسنية

بدار حديث المصطفى حقت البشرى
فأشرقت الآفاق وامتلأت بشرا
في الفكرة الحسنى بها الحسن ارتقى
إلى ذروة الإحسان وهو بها أحرى
فلا شك أن الله ألهم عبده
لذا العمل المحمود والنعمة الكبرى
وصية خير الخلق طرا وعهده
إلى أمة القرآن يا سعد من برا
على حين عم الجهل في الناس كلهم
ولا سيما بالذكر والسنة الغرا
وشاع ابتداع فاتك في ربوعهم
فأظلمت الأرجاء وامتلأت نكرا
وساد رؤوس الجهل واشتد كيدهم
وقد أضمروا للأمة المكر والغدرا
مضوا يسلبون المال والعقل والهدى
و يستعبدون الناس بالحيل الحقرا
فأطلعها نورا يضيء حنادسا
من الجهل ذاق الناس من طعمها المرا
وأحيا من الآمال ما كان ميتا
فأصبح ثغر العلم والدين مفترا

ومـــن يحـــي ســـنات الرســـول وهديـــه
يهيـــئ لـــه الـــرحمن مـــن أمـــره يســـرا
ويعظـــم لـــه أجـــرا ويرفـــع ذكـــره
ويبلغـــه آمـــالا ويشـــرح لـــه الصـــدرا
ومـــن رام مـــن أعدائـــه أن يكيـــده
ببغـــي فـــإن الله يمنحـــه النصـــرا
ومـــن ينصـــر الـــرحمن ينصـــره عـــاجلا
وينصـره يـوم الحشـر في النشـأة الأخـرى
ومـــن يقـــرأ القـــرآن مـــن غـــير ســـنة
يضـــل ويلقـــى في عواقبـــه خســـرا
فتفســـير قـــول الله هـــدي رســـوله
وذلـــك في القـــرآن متضـــح يقـــرا
فيـــا أيهـــا الملـــك الهمـــام الـــذي ســـرت
بأخبـــاره الركبـــان تنشـــرها نشـــرا
ومـــا زال بالأفعـــال يشـــفع قولـــه
فتـبني لـه بـين الـورى المجـد والفخـرا
جـــزاك إلـــه النـــاس خـــير جزائـــه
علـى دار علـم شـيدتها للهـدى فجـرا
إليـــك أســـوق اليـــوم نظمـــا ملفقـــا
وكـــان بـــودي أن أنظمـــه درا
ولكـن هجـرت الشـعر دهـرا فأوصـدت
علـــي قوافيـــه وكافـــاني هجـــرا

فقابلــه بالصــفح الــذي أنــت أهلــه
وأسـدل عليـه مـن جميـل الرضـى سـترا



توبة الشيخ من الطريقة التجانية

خليلــي عوجــا بــي علــى كــل نــدوة
بهـــا قـــول الرســـل يـــروى بقـــوة

ولا تقربـــا مجلـــس الـــرأي إنـــه
ضـــلال يحـــط لتابعيـــه بهـــوة

علـــى مجمـــع فيـــه كتـــاب إلهنـــا
يفســـر تفســـيرا بعلـــم وحكمـــة

لـــدى ثلـــة قـــد نـــور الله قلـــبهم
وخصـــهم بالهـــدى أفضـــل نعمـــة

فصـــانوا كتـــاب الله جـــل جلالـــه
عـــن اللغـــو والتحريـــف أســـوأ بدعـــة

وردوا افــتراء الخلــف مــن ضــل ســعيهم
وقــد فرقــوا مــن شــؤمهم خــير شــرعة

وأصـــلوهم حـــرب الفـــرنج بهمـــة
كســـيف صـــقيل في مضـــاء ولمعـــة

إلـــيهم أجـــوب البَـــر والبحـــر آويـــا
لأنظـــر مـــن فـــازوا بنـــور ونظـــرة

وأقـــبس مـــن أنـــوارهم علـــم ســـنة
وذلـــك قصـــدي في اغترابـــي وهجرتـــي

وأبعـــد عـــن أهـــل البـــدائع والخنـــا
وأدرك روحـــا مـــن عنـــاء وغـــربتي

وليس مرادي غربة البعد والنوى
ولكنها في الدين أعظم كربة
ولما أبان الله لي نور دينه
وأنقذني من طرق أصحاب خرقة
أولئك قوم بدلوا الدين بالردى
وقد مرقوا من هديه شر مرقة
وأبغضني الأقوام حين نبذتهم
وملت إلى قفو الكتاب وسنة
وقد قلبوا ظهر المجن وخشنت
صدورهم لي واستعدوا لمحنتي
وقد زعموا هجري وشتمي قربة
وكل جليس لي سيردى بسرعة
وقد جزموا أني أموت على الردى
وأخلد في النيران من أجل رجعتي

القطب الصوفي

تركـــت الطريـــق طريـــق
وأقبلـــت أتبـــع المصـــطفى

وســـنته وكتـــاب الإلـــه
وأصـــحابه أنجـــم الاهتـــدا

وأتبـــاعهم أيـــن مـــا وجـــدوا
ســـواء نـــأى عصـــرهم أم دنـــا

ســـواء ذو الشـــرق أم غربنـــا
وأهـــل الخيـــام والقـــرى

ولـــيس يجـــوز بمـــذهبنا اتبـــ
ـــاع لغيرهـــم فـــدع مـــن هـــذا

ولســـنا نـــؤول لفـــظ الحديـــ
ـــث والـــذكر إلا بمـــا قـــد أتـــى

فمـــا هلـــك النـــاس إلا بمـــا
تؤولـــه زمـــرة الاعتـــدا

فـــنحن علـــى مـــذهب الســـا
بقـــين مـــن رضـــي الله عـــنهم عـــلا

ومـــن حـــاد عـــن نهجهـــم قـــد هـــوى
ســـواء درى ذاك أم مـــا درى

فخـــير الهـــدى هـــدى خـــير الـــورى
وشـــر الأمـــور اتبـــاع الهـــوى

فـــلا تتصـــرف ولا تتكلـــف
ولا تلـــج إلا لـــرب العلـــى

ولا تـــدع مـــن دونـــه أحـــدا
فلـــيس ولـــي ســـواه يـــرى

أغـــير الإلـــه أرى لـــي وليـــا
إذن قـــد ضـــللت طريـــق الهـــدى

أأتخـــذ الأوليـــاء وربـــي
بمحكـــم ذكـــره عـــنهم نهـــى

ولـــو مرســـلين ولـــو صـــالحين
ولـــو طـــائرين بـــأوج الســـما

ولا يعبـــد الله إلا بمـــا
أتـــى في شـــريعته وارتضـــى

ومـــن يـــزعم العلـــم غـــير الكتـــاب
و غـــير الحـــديث الصـــحيح افـــترى

ولا فضـــل في ديننـــا لأرســـطو
ولا لابـــن رشـــد ومـــن قـــد قفـــا

فتوحيـــد ربـــي بمنزلـــه
غـــني عـــن المنطـــق المرتـــأى

فـــإن أرســـطو وأتباعـــه
عـــدو لـــدين إلـــه الـــورى

وإن هـــم أتـــوا حكمـــا أحكموهـــا
أخـــذنا بهـــا في أمـــور الـــدنى

ومهمـا وجـدنا الحـديث الصحيح

عبـدنا بـه مـن لـه المنتهى

ولـيس لـه مـن وسـيلة إلا

علـوم اصـطلاح وعلـوم اللغى

فعلـم الكـلام وبعـض الأصـول

ظـلام يجـران كـل العنـا

ولا نسـتغيث بغـير الإلـه

ومـن يسـتغيث بالعبـاد غـوى

ونعتقـد الإلـه سـبحانه

علـى عرشـه ذي التعـالي استوى

ولسـنا نـؤول ذلـك بقهـر

ولا غـيره مثـل مـن قـد مضى

وإن البخـاري في كتبـه

قـد أحسـن للنـاس دون امـترا

عليهـا اعتكـف ثـم منهـا اقتطـف

تجـد كـل مـا رمتـه مـن منى

ومسـلم لا تـنس تأليفـه

فـنعم الكتـاب الوثيـق العـرى

وإن خضـت في غـير ذينـك

فاسـلك بعلـم غزيـر وإلا فـلا

ولا تعتـبر كـل كتـب عليهـا

فقـد مزجوهـا بمـا يرتمـى

فجـــد وخـــذ زبـــد مـــا ســـطروا

ودع مـــا تـــراه معيبـــا ســـدى

ومـــا قـــد يســـمونه باطنـــا

فبـــاللام يقـــراه مـــن درى

فـــإن الشـــريعة قـــد أكملـــت

وقـــد بينـــت مثـــل شمـــس الضـــحى

فمـــا مـــات خـــير الـــورى أحمـــد

إلى أن جلاهـــا بغـــير خفـــا

ومـــا أحـــد مـــن أهيـــل النفـــاق

نجـــا فاصـــبر إن نلـــت مـــنهم أذى

ولا تـــبن في تربـــة قبـــة

ومهمـــا تراهـــا فهـــدم البنـــا

فقـــد عبـــدوها ومـــا فطنـــوا

ووافقهـــم علمـــاء الشـــقا

وقـــد ألفـــوا في عبادتهـــا

بـــدون احتشـــام بـــدون حيـــا

لتـــدع الإلـــه بمـــا قـــد روى الثقـــ

ـــات الهـــداة عـــن المجتبـــى

وأن البخـــاري روى في الصـــحيح

دعـــاء وذكـــرا بـــه الاكتفـــا

وحـــاذر الشـــرك فهـــو بـــذا الـــ

زمـــان بكـــل النـــواحي فشـــا

ولا قطب نعلمه غير نجم
يرى في السماء وقطب الرحى
ونحوهما لا الذي ذكروا
يكون مقيما بغار حرا
يمد الأنام ويجري الشؤو
ن في الكون تلك أدهى الفرا
فهل من كتاب وهل سنة
أتت من صحيح الحديث بذا
فخذ بالنصوص ولا تبتدع
وفي عدم النص قس ما جلا
وليس لنا مذهب لازم
سوى مذهب المصطفى المرتضى
عليه الصلاة وأزكى السلام
سلاما يدوم بغير انتها
ويشمل آلا وصحبا كراما
ومن قد قفاهم بنهج الصفا

من وحي الأندلس

لمـــا بـــدا لنـــا جمـــالكم
أضـــحت قلوبنـــا أســـرى الغـــرام

وانبعثـــت بهـــا مـــودة
تنمـــو وتزدهـــي علـــى الـــدوام

قـــد طـــال هجـــركم وصـــدكم
ومـــا رثيـــتم للمســـتهام

ولم نـــزل نفـــي بعهـــدكم
ومـــا رعيـــتم لنـــا ذمـــام

فهـــل سمعـــتم بقاتـــل
لمـــن يحبـــه هـــذا حـــرام

هبـــوا أســـيركم لـــو نظـــرة
صـــلوا عميـــدكم لـــو بـــالكلام

أمـــا تـــرونني متيمـــاً
لم تـــدر مقلـــتي أي منـــام

محـــبتي لكـــم عفيفـــة
غـــدت بريئـــة مـــن كـــل ذام

وعـــازل أتـــى يلـــومني
كلامـــه غـــدا مثـــل الكِـــلام

فقلـــت: يـــا فتـــى ويـــك اتئـــد
فأنـــت طالـــب مـــالا يـــرام

عزلـــــك زادنـــــي صـــبابة
فكـــف أو فـــزد مـــن الخصـــام

يـــا موطنـــاً غـــدا مفتخـــرا
بخـــير أمـــة مـــن الأنـــام

بـــالعرب إذ علـــوا مراتبـــا
قـــد بلغـــوا بهـــا أقصـــى المـــرام

أندلســـاً دعيـــت في الـــورى
وجنـــة سمـــت خـــير المقـــام

معجـــزة فلـــم يـــر الـــورى
لهـــا ممـــاثلا لـــو في المنـــام

كيـــف افتخارنـــا بمجـــدهم
ونحـــن لم نـــزل بـــلا نظـــام

والخلـــف مـــا لهـــم مفتخـــر
لكـــن علـــيهم بالاحتشـــام

إلا إذا حيـــوا واتحـــدوا
وارتجعـــوا إلى نهـــج الكـــرام

واتبعـــوهم في ديـــنهم
ديـــن محمـــد بـــدر التمـــام

فـــالعرب مـــالهم معتصـــم
إلا بحبلـــه ولا التئـــام

والعـــز عـــنهم مبتعـــد
إلا إذا اقتـــدوا بـــذا الإمـــام

فهـــو حيـــاتهم في بـــدئهم
وهـــو حيـــاتهم علـــى الـــدوام

وكلمـــا اقتفـــوا خلافـــه
فهـــو ضـــلالة وهـــو الحســـام

صـــلى عليـــه مـــن أرســـله
هـــدى ورحمـــة يجلـــو الظـــلام

مـــا غـــردت ضـــحى حمامـــة
وأشـــرقت ذكـــا بعـــد غمـــام

والآل والصـــحاب كلـــهم
أزكـــى صـــلاته مـــع الســـلام



معارضة مقدم تجاني

يـــــا رب إنـــــي محــــب
لكـــــل عبــــد تقــــي
يوحــــد الله ربـــــا
ويقتـــــدي بـــــالنبي
ولا يقلـــــد شخصـــــا
في دينـــــه كـــــالغبي
فمـــا لــــه مــــن ولــــي
غـــير الإلـــه العلــــي
ومـــا لـــه مــن إمـــام
غـــير الـــنبي الزكـــي
ولـــيس يعبـــد إلا
رب العبـــاد الغـــني
وكـــل خـــير فمنـــه
يصـــيب كـــل ولـــي
ومـــن ســـواه فقـــير
فـــلا يمـــد بشـــي
يـــا عصـــابة الشـــرك
خـــافوا عقـــاب رب قـــوي
في يـــوم هـــول شـــديد
يشـــيب رأس الصـــبي

يا صاحب الشرك أبشر

دوما بعيش الشقي

غبنت غبن الخزاعي

في بيعه مع قصي

باع المفاتيح منه

بزق خمر ردي

شرى ظلاما بنور

بدل رشدا بغي

فماله من نصير

وما له من ولي

الاستسقاء بذبح الخيل

بكى قوم على جاه ومال
وأعول آخرون من الهزال

وبعضهم بكى في إثر خل
بعيد الأنس آذن بارتحال

وبعضهم ينوح على شباب
تولى ثم بدل باعتلال

ودين الله أصبح في ضياع
ولا باك عليه ولا مبال

بدهر صار فيه العرف نكرا
ونور الحق غطي بالضلال

وسنة خير خلق الله أضحت
تنادي أين أنتم يا رجالي

طغى وبغى عليها ذو ابتداع
خبيث سالك سبل الخيال

متى ما شاهد الغرباء هبوا
لنصرتها توعد بالقتال

وغرته جموع وافرات
حواليه توالى من يوالي

وساعده عموم الجهل حتى
لقد شمل الأسافل والأعالي

وحـــزب الله يغلـــب كـــل حـــزب
وينصـــــره المهـــــيمن ذو الجـــــلال

فيصـــلت مـــن كتـــاب الله بيضـــا
مهنـــدة تضـــيء دجـــى الليـــالي

ومـــن ســـنن الرســـول لـــه ســـهام
ومـــن حجـــج الأصـــول لـــه عـــوالي

وأهـــل الـــرأي كلـــهم بغـــاث
يتـــامى في الحـــديث ذوو اختبـــال

ومـــن يعـــرض عـــن الســـنن العـــوالي
يـــذق مـــر الهزيمـــة في النـــزال

ويكســـى الخـــزي في دنيـــاه دومـــا
وفي أخـــراه يقـــرى بالنكـــال

ومـــن ســـنن الرســـول وتابعيـــه
ســـؤال الغيـــث مـــن مـــولى المـــوالي

مـــن الـــرحمن لا يـــدعون شـــيئا
ســـواه مخلصـــين في الابتهـــال

إلى أن جـــاء بعـــدهم خلـــوف
دعـــوا أهـــل المقـــابر باهتبـــال

وقـــد ذبحـــوا لهـــم بقـــرا وشـــاء
وقـــد نحـــروا الســـمان مـــن الجمـــال

ومـــن يـــذبح لغـــير الله يلعـــن
مقـــال المصـــطفى خـــير المقـــال

وأعجب بدعة فيما سمعنا
وأعرق في الجهالة والخبال

أمور عن سريف قد أتتنا
تواتر نقلها بين الرجال

فقد عمدوا إلى مهر كريم
من الخيل المطهمة الغوالي

فحزوا رأسه بالسيف ظلما
و لم يذنب إلى أحد بحال

وقد كتبوا بجبهته سطورا
من القرآن .. يا لك من ضلال

وتلك إهانة للذكر جلت
صفات الله عن هذي الخلال

ولو تبعوا الكتاب وعظموه
بلا ذبح لخيل أو بغال

ومن يعرض عن القرآن يسلك
عذابا ، قول ربك ذي التعالي

والاستسقاء بذبح الخيل بدع
غريب لم نر له من مثال

أأهل سريف اتئدوا وتوبوا
إلى الرحمن من هذا المحال

فرب الناس صدقا وحدوه
وقفوا للنبي بحر الكمال

الفهرس